www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

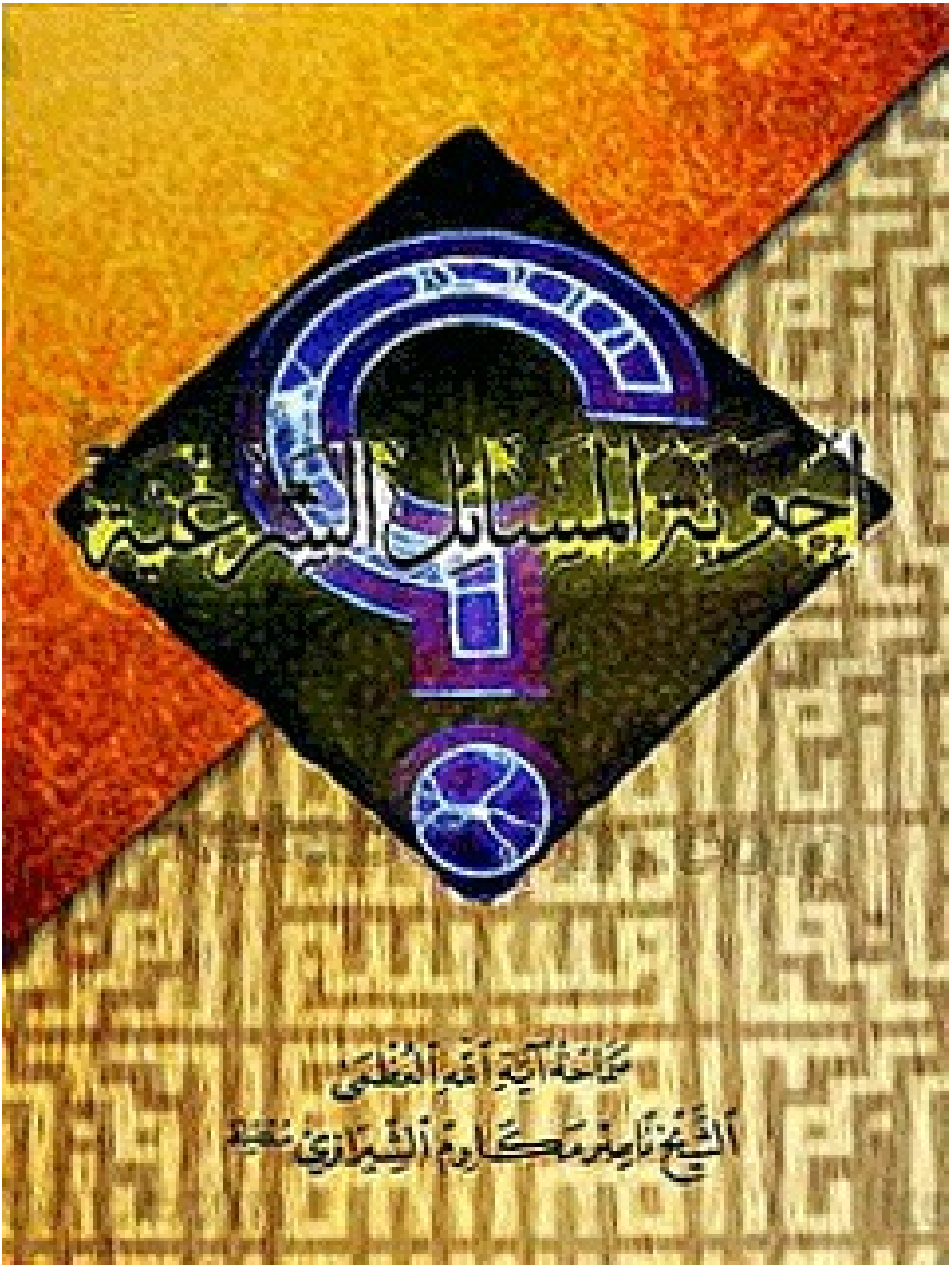
أجوبة المسائل الشرعية
سماحة آية الله العظمى
الشيخ ناصر مكارم الشيرازي دام ظله

بسم الله الرحمن الرحيم

اجوبة المسائل الشرعية

كاتب:

آیت الله العظمی ناصرمکارم شیرازی (دام ظله)

نشرت فی الطباعة:

مدرسه الامام علی بن ابی طالب (ع)

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الفهرس ----- ۵
اجوبة المسائل الشرعية ----- ۱۴
اشارة ----- ۱۴
مقدمة: تاريخ و محتويات الكتاب ----- ۱۴
القسم الأول معرفة اللّه و صفاته ----- ۱۴
۱ كيف يمكن للعدم أن يفيض الوجود؟ ----- ۱۴
۲ هل النظام الذى يسود العالم دليل على خلقه؟ ----- ۱۵
۳ كيف السبيل إلى الاعتقاد بنظم العالم اللامحدود بهذا العلم المحدود؟ ----- ۱۶
۴ هل يمكن إدراک الذات المطلقة؟ ----- ۱۶
۵ هل اللّه قوّة؟ ----- ۱۷
۶ كيف يكون كمال توحيد اللّه نفى الصفات عنه؟ ----- ۱۷
۷ من خلق اللّه؟ ----- ۱۸
۸ كيف السبيل إلى الاعتقاد بعلم اللّه بالحوادث الاتية؟ ----- ۱۹
۹ ماذا يعنى جمال اللّه ولقائه يوم القيامة؟ ----- ۲۰
۱۰ هل يستطيع اللّه أن يخلق له شبيهاً؟ ----- ۲۰
۱۱ أعمالنا والعلم الأزلى ----- ۲۲
۱۲ مفهوم البداء ----- ۲۴
۱۳ فلسفة البلاء ----- ۲۵
۱۴ ما معنى القضاء والقدر؟ ----- ۲۶
۱۵ مفهوم السمع والبصر بالنسبة للّه ----- ۲۸
۱۶ سر خلق الإنسان ----- ۲۸
۱۷ هل الاعتقاد بوجود الشيطان دليل على الشرک؟ ----- ۳۰
۱۸ كيف يكون تعدد الالهة مدعاة لفساد الخلق؟ ----- ۳۱

۱۹ هل یحتاج العالم فی بقائه إلی اللّه؟ ۳۲
القسم الثانی الأنبیاء والأولیاء ۳۳
۱ کیف یتکیف القانون الإسلامی الثابت مع العالم المتطور؟ ۳۳
۲ القرآن وختم النبوة ۳۵
۳ هل کانت الشرائع السابقة ناقصة؟ ۳۶
۴ دین أجداد نبی الإسلام صلی الله علیه و آله ۳۷
۵ هل کان نبی الإسلام صلی الله علیه و آله یقرأ ویکتب؟ ۳۷
۶ ما کان الهدف من معراج النبی صلی الله علیه و آله؟ ۴۰
۷ هل یستطیع الشیطان النفوذ إلی الأنبیاء؟ ۴۰
۸ عصمة الأنبیاء ۴۱
اشارة ۴۱
۱- الوراثة ۴۱
۲- التربیة فی نقل الفضائل والکمالات ۴۱
۳- عوامل مجهولة ۴۲
۴- الهبة الإلهیّة ۴۲
۹ هل عصمة الأئمّة فضل؟ ۴۲
۱۰ هل هنالک من منافاة بین العصمة والاستغفار؟ ۴۳
۱۱ هل یجتهد الأئمّة فی الأحکام؟ ۴۴
۱۲ ما المراد بالأنبیاء أولی العزم؟ ۴۵
۱۳ ما عدد الأنبیاء الذین سمّاهم القرآن؟ ۴۵
۱۴ هل عیسی ابن اللّه؟! ۴۶
۱۵ ظهور الفرق المسیحیة الثلاث ۴۷
۱۶ ما غسل التعمید؟ ۴۷
۱۷ بشارة المسیح بنبی الإسلام ۴۸

۱۸ ولادة مریم ----- ۵۰
۱۹ هل نذرت أم مریم أن یکون ولدها راهباً؟! ----- ۵۱
۲۰ شق القمر ----- ۵۱
القسم الثالث أوصیاء النبی صلی الله علیه و آله ----- ۵۳
۱ کیف التفت علی علیه السلام فی صلاته للسائل؟ ----- ۵۳
۲ هل نزلت هذه الآیة بحق علی علیه السلام؟ ----- ۵۳
۳ هل انطلق علی علیه السلام من المدینة إلی المدائن فی لیلة واحدة؟ ----- ۵۵
۴ هل هبط نجم علی سطح دار علی علیه السلام؟ ----- ۵۶
۵ ما فلسفة صلح الإمام الحسن علیه السلام وقتال الإمام الحسین علیه السلام؟ ----- ۵۶
۶ هل کان للإمام المجتبی علیه السلام عدّة زوجات ----- ۵۶
۷ لماذا نحارب الفساد؟ ----- ۵۸
۸ هل یتنافی نشوب حرب عالمیة ثالثة مع ظهور المصلح العالمی؟ ----- ۵۹
۹ هل تتنافی هذه الآیة مع طول عمر إمام الزمان علیه السلام؟ ----- ۵۹
۱۰ ما المراد ب «الغیبة الصغری» و «الغیبة الکبری»؟ ----- ۶۰
۱۱ من هم نواب إمام الزمان «عج»؟ ----- ۶۰
۱۲ فلسفة غیبة المهدی علیه السلام ----- ۶۱
۱۳ هل یشبه دعاء الندبة عقائد الکیسانیة؟! ----- ۶۲
۱۴ الإسلام والشفاعة ----- ۶۴
۱۵ هل استدل أمیر المؤمنین علیه السلام علی خلافته بحدیث الغدیر؟ ----- ۶۵
القسم الرابع القیامة والمعاد ----- ۶۶
۱ لِمَ یعاقب اللّه عباده؟ ----- ۶۶
۲ هل القیامة قیامة جمیع الأمم فی یوم واحد؟ ----- ۶۷
۳ کیف سیکون موقف الجهال یوم القیامة؟ ----- ۶۷
۴ هل یمکن أن یکون الیوم الواحد خمسین ألف سنة؟ ----- ۶۷

۵ المعاد الجسمانی والروحانی «۱» ۶۸
۶ هل یؤجر المفکرون والمخترعون یوم القیامة؟ ۶۸
القسم الخامس فلسفة الأحکام والمسائل الفقهیة ۶۹
۱ هل یحق لنا السؤال عن فلسفة الأحکام؟ ۶۹
۲ کیف نتعامل مع فلسفة الأحکام ۷۰
۳ لماذا نقلد فی المسائل الدینیة؟ ۷۱
۴ لماذا نعبد اللّه ما فلسفة الصلاة والصوم والحج؟ ۷۲
۵ لماذا یجب تقلید الأعلم؟ ۷۴
۶ لما نورد أذکار الصلاة بالعربیة؟ ۷۴
۷ لماذا یجب علینا استقبال القبلة عند الصلاة؟ ۷۵
۸ لِمَ نصلی الصلوات الخمس فی ثلاثة أوقات؟ ۷۵
۹ کیف تصدّ الصلاةُ الإنسانَ عن الذنب؟ ۷۶
۱۰ ما علّیة صلاة الآیات؟ ۷۷
۱۱ لِمَ یجب علی المرأة ستر بدنها عند الصلاة؟ ۷۸
۱۲ ما علّة نجاسة المشروبات الکحولیة؟ ۷۸
۱۳ ما الفارق بین العرق والبول؟ ۷۸
۱۴ ما فلسفة غسل المیت وغسل مسّ الأموات؟ ۷۹
۱۵ لماذا یحرم أبناء الزنا من بعض المناصب؟ ۸۰
۱۶ أضرار لحم الخنزیر ۸۱
۱۷ ما علّة نجاسة الکافر؟ ۸۱
۱۸ لماذا الجزیة؟ ۸۲
۱۹ ثیاب الإحرام ۸۲
۲۰ لماذا تتلف لحوم الأضحیات؟ ۸۲
۲۱ لماذا کانت قراءة «الکتب الضالة» حرام؟! ۸۳

۲۲ لماذا لا یمکن اعطاء القرآن لغیر المسلم؟ ---- ۸۴
۲۳ علة التصعب فی إثبات بعض الجرائم ---- ۸۴
۲۴ لماذا یذبح الحیوان علی أساس بعض الشرائط؟ ---- ۸۴
۲۵ فلسفة الختان ---- ۸۵
۲۶ فسلفة المحلّل ---- ۸۵
۲۷ المخاطر الجسمیة والنفسیة للشذوذ الجنسی نظریة عالم نفس حاذق بهذا الشأن ---- ۸۵
۲۸ الزواج و تطابق الدم ---- ۸۷
۲۹ الموسیقی فی الإسلام ---- ۸۸
۳۰ فلسفة الإمتحان الإلهی ---- ۸۸
۳۱ التراب الممزوج بالمکروبات ---- ۸۹
۳۲ الصغائر والکبائر ---- ۹۰
۳۳ هل الصغائر والکبائر نسبیة؟ ---- ۹۰
۳۴ عدد الکبائر ---- ۹۰
۳۵ الکذب المصلحة ---- ۹۱
۳۶ ضرب المرأة ---- ۹۱
۳۷ الإسلام والتلقیح الصناعی ---- ۹۲
۳۸ ما حکم منع المرأة من الحمل ---- ۹۲
۳۹ ما حکم اسقاط الجنین اللقیط؟ ---- ۹۲
۴۰ ضخ الدم ---- ۹۳
۴۱ اخلاص النیة والعمل ---- ۹۳
۴۲ جمع صلاتی الظهر والعصر ---- ۹۳
۴۳ هل للصلاة من دخل فی قبول سائر الأعمال؟ ---- ۹۳
۴۴ الصوم والصلاة فی المناطق القطبیة ---- ۹۴
۴۵ الصلاة اوّل الوقت ---- ۹۴

۴۶ الغناء ---- ۹۵
۴۷ حکم الشطرنج ---- ۹۵
۴۸ کیف یصلّی الناطقون باللاتینیة ---- ۹۵
۴۹ السجود عند قبر الإمام ---- ۹۵
۵۰ ما حکم هذه الریاضات ---- ۹۶
۵۱ أسئلة مسلم أمریکی ---- ۹۶
۵۲ ما وظیفة المرأة فی المجتمع؟ ---- ۹۸
۵۳ هل الخمس أجر الرسالة ---- ۹۸
۵۴ أ لیس الخمس دعماً للتمایز الطبقی؟ ---- ۹۸
۵۵ بلوغ البنین والبنات ---- ۹۹
۵۶ هل ینبغی التحقیق فی المسائل الدینیة أم التقلید؟ ---- ۹۹
۵۷ الولایة والبراءة ---- ۱۰۱
۵۸ الصوم فی الأدیان السابقة ---- ۱۰۱
۵۹ القبلة فی القمر ---- ۱۰۱
۶۰ تعیین القبلة بالشمس ---- ۱۰۲
۶۱ القبلة فی المناطق النائیة ---- ۱۰۲
۶۲ قبلة أهل العراق ---- ۱۰۲
۶۳ سبب تغییر القبلة ---- ۱۰۳
۶۴ اختلاف الآفاق فی رؤیة الهلال ---- ۱۰۳
۶۵ لماذا لا تکون الساعة ۱۲ وقت الظهر الشرعی دائماً؟ ---- ۱۰۳
۶۶ کیف نحل المسألة التی قضی فیها علی علیه السلام؟ ---- ۱۰۴
۶۷ کیف کان زواج أبناء آدم ---- ۱۰۴
۶۸ هل هناک منافاة بین حریة الإنسان ومکافحة الفساد ---- ۱۰۵
۶۹ العفو والقصاص ---- ۱۰۶

۷۰ سن زواج البنين والبنات ۱۰۶
۷۱ هل صلة الرحم ضرورة دائماً؟ ۱۰۷
۷۲ هل إعانة الفقير دلالة على ضرورة الفقر؟ ۱۰۸
القسم السادس التفسير ۱۰۸
۱ هل الأديان الأخرى حق؟ ۱۰۸
۲ ما علة طلب الهدى إلى الصراط المستقيم؟ ۱۰۹
۳ ما المراد من خلق السموات والأرض فی ستة أيّام؟ ۱۱۰
۴ ما المراد من السموات السبع؟ ۱۱۰
۵ اين المشرقين والمغربين؟ ۱۱۱
۶ كيف يؤيد القرآن كروية الأرض؟ ۱۱۱
۷ حركة الأرض الوضعية ۱۱۲
۸ ما تفسير هذه الآيات؟ ۱۱۳
۹ هل ليلة القدر واحدة فی جميع العالم؟ ۱۱۳
۱۰ كيف رأى ذو القرنين غروب الشمس فی عين حمئة؟ ۱۱۳
۱۱ القرآن وتسخير الكواكب ۱۱۴
۱۲ هل هذه الآية اشارة إلى وسائط النقل المعاصرة؟ ۱۱۴
۱۳ هل تدعم هذه الآيات نظرية تكامل الأنواع؟ ۱۱۵
۱۴ هل تتعارض هذه الآية مع عالمية الإسلام؟ ۱۱۵
۱۵ لماذا يطلق اللّه على نفسه ضمير الجمع؟ ۱۱۶
۱۶ السمع والبصر فی القرآن الكريم ۱۱۶
۱۷ لماذا يحرق المعبود الباطل؟ ۱۱۶
۱۸ السجود لغير اللّه ۱۱۶
۱۹ التوبة النصوح ۱۱۷
۲۰ هل هذه الآية تتنافی مع الخلود؟ ۱۱۷

۲۱ فائدة ذكر اللّه عند مطلع كل عمل ---- ۱۱۷
۲۲ ما أدلة حفظ القرآن من التحريف؟ ---- ۱۱۷
۲۳ كتاب الوحی ---- ۱۱۸
۲۴ معنی التفسير بالرأی ---- ۱۱۹
۲۵ علّة التكرار فی القرآن ---- ۱۲۰
۲۶ هل كانت الشجرة المحظورة شجرة العلم؟ ---- ۱۲۱
۲۷ ما المراد من قوله: «يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِی مَنْ يَشَاءُ»؟ ---- ۱۲۲
۲۸ لِمَ خلت هذه ا لسورة من البسملة؟ ---- ۱۲۳
۲۹ هل هنالک أكثر من خالق؟ ---- ۱۲۳
۳۰ لماذا شبّه الانفاق بالسبعمائة حبّة سنبلة؟ ---- ۱۲۳
۳۱ لماذا كان ابن نوح ليس من أهله؟ ---- ۱۲۴
۳۲ هل تنسجم هذه الآية مع عصمة النبی؟ ---- ۱۲۴
۳۳ ما معنی «كُلُّ شَیْءٍ هَالِکٌ إِلَّا وَجْهَهُ»؟ ---- ۱۲۵
۳۴ كيف أذن يوسف باتهام أخيه؟ ---- ۱۲۵
۳۵ هل يجب الضحک قليلًا والبكاء كثيراً؟ ---- ۱۲۵
۳۶ هل هنالک سؤال يوم القيامة أم لا؟ ---- ۱۲۶
۳۷ هل كان النبی يستشير؟ ---- ۱۲۶
۳۸ لماذا وصف اللّه نفسه بربِّ الشِعری؟ ---- ۱۲۶
۳۹ هل ينسجم معراج النبی صلی الله عليه و آله مع العلم؟ ---- ۱۲۷
القسم السابع استفسارات مختلفة ---- ۱۳۰
۱ ما أسباب تقدم المسلمين سابقاً وتخلفهم حديثاً؟ ---- ۱۳۰
۲ هروب الشباب من الأوساط الدينية ---- ۱۳۱
۳ السيطرة على استغلال تعدد الزوجات ---- ۱۳۱
۴ هل ينبغی التريّث بعد العطسة؟ ---- ۱۳۲

۵ قصاصات فی المنام صحیحة؟ ---- ۱۳۲
۶ منشأ عبارة «السادة» ---- ۱۳۲
۷ تقییم کتاب «إعادة التعرف علی النبی محمد صلی الله علیه و آله» ---- ۱۳۲
۸ الإسلام والأُمّیة ---- ۱۳۳
۹ هل ینبغی للصالحین أن یصلوا؟ ---- ۱۳۳
۱۰ الإنسان والملائکة ---- ۱۳۳
۱۱ سکنة الکواکب ---- ۱۳۴
۱۲ التضحیة والفداء ---- ۱۳۵
۱۳ تکامل الأخلاق والحاجة إلی الدین ---- ۱۳۵
۱۴ مدرسة أصالة العمل ---- ۱۳۶
۱۵ الیوغا؟ ---- ۱۳۷
۱۶ الخلیة الحیة ---- ۱۳۷
۱۷ القلب والادراک ---- ۱۳۸
۱۸ لماذا یطلق اسم «أُمُّ القری علی مکة؟ ---- ۱۳۹
۱۹ لماذا لا تطابق المناسبات الدینیة فصول السنة؟ ---- ۱۳۹
۲۰ سند دعاء الندبة ---- ۱۳۹
۲۱ الإستخارة ---- ۱۴۰
۲۲ اختلاف الأشهر القمریة ---- ۱۴۱
۲۳ هل یمکن أن یکون شهران قمریان متتالیان ۲۹ یوماً؟ ---- ۱۴۱
۲۴ متی کان یوم عاشوراء؟ ---- ۱۴۲
۲۵ من هم أصحاب الکتب الأربعة؟ ---- ۱۴۲
۲۶ خشیة اللّه ---- ۱۴۳
۲۷ النیة والعمل ---- ۱۴۴
تعریف المرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ---- ۱۴۴

اجوبة المسائل الشرعية

اشارة

نام کتاب:اجوبةُ المسائل الشرعيّة نام مؤلف:آية اللّه العظمى الشيخ ناصر مكارم شيرازى مشخصات نشر : قم مدرسه‌الامام على‌بن‌ابى‌طالب (ع) ۱۳۷۴. موضوع:آثار فقهى و اصولى زبان:عربى تعداد جلد:۱

مقدمة: تاريخ و محتويات الكتاب

«السؤال» أنصع ظاهرة للروح الإنسانية المتعطشة الباحثة عن الحقيقة والنافذة على التكامل. و «السؤال» أحد ملامح الجهود والمساعى المضنية والمتواصلة للإنسان بغية الوقوف على أسرار العالم وتفاصيل المجاهيل؛ ومن هنا فإنّ أولئك الذين لا يعيشون هاجس السؤال عن بعض المطالب هم أفراد قليلو المعلومات وممن يعتريهم العى فى المسائل العلمية. وعلى هذا الضوء فإنّ الإسلام بفضله ديناً نهضوياً وحضارياً منح اتباعه حق السؤال فى مختلف القضايا، كما حث أئمّة الدين الآخرين على طرح الأسئلة والاستفسارات التى تطارد مختلف الميادين العلمية؛ غاية الأمر أنّ أجوبة الأفراد عادة ما تتناسب مع مستوياتهم الفكرية واستعداداتهم العلمية، ولذلك فإنّ أعمق الاجوبة التى ورثناها عنهم اليوم، تتمثل فى تلك التى ساقوها فى أطار ردهم على أسئلة العلماء والحكماء من أصحابهم. إنّ سيل الأسئلة والاستفسارات الدينية أخذ ينهال ويتزايد شيئاً فشيئاً على مجلة «المدرسة الإسلامية» الدينية والعلمية منذ انطلاقتها؛ ولما كان من المتعذر على المجلة استعراض كل تلك الأسئلة مع أجوبتها (سيما أنّ بعض الأسئلة تفتقر إلى البعد العام والشمولى أو أنّها ليست بتلك الأهميّة المطلوبة) فإنّ جانباً كبيراً منها احيل على قسم اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۶ الردود على الأسئلة الخاصة والتى يرد عليها من خلال المكاتبات. بينما تكفّلت المجلة بتقديم الردود الشافية على تلك الأسئلة ذات الطبيعة العامة والمفيدة للجميع. وقد قام مكتب جيل الشباب للنشر بتنظيم وطبع تلك المجموعة من الأسئلة والردود فى أربعة كتيبات وإعادة طبعها أكثر من مرّة. ونظمت اليوم بهذا المجلد بعد التنقيح وإعادة النظر فى بعض مطالبها. وهنا تجدر الإشارة إلى أنى سطرت بقلمى بعض الأجوبة، بينما قام أخى سماحة الشيخ سبحانى بالرد على البعض الآخر، وقد أخرجت بهذا الشكل بعد تصنيف الأسئلة المتشابهة. طبعاً نعترف أنّ أجوبة بعض الأسئلة وردت موجزة، لكن لا ينبغى أن ننسى أنّ الأمر لو لم يكن كذلك فلعل بعض الأجوبة تتطلب كتاباً مستقلًا؛ الأمر الذى يتعارض وهدفنا المنشود. وأخيراً نأمل أن يكون هذا الكتاب قد اسدى خدمة لكل من يروم الوقوف بصورة استدلالية على المسائل الشرعية. قم: الحوزة العلمية ناصر مكارم الشيرازى رجب المرجب عام ۱۴۱۸ ه

القسم الأول معرفة اللّه و صفاته

۱ كيف يمكن للعدم أن يفيض الوجود؟

سؤال: يؤمن الموحدون بأنّ اللّه خلق العالم من العدم، فكيف يكون العدم مصدراً للوجود؟ الجواب: السؤال المذكور يمثل أحد شبهات المدرسة المادية. فزعماء هذه المدرسة يؤمنون بأنّ المادة قديمة وأزلية ويزعمون أنّها لم تسبق العدم، وهكذا أنقذوا أنفسهم من الشبهة المذكورة وأثاروها ضدنا فقالوا: إن زعمتهم أنّ المادة لم تكن موجودة ثم وجدت، فهذا يعنى خلق الوجود من العدم، فكيف يكون العدم من الوجود؟ والجواب عن هذا السؤال: إنّ الماديين لم يقفوا على مراد الموحّدين من قولهم «خلق اللّه العالم من العدم» وتصوروا «من العدم» من قبيل «من الخشب» أو «من الحديد» فى الأمثلة التالية: مثلًا يقال هذا الباب والنافذة من الخشب، وهذه الماكنة من الحديد، وهذا البيت من الحجر والطين، وبالطبع فإنّ الخشب والحديد والحجر علة مادية، والعناصر الثلاثة هى المواد

المكونة للباب والنافذة والماكنة، والأشياء المذكورة صنعت منها، فهى المادة الحقيقية والأساسية لها. والحال ليس مراد الفلاسفة المسلمين من قولهم «خلق العالم من اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۰ العدم» بمعنى أنّ العدم منشأ الوجود وأساسه وأنّه المادة المكونة له. بل مرادهم أنّ العالم لم يكن ثم كان، دون أن يكون للعدم أدنى مدخلية فى ظهوره وتكونه. وأوضح من ذلك: أنّ الماديين الذين يعتقدون بأنّ ذرات العالم قديمة وأزلية وغير مسبوقة بعدم، ويقابل ذلك الإعتقاد الإسلامى الذى يرى حدوث جميع الذرات وسبقها العدم، اطلقوا تلك العبارة فى أنّ العالم خلق من العدم، أى لو تصفحنا أوراق الوجود وعدنا إلىالوراء، فإننا سنبلغ نقطة تنتهى فيها أوراق الوجود وسوف لن يكون هنالك أى مظهر للوجود. والردّ على هذه الشبهة ما ذكرناه آنفا، ولو اغضضنا الطرف عمّا ذكر، فإنّ هذه الشبهة ترد على أصحاب النزعة المادية، ذلك أنّ القديم عندهم المادة وذرات العالم، وأمّا الصور والأشكال التى تظهر من تركب هذه الذرات فستكون حادثة قطعاً ومسبوقة بعدم، بمعنى أنّها تكونت من العدم. فمليارات الأحياء والنباتات مثلًا لها صور جوهرية وأشكال معينة ظهرت من تركيب الذرات، والقديم والأزلى من وجهة نظر المادى بالنسبة للإنسان والحيوان والنبات والنجوم إنّما يتمثل فى ذراتها، وأمّا الصورة الخاصة الإنسانية والشكل الحيوانى والنباتى لكل فرد منها حادث؛ أى لم يكن ثم صار لاحقاً. مثال آخر: تأخذ بيدك قلما وترسم صورة على لوح. فالذى كان سابقاً مادة الصورة (القلم) لا نفس الصورة، والصورة شىء لم يكن ثم كان فيما بعد، وعليه فنحن نطرح هذا السؤال على الماديين بشأن ظهور الصور فنقول: كيف ظهرت هذه الصور الجوهرية (كالإنسان الخارجى) والعرضية (كالصورة التى ترسم على الورقة) من العدم، وكل ما يجيب عنه الماديون بشأن ظهور هذه السلسلة من الصور والأشكال، هو ذاته الذى نجيب عنه بشأن ظهور المادة.

۲ هل النظام الذى يسود العالم دليل على خلقه؟

سؤال: إنّ انصع دليل يستدلون به على إثبات الصانع هو دليل النظم، والنتيجة التى ينبغى استنباطها من هذا الدليل أنّ لهذا العالم منظماً ومدبّراً لتصرفنا وتنظيمنا لأشياء هذا العالم؛ ولكن لا يمكن استنتاج خالق وصانع لوجودات هذا العالم؟ الجواب: الواقع أنّ أفضل دليل على وجود اللّه كما ذكر هو برهان النظم، ذلك أنّ النظام والدقّة تطالعنا فى كل جزء من المخلوقات؛ وهذا يدل على أنّ كل مخلوق إنّما صدر من مبدىء قدير وعليم. وأمّا هل مدبّر مخلوقات هذا العالم ومنظمها خلقها من العدم، فذلك مبحث آخر ثبت فى محلّه باب معرفة اللّه من خلال عدم أزلية المادة؛ ذلك لأنّه حين ثبت عدم أزلية المادة، كان من الضرورى أن يكون لها خالق ومدبّر أوجدها من العدم. وخلاصة القول إنّ برهان النظم يقتصر على إثبات حاكمية اللّه تعالى على عالم الخليقة؛ وأمّا إيجاد المخلوقات من العدم فإنّما يثبت بدليل عدم أزلية المادة. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۲ وقد أثبت الفلاسفة حدوث المادة بواسطة الأدلة الفلسفية، حيث أصبح حدوث المادة من المسائل الواضحة للعلوم الطبيعية بعد اكتشاف القانون الثانى للثرموداينمك والأنثروبية (اضمحلال العالم وانخفاض الحرارة وأنّ جميع الأجسام تسير من الحرارة إلى البرودة). وإليك بحث مقتضب بهذا الشأن: إنّ أول من اكتشف حدوث المادة والطاقة عن طريق العلوم الطبيعية وبرهن على حدوث عالم الخليقة هو «اسحاق نيوتن». حيث استنتج من مطالعاته ودراساته: أنّ العالم يسير من النظم والترتيب إلى العشوائية والانحلال، وسيأتى اليوم الذى تتساوى فيه حرارة جميع الأجسام، ومن هنا توصل إلىنتيجة مؤداها أنّ لهذا العالم بداية. ثم اعتقد بعد مطالعته للحرارة أنّ مقداراً من الطاقة فى جميع التغييرات التى تطرأ على الحرارة يتحول إلى طاقة ضائعة دون أن تتحول هذه الطاقة الضائعة إلى طاقة يمكن الاستفادة منها (القانون الثانى للثرموداينمك). وأدرك «بولتزمن» العالم الرياضى المشهور أنّ القانون الثانى للحرارة والحركة حالة خاصة لقاعدّة كلية أنّ التحول فى الحرارة فى كافّة الحركات يتضمن تبدل الطاقة وتبعثر نظام الذرات واضمحلال الخليقة. توضيح ذلك: وفقاً لقانون الثرموداينمك الثانى؛ أى قانون الحرارة الذى يصطلح عليه بالأنثروبى فإنّ حرارة الأجسام الحارة تسرى إلى الأجسام الباردة، ولا يمكن حدوث العكس تلقائيا. والحقيقة فإنّ الأنثروبى هو نسبة القوّة غير القابلة للاستفادة إلى القابلة للاستفادة، ومن المسلم به علمياً أنّ الأنثروبى آخذ بالأزدياد،

ولو كان العالم أزلياً وليس له بداية لتساوت حرارة جميع الأجسام قبل مدّة مديدة ولما بقيت قوّة قابلة للاستفادة وبالنتيجة لما حدث أى تفاعل كيميائى ولانعدمت الحياة على الأرض، لكننا نشاهد استمرار التفاعلات الكيميائية وتجدد مظاهر الحياة على الأرض. والخلاصة: أنّ العالم يتجه إلى حالة تبلغ فيها الأجسام جميعاً درجة متشابهة من التسافل وانعدام الطاقة الاستهلاكية واستمالة الحياة، ولو لم تكن للعالم بداية وكان موجوداً اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۳ منذ الأزل، لإنطفأت جذوة المنظومة الشمسية منذ مدّة بعيدة، ولاضمحلت طاقة الشمس وجميع كائنات المنظومة الشمسية- بما فيها الأرض وسكانها- ولانعدم وجود أى عنصر مشع.

۳ كيف السبيل إلى الاعتقاد بنظم العالم اللامحدود بهذا العلم المحدود؟

سؤال: إنّكم تقولون فى الردّ على مزاعم الماديين بشأن عدم انتظام عالم الخلقة: «إنّما يسع الإنسان أن يحكم بعدم انتظام بعض حوادث العالم إن وقف على جميع أسرار الخلق، والحال أنّ معلومات البشرية واكتشافاتها بحكم الصفر إزاء المجهولات». ولعل الطرف المقابل يحتج عليكم بنفس الجواب بشأن إثبات نظام العالم بالاستناد إلى المعلومات الحاضرة فيقول: إنّكم إنّما تستطيعون إثبات نظام العالم حين تقفون على جميع أسرار الخلق؛ فكيف تحكمون بحكمة وانتظام هذا العالم اللامحدود بهذا العلم المحدود. الجواب: إننا لا نزعم قط أنّ البشرية كشفت بهذا العلم المتطور أسرار العالم كافّة وسبرت أغوار جميع خفاياه، بل مازال العلماء يؤكدون أنّ معلومات الإنسان كلما إزدادت تضاعفت مجهولاته بنفس تلك الزيادة، وإننا نبغى إثبات: أنّ لهذا العالم (حسبما اكتشفه العلم وأماط عنه اللثام) نظاماً حكيماً ومذهلًا للعقول والألباب؛ غير أننا لا ننوى الخوض فيما ليس لنا به اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۶ علم. وكل ما نقوله إنّ الدائرة التى أضاء جوانبها العلم مفعمة بالنظم والدقّة، وبالطبع رغم صغر حجم هذه الدائرة إزاء مجموع أسرار عالم الخلقة، إلّاأنّها غاية فى السعة بالنسبة لنا. وهذا يكفى فى إثبات وجود الخالق العليم والحكيم؛ ذلك لأنّه لايمكن نسب واحد بالمليار من النظم الذى كشف عنه العلم إلى الصدفة والطبيعة العمياء؛ بل يمكن اعتباره نموذجاً لدقّة عالم الوجود. ولتقريب المطلب دعنا نستعين بهذا المثال: أفرض إننا ظفرنا بكتاب ضخم للغاية يعود إلى الأزمنة الماضية، واستطعنا بعد جهد جهيد ومساعٍ متواصلة وبالاستفادة من مطالعة مئات الكتب أن ننجح فى إدراك بعض صفحاته، وقد اختزنت هذه الصفحات عالم من الأسرار والحقائق، بل كان كل سطر فيه يثير العديد من المطالب العميقة والقيمة يكشف عن عقلية مقتدرة وفذة، فرغم عدم وقوفنا على صحة أو سقم مطالب سائر صفحات الكتاب، إلّاأننا نستطيع أن نحكم من خلال هذه الصفحات على أنّ مؤلف هذا الكتاب نابغة وعبقرى فذ، بل نستطيع أن نفهم إجمالًا من هذه الصفحات أنّ ما تبقى منها تفيض بآلاف الأسرار والخفايا العلمية التى لم نؤهل لحد الآن لإدراكها. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۷

۴ هل يمكن إدراك الذات المطلقة؟

سؤال: هل ذات اللّه متناهية أم لا؟ وبغض النظر عن ذلك هل عقلنا وفكرنا متناه فى وظائفه أم لا؟ وهل يسع المتناهى إدراك اللامتناهى؟ الجواب: للاجابة عن هذا السؤال وأشباهه نلفت انتباه القراء الأعزاء إلى ما يلى: ثبت فى مباحث معرفة اللّه وصفاته أنّ اللّه وجود لا متناهٍ من جميع الجهات؛ لا متناهٍ من حيث الوجود ولا متناهٍ من حيث العلم والقدرة ولا متناهٍ من حيث الزمان والمكان، فلا يخلو منه مكان، ولا ينعدم فى زمان، وليس هنالك من شىء لا يعلمه اللّه ولا فعل يعجزه. وبناءً على هذا فاللّه وجود مطلق ولا متناهٍ من جميع الجهات وهذا أصل أساسى فى الأبحاث كافّة المتعلقة بصفات اللّه وبالاستناد إلى هذا الأصل يثبت العلماء صفات اللّه. وباستثناء الذات المقدّسة فإنّ كل شىء سواها محدود؛ محدود من حيث الزمان والمكان وسائر الجهات. ومن البديهى أنّ الوجود المحدود يعجز عن إدراك الوجود اللامحدود كما هو؛ ومن هنا اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۸ نقول: يستحيل على البشرية إدراك الذات الإلهيّة المقدسة؛ وكل ما لدينا بشأن هذا الوجود معلومات إجمالية، نعلم بهذا الوجود، ونعلم أنّ له علماً وقدرة، وينطوى على صفات

الكمال كافّة، لكننا نجهل خصائص وجوده وعلمه وقدرته؛ أى كنه ذاته وصفاته. وليس كنه ذاته وصفاته مجهولًا لدينا، بل مجهولة لدينا حقيقة أغلب موجودات هذا العالم المحيطة بنا، فالبشرية لم تقف لحد الآن على حقيقة «الحياة». وإننا لا نحسن معرفة الأشياء إلّامن خلال آثارها فى حين نجهل هويتها الواقعية والحقيقية، ولعلنا لا نعيش حتى هاجس التعرف على حقيقة الأشياء كافّة بفعل ما نتمتع به من محدودية ووسائل وأدوات قاصرة. فأفكارنا بمثابة ملعقة إزاء الذات الإلهيّة المقدّسة التى تمثل محيطا متلاطماً، من حيث التصور أن يدرك الوجود الذى يحيط به من جميع الجهات. وهل يسع الجنين (لو كان له عقل) أن يرسم صورة صحيحة لأُمّه ويتصور شكلها وسائر خصائصها؟ قطعاً لا؛ وذلك لأنّه محاط والأُم محيطة به، رغم محدوديتهما معاً؛ فما ظنك بالإنسان المحاط بالنسبة لإدراك الذات المقدّسة اللامتناهية المحيطة به؟! اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۹

۵ هل اللَّه قوّة؟

سؤال: هل صحيح ما يقال: (إنّ اللَّه قوّة عظيمة حاضرة فى كل مكان وخالق لجميع الكائنات)؟ الجواب: لا يصح اطلاقاً التعبير عن اللَّه بالقوّة؛ لأنّ ذلك قد يدعو إلى اللبس بشأن سائر قوى الطبيعة، فاللَّه وجود لا متناهٍ من جميع الجهات، وحاضر فى كل مكان وليس له صفات كصفات الوجودات الطبيعية وقد شدد العلماء فى كتبهم «العقائدية والدينية» على وجوب التحفظ عن استعمال أى لفظ تشم منه رائحة التجسم والمادية بشأن اللَّه تنزيهاً له عن التشبه بأى من الأمور المادية، ومن هنا لابدّ من التحرز عن استعمال لفظ (القوّة) على اللَّه، وعليه لابدّ من القول: إنّ اللَّه ليس بقوّة، بل اللَّه اسمى من المادة والقوّة والطاقة فهو خالقها جميعاً.

۶ كيف يكون كمال توحيد اللَّه نفى الصفات عنه؟

سؤال: جاء فى الخطبة الأولى من نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «وكمال توحيده الاخلاص له وكمال الاخلاص له نفى الصفات عنه». فكيف يمكن أن يكون نفى الصفات عن اللَّه كمال توحيده؟! الجواب: يمكننا أن نقف على دليل هذا الموضوع فى كلام أمير المؤمنين عليه السلام فى هذه الخطبة إذ قال: «لشهادة كل صفة أنّها غير الموصوف وشهادة كل موصوف أنّه غير الصفة». توضيح ذلك: ثبت فى الأبحاث الواردة فى صفات اللَّه أنّ صفاته عين ذاته وليست زائدة عليها كما هو الحال فى صفات البشر، بمعنى أنّ الذات شىء والصفات شىء آخر بالنسبة للممكنات؛ فمثلًا علمنا غير ذاتنا وعارض عليها، إلّاأنّ صفات اللَّه ليست كذلك؛ أى أنّ علمه عين ذاته، وبعبارة أخرى هى ذات كلّها علم وقدرة وحياة. وعليه فمراد الإمام عليه السلام من قوله كمال توحيده نفى الصفات عنه، يعنى نفى الصفات الزائدة على الذات. فحين نقول: لدينا علم. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۲ فعلمنا شىء، ونحن شىء آخر، لم نكن عالمين ثم تعلمنا العلم تدريجياً، ولو كانت لدينا معلومات منذ البداية، فعلمنا أيضاً غير وجودنا، أو أنّ ذلك العلم يشكل زاوية من وجودنا على وجه الدقّة. وهكذا قدرتنا الكامنة فى عضلاتنا وأعصابنا، إنّما تشكل زاوية أخرى من وجودنا، وهذا العلم والقدرة مختلفان ويشكلان زاويتين مختلفتين من وجودنا، فبعقولنا وأرواحنا ندرك ونفهم الحقائق، وبعضلاتنا القوية نرفع الأجسام الثقيلة من الأرض. فصفاتنا ليست عين ذاتنا ولا عين بعضها بعضاً. والأمر ليس كذلك بالنسبة للَّه؛ فذاته عين العلم وعين القدرة وعين الحياة والإدراك؛ أى أنّ العلم لا يشكل زاوية من ذاته ولا تشكل القدرة زاوية أخرى منها، فجميع ذاته علم وجميعها قدرة. وعليه فقدرته أيضاً عين علمه. ولعل تصور هذا الموضوع يصعب على الكثير، ويظنونه ضرباً من الخيال، وبالطبع ربّما لهم بعض الحق؛ لأنّ صفاتنا ليست كذلك، حيث ألفنا الصفات التى يشكل كل منها جانباً من وجودنا وتختلف بعضها عن البعض الأخر، ومن هنا يصعب إدراك الصفات التى تمثل عين الذات، بل يبدو إدراكها مستحيلًا على بعض الأفراد. ونرى من الضرورة بمكان أن نستعين ببعض الأمثلة لتقريب الموضوع إلى الأذهان: لو تأملنا الضوء وشعاعه، فكل شىء يبدو واضحاً من خلاله. وعليه فالكاشفية والايضاح إحدى صفات الضوء، ولكن هل هذه الخاصية كامنة فى زاوية من وجود الضوء أم لا؟ بل الضوء كله كاشفية وايضاح. مثال آخر:

تقول أدلـة التوحيـد: إننـا مخلوقـات اللّه وهو خالقنـا، كمـا صـرحت الأبحاث السابقـة بشأن علم اللّه: إننا معلومون للّه، أى أنّ اللّه عالم بوجودنا. واستناداً لما تقدم يرد هذا السؤال: هل مخلوقيتنا ومعلوميتنا للّهوالتى تعتبر من صفاتنا يشكل كل منها زاوية من وجودنا أم لا؟ والجواب على هـذا السؤال واضح، فكل وجودنا مخلوق للّه، كما أنّ كل وجودنا معلوم لتلك الذات المقدّسة. وعليه فصـفة المخلوقية والمعلوميـة غطت جميع وجودنـا، وبعبـارة اجوبـة المسائل الشـرعية، ص: ۲۳ أخرى اتحـدت مع كامـل ذاتنـا. طبعـاً المراد من المثـالين المـذكورين الابتعاد عن المألوف لدينا من الصـفات المتعارفة الزائدة على الذات، وإدراك الصـفات التى تمثل عين الذات. «۱» اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۵

۷ من خلق اللّه؟

سؤال: قد يبدو هذا السؤال مثيراً للدهشة، لأنّ الفيلسوف الانكليزى المعروف «برتراند رسل» صـرح فى أحد كتبه قائلًا: كنت فى شبابى أؤمن باللّه، وأرى برهان «علـة العلل» أفضل دليل على وجوده، فلكل ما فى العالم علّة، ولو تابعنا سلسـلة العلل لوصـلنا إلى العلة الأولى التى نسـميها «اللّه». لكنّى تراجعت لاحقاً عن هـذه العقيـدة، ذلك لأنّ السؤال الـذى يتبادر إلى الأذهان على ضوء هذا الدليل: أنّ لكل مخلوق خالق وعلّة، فلا بد أن تكون للّهعلّة وخالق، فكيف السبيل إلى حل هذا الإشـكال؟ الجواب: يعتبر هذا الإشكال من الإشكالات المشـهورة وفى نفس الوقت الساذجـة التى أثارها أصـحاب النزعـة المادية. فهؤلاء يقولون بكل بساطة: إن كان اللّه هو الذى خلق كل شىء، فمن خلق اللّه؟ ولكن مـا الـذى دعا الفيلسوف المـذكور إلى التعرف على هـذا الإشـكال لاحقاً، على كل حال لابـدّ من تسـليط الضوء على هذا السؤال الذى يساور أذهان العديد من الشـباب: ولعل الجواب عن هذا السؤال يتضح من خلال الإلتفات إلى عدّة أمور مهمّـة بهـذا اجوبة المسائل الشـرعية، ص: ۲۶ الشـأن: لو سـلّمنا لأفكـار المـاديين واتفقنـا مثلًا مع الفيلسوف «رسل»، فهل سنسـلم لهـذا الإشـكال؟ قطعاً لا! ... لماذا؟ لأنّ أصـحاب النزعـة الماديـة يؤمنون بقانون العليـة، فهم يعتقـدون بأنّ كل شـىء فى عالم الطبيعة معلول لآـخر. وعليه يرد عليهم نفس الإشـكال: إن كـان كـل شـىء معلولًا للمادة فما معلول المادة؟ وعلى هـذا الأساس (وبالنظر إلى اسـتحالة امتداد سلسـلة العلل والمعاليل إلى مالانهاية) فإنّ جميع الفلاسفة (ربّما فيهم الفلاسفة الماديون والإلهيون) يؤمنون بوجود أزلى (وجود كان موجوداً على الدوام)، غاية الأمر أنّ الماديين يزعمون أنّ هذا الوجود الأزلى هو «المادة» أو شـىء مشترك بين المادة والطاقة، أمّا الموحّـدون فيرون أن الوجود الأـزلى هو اللّه، ويتضـح من هـذا أنّ «رسـل» مضـطر للإيمـان بوجود أزلى (وإن كان المادة). فهل لهـذا الوجود الأزلى من علة؟ طبعا لا .... لماذا؟ لأنّ الوجود الأزلى موجود دائماً، والوجود الدائمى لا يحتاج إلى علّة، والوجود الذى يحتاج إلى العلـة ما كان معـدوماً مـدّة ثم اكتسب الوجود لاحقاً (تأمل). والنتيجـة: أنّ وجود مبـدأ أزلى ودائمى قول يعتقد به الجميع، والأدلة العقلية فى بطلان التسلسل (سلسلة علل ومعاليل لا متناهية) جعلت جميع الفلاسفة يقرون بوجود المبدأ الأزلى. وعليه فليس هنالك من خلاف بين الفلاسـفة الإلهيين والماديين فى قبول أحـدهما لعلـة العلل وانكارها من قبل الآخر كما ظن «رسل»، بل يعتقـد كلاهما بعلة العلل أو العلـة الأولى. والسؤال المطروح: إذن ما الخلاف بينهما؟ والواقع أنّ اختلافهما يكمن فى أنّ الموحّدين يرون لتلك العلّة علماً وإرادة ويسـمون تلك العلّة (اللّه)، أمّا الماديون فيرونها مسلوبة العلم والإرادة ويسمونها (المادة). أمّا لماذا جهل الفيلسوف «رسل» هذا الموضوع، فلا يسـعنا سوى القول أنّه مختص بالعلوم الرياضـية والطبيعية وعلم الاجتماع، لا فى المسائل الدينية والفلسفة الأولى (بمعنى معرفـة الوجود وآثاره). ويسـتنتج ممّا سـبق أنّ فلاسـفة الـدين لا يكتفون بـدليل علـة العلل لإثبات وجود اللّه؛ ذلك لأنّ هذا الدليل لا يرشـدنا اجوبة المسائل الشـرعية، ص: ۲۷ سـوى إلى وجـود «العلـة الأـولى» أو بعبـارة أخرى إلى وجود أزلى يؤمن به حـتى الفلاسـفة الماديون. بل المسألـة المهمّـة لدى الفلاسـفة إثبات ما بعد العلة الأولى والذى يتمثل فى علمها المطلق التام، وإثبات هذه المسألة يبدو سهلا عن طريق تأمل نظام الوجود والأسـرار والعجائب والقوانين الدقيقة التى تحكم السـماوات والأرضـين وما تضمه من احياء متنوعة (تأمل). هـذا أول الكلام فى الرد على الإشـكال المـذكور. الموضوع الآخر الـذى تجـدر الإشارة إليه أنّ أساس هذا الإشـكال فى هذه

القضية (لابدّ من علّة وخالق لكل موجود). والحال هذا ليس قانوناً كلياً ولا يصح سوى على الوجودات المسبوقة بالعدم ثم ارتدت حلّة الوجود. توضيح ذلك: هنالك وجودات لم تكن موجودة سابقاً مثل المنظومة الشمسية ومن ثم الكائنات الحية- التى تشمل النبات والحيوان والإنسان- التى يشهد تاريخها على أنّها ليست أزلية الوجود، بل لم يكن لها وجود خارجى قبل ملايين السنين ثم اكتسبت الوجود لاحقاً. وممّا لا شك فيه أنّ ظهور هذه الوجودات يتطلب بعض العلل والعوامل، ومن المسلم به أنّ انفصال الكرة الأرضية عن الشمس (على ضوء نظرية لابلاس أو سائر النظريات) يعزى إلى عوامل خاصة، سواءً عرفناها أم لم نعرفها. كما أنّ ظهور الحياة الأولى فى النبات ثم الحيوان والإنسان إنّما يعزى إلى عوامل معينة، ومن هنا لا يكفّ العلماء عن بذل الجهود بغية التعرف على هذه العوامل، ولو لم تكن هنالك من علة لظهور هذه الموجودات، لما كان هنالك من سبب لظهورها فى مليون سنة أو بضعة مليارات من السنين، لماذا لم تظهر فى زمان يعادل ضعف هذا الزمان أو نصفه؟ لا- شك أنّ وجود زمان معين لظهورها يعدّ أفضل دليل على أنّ علّة وجودها إنّما تحققت فقط فى ذلك الزمان. أمّا إن كان الوجود أزلياً- سواء كان هذا الوجود الأزلى اللّه أو المادة- فإنّ مثل هذا اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۸ الوجود ليس بحاجة قط إلى علّة، ليس بحاجة إلى خالق وإله، ذلك لعدم وجود تاريخ لظهوره بحيث تضمن العلة الموجودة، أو كانت العلة معدومة فى ذلك التاريخ. فما كان أزلياً كان وجوده يفيض من ذاته لا من خارج الذات ليكون محتاجاً إليه (لابدّ من التأمل). فأنا وأنت والأرض والسماء والمنظومة الشمسية و ... بحاجة إلى خالق، فوجودنا ليس أزلياً وليس من ذاتنا، وليست العلة الأولى وعلّة العلل ليكون وجودها من ذاتها. مثال واضح: يستعين الفلاسفة ببعض الأمثلة لتوضيح كلامهم الفلسفى بغية تقريب الموضوع إلى الأذهان؛ فيقولون مثلًا: حين ننظر إلى غرفتنا نراها مضيئة. فنسال أنفسنا: هل الإضاءة من نفس الغرفة؟ ونجيب على الفور: كلا، ذلك لأنّ الإضاءة إن كانت من نفس الغرفة، فلا ينبغى أن تكون مظلمة فى أى وقت من الأوقات، بينما تراها مضيئة أحياناً ومظلمة أحياناً أخرى إذن فالإضاءة من مكان آخر. وسرعان ما يقتدح فى أذهاننا أنّ الإضاءة فى الغرفة بفعل الذرات أو الأمواج الضوئية المشعة فى الغرفة. ونتساءل ثانية: ما مصدر اشعاعات الضوء وذراته؟ ونجيب بعد شىء من التأمل أنّ اشعاع ذرات الضوء من ذاتها، فهذه الذرات لم تكتسب ضوئها من شىء آخر، ليس باستطاعتنا الظفر بأى مكان فى العالم فيه ذرات ضوء مظلمة واكتسبت الضوء من موضع آخر. فذرات الضوء مضيئة أينما كانت، والضوء جزء من ذاتها. نعم يمكن أن تزول هذه الذرات، لكن لا يمكن أن تكون مظلمة وهى موجودة (تأمل). وعليه فإن قيل: إنّ إضاءة كل مكان فى العالم معلول للنور، فما علّة ضوء النور؟ نقول فوراً ضوء النور جزء من وجوده. وكذلك حين يقال وجود كل شىء من اللّه، فمن أين وجود اللّه؟ نجيب وجوده من ذاته. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۹

۸ كيف السبيل إلى الاعتقاد بعلم اللّه بالحوادث الاتية؟

سؤال: إنّكم تقولون فى مبحث «معرفة اللّه» بشأن علم اللّه: (إنّ اللّه عالم بكافة أحداث الماضى والحاضر والمستقبل على حد سواء)، ولا يشذ شىء عن علمه، وعلمه بكافّة الأمور (علم حضورى، أى أنّ جميع الأحداث حاضرة عند اللّه، وليس هنالك من حجاب بينه وبين الحوادث الماضية والحاضرة والمستقبلية). ليس هنالك من نقاش فى الحوادث الماضية والحاضرة؛ إلّاأنّ القضية تبدو صعبة بالنسبة لحوادث المستقبل؛ فكيف يكون حاضراً عند اللّه ما لم يقع لحدّ الآن ولم يوجد؟ الجواب: تكفّلت الأبواب الواردة فى مباحث معرفة اللّه بالردّ على هذا السؤال وأمثاله. فالفكر البشرى المحدود هو الذى صنع بعض المفاهيم كالماضى والحاضر والمستقبل؛ فوجودنا محدود من حيث «الزمان» ومن حيث «المكان»، أى أننا نقع ضمن نقطة معينة من دائرة الزمان والمكان. ومحدوديتنا من حيث المكان خلقت لنا بعض المفاهيم كالقريب والبعيد، فلو كان وجودنا يسع جميع العالم فهل يبقى لدينا من معنى للقريب والبعيد؟! اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۰ وهكذا فإنّ محدوديتنا من حيث الزمان ترسم فى أذهاننا صورة للماضى والحاضر والمستقبل. فالحاضر هو الزمان الذى نعيش فيه، والمستقبل هو الزمان الذى يأتى بعدنا، والماضى هو الزمان الذى كان قبلنا، أى أنّ المعيار فى كل

مكـان هو وجودنـا. وعليه فمـا كـان زماناً ماضـياً بالنسـبة لنا، كان زماناً حاضـراً لمن عاش قبلنا بقرن، كما كان مسـتقبلياً لمن عاش قبل قرنين، ونسـتشف ممّا سبق فقـدان هـذه المفاهيم لمعانيها بالنسـبة للوجود اللامتناهى الحاضـر فى كل زمان ومكان؛ فهو يرى الماضـى والمسـتقبل كالحاضـر، وكلها حاضرة عنده على حد سواء. فمثلًا: الشخص الذى ينظر من نافذة فى غرفة إلى قافلة من الجمال إنّما يرى كل لحظة جملًا، فترتسم صورة فى ذهنه عن الماضـى والحاضـر والمستقبل لهذه القافلة (لأنّ البوابة التى ينظر من خلالها محدودة)، أمّا الشـخص الواقف خارج الغرفـة وينظر إلى القافلـة فهو يراها تتحرك جميعاً فى فترة واحدة! بعبارة أخرى: كافّة الأحداث حاضـرة لدى الوجود الـذى يفوق الزمـان والمكـان. وما نقوله من أنّ الحوادث المسـتقبلية ليست موجودة الآن صـحيح، لأنّ «الآن» إشارة إلى الزمان الحاضر الذى نعيشه، إلّاأنّ ذلك لا يعنى عدم وجود المستقبل فى ظروفه، بل كل وجود موجود فى ظرفه ولا يمكن أن تسلب كلياً من صفحـة الوجود، ويمكن القول إنّ حادثة الغد ليست واقعة اليوم، لكنّها ليست غير موجودة أصـلًا (تأمل). اجوبة المسائل الشـرعية، ص: ۳۱

۹ ماذا يعنى جمال اللّه ولقائه يوم القيامة؟

سـؤال: ثبـت فى مبحـث معرفـة اللّه أنّ اللّه ليس بجسم ولاـ يمكن رؤيته ولاـ يصـح اطلاـق أى لفـظ على اللّه تشم منه رائحـة التجسـم وعوارض الجسم؛ مع ذلـك فقـد ورد فى بعض الروايـات: «إنّ اللّه جميل يحبُّ الجمال» «۱» والذى يسـتفاد من هذه العبارة أنّ الرؤية ممكنة على اللّه، لأنّ الجمال من الصفات التى تشاهد بالعين. كما جاء فى الخبر: «من طلب الدنيا استغناء عن الناس و تعطفا على الجار لقى اللّه ...» «۲» . وعليه فالخبر يشـير إلى جسـمية اللّه. الجواب: أحياناً ترد بعض العبارات فى الآيات القرآنية وكلمات أئمّة الدين التى تصور للوهلة الأولى منافاتها مع هذه الحقيقة المسلمة فى نزاهة اللّه عن التجسيم والرؤية، من قبيل «يَدُ اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۲ اللّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ» «۱» و «... وَأَنَّ اللّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ» «۲» و «أنَّ اللّهَ يرى أعمالَكُم». إلى جانب ذلك هنالك الفرقة التى يصـطلح عليها ب «المجسمة» وكما يبدو من اسمها فإنّها تقول بتجسم اللّه، والسبب الذى يقف وراء هذا الإعتقاد لا يتجاوز النظرة السطحية لبعض الآيات والروايـات. ولكن بالإسـتناد إلى طائفـة كبيرة من الآيات والروايات التى تنفى صـراحة أيـة عوارض للجسم عن اللّه وتتحـدث عن ذاته المطلقـة التى يسـتحيل إدراك كنههـا، يتضـح أنّ مراد تلـك الآيات والروايات ليس ما يبـدو للوهلـة الأولى، بل المراد نوع من التشبيه والمجاز. توضـيح ذلك: نعلم أنّ الألفاظ والكلمات وضـعت لقضاء الحاجات اليوميـة وتدور حول محور الموضوعات المتعلقة بالحياة اليوميـة؛ ولا بـد من الإسـتعانة بهـذه الألفاظ لبيان الحقائق المتعلقة بالمبدأ والمعاد واللّه وصـفاته، وعليه فلا مناص من اللجوء إلى هذه الألفاظ المتعلقـة بعالم المادة واسـتعمالها مع بعض التشبيهات فى معانٍ جديـدة لعالم ما وراء الطبيعـة، فمثلًا حين نريـد أن نقول إنّ اللّه عالم بجميع الحوارات والمحادثات، ليس أمامنا سوى القول إنّ اللّه سـميع لكل شـىء، والمراد هنا من السـميع ليس السـمع بالأذن، بل العلم بجميع الأحاديث، وهكـذا بالنسـبة للرؤيـة وأمثال ذلك. وعليه فإن قيل إنّ اللّه (جميل) فليس المراد الجمال الجسـمى، بل المراد الكمـال الواقعى؛ ذلـك لأـنّ اللّه وجود جـامع للكمالاـت كافّـة التى تساور أذهاننا والتى لا تساورها، وبالطبع فإنّ هكـذا وجود جميل. وكذلك لقاء اللّه فى عالم الآخرة لا يعنى رؤية اللّه، بل مشاهدة آثار حكومته وقدرته وعدالته (أى ثواب وعقاب الأعمال) والتى تشير جميعاً إلى وجوده وآثار صـفاته، وقـد اعتبرت رؤيـة هذه الأثار بمنزلة رؤية اللّه. حتى روى عن أمير المؤمنين عليه السـلام أنّه قال: «ما رأيتُ شـيئاً إلّاورأيتُ اللّه قبلَه وبعـدَه ومعَه» والمراد رؤية آثار علم اللّه وقدرته من خلال رؤية جميع الأشـياء. اجوبة المسائل الشـرعية، ص: ۳۳

۱۰ هل يستطيع اللّه أن يخلق له شبيهاً؟

سؤال: لاـ شـكّ ولا ريب أنّ اللّه قادر على كل شـىء «إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ» «۱» والتى لا تفارق مخيلـة كل موحـد، مع ذلك

هنالك بعض المواضيع التى تساور الذهن والتى لا يسع العقل التفكير فى أنّ اللّه قادر عليها، فكيف نذعن لقدرته المطلقة ونؤمن بأنّه على كل شيء قدير؟ وإليك بعض النماذج: ۱- هل يستطيع اللّه أن يخلق مثله؟ فإن استطاع فسوف لن يكون من المحال وجود شريكٍ له، وإن لم يستطع فسوف لن يكون قادراً على كل شيء. ۲- هل يستطيع اللّه أن يدخل هذا العالم العظيم فى بيضة بحيث لا يصغر العالم ولا تكبر البيضة؟ فإن قلتم لا يستطيع فكيف تؤمنون بأنّه على كل شيء قدير، وإن قلتم يستطيع فالعقل لا يسعه تصور استيعاب البيضة لهذا العالم مجراته ومنظوماته كافّة. ۳- هل يستطيع اللّه أن يخلق موجوداً لا يقدر على القضاء عليه أو تحريكه؟ وكلا الصورتين لا تخلو من المحذورين السابقين؛ ذلك أننا إن قلنا لا يستطيع فكيف نؤمن بأنّه اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۴ على كل شيء قدير، وإن قلنا يستطيع، نتنكر لمطلقية قدرته؛ ذلك أنّ اللّه إن استطاع خلق جسم وعجز عن القضاء عليه أو تحريكه فكيف يكون قادراً على كل شيء ولا يستطيع أن يعدم أو يحرك جسماً يخلقه؟ الجواب: لا تبدو هذه الأسئلة جديدة وقد أثيرت من قبل الناس فى العصور السابقة وأورد أئمّة الدين الأجوبة الشافية عنها. ولعل الجواب المجمل لكل هذه الأسئلة بعبارة واحدة وهى: إنّ القدرة مهما كانت مطلقة ولا متناهية إنّما تتعلق بالشيء الذى يحكم العقل بإمكانه ويؤمن بأنّ هذا الشيء يمكن تحقيقه. أمّا الأشياء التى ليس لها إمكان ذاتى فهى من الأمور المستحيلة والممتنعة لدى العقل. توضيح ذلك: أننا حين نقارن أفكارنا فى الخارج نراها نوعين: النوع الأول: الأفكار التى لا يمانع العقل من وجودها ولا تحتاج فى لباسها لحلة الوجود أكثر من القدرة دون الحاجة إلى شيء أخر، من قبيل عالم الخلق على سعته وما ينطوى عليه من كائنات ومجرات وكواكب وأقمار و ... والممكنة ذاتها بأجمعها، والتى تكتسب ثوب الوجود فى ظل القدرة الربانية اللامتناهية. النوع الثانى: الموضوعات التى يحكم العقل بإمتناع وجودها، وليس ذلك بسبب نقص القدرة الموجودة أو عجزها، بل بذاتها تأبى الوجود. بعبارة أخرى: أنّ العقل حين يضعها على طاولة الحكم يدرك استحالة وجود مثل هذه الموضوعات (وإن كانت القدرة الموجودة لامتناهية) وبالتالى فإنّ الخلل فى ذاتها لا فى موجدها. فلو طلب على سبيل المثال من خياط ماهر أن يخيط بدلة عرس لفتاة تزف إلى زوجها من قطع الطابوق أو الخشب، أو من رسام بارع أن يرسم صورة لجناحى طاووس على أمواج البحر الهادرة، فسيرد الشخصان بالطبع بأنّ هذه الوسائل والأدوات ليست مؤهلة للموضوعات المطلوبة، فلا يمكن خياطة بدلة من الطابوق أو الخشب، كما لا يمكن رسم صورة على أمواج البحر. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۵ وما يقال: (لا يمكن خياطة أو رسم) تفيد عدم استعداد المحل ولياقته لهذا العمل. فقد أدرك الإنسان بحنكته وذكائه إنّ الخشب والطابوق ليسا من أدوات الخياطة وكذلك استحالة الرسم على الماء والهواء، وما أكثر ذلك فى الحياة اليومية. وعقل كل إنسان يدرك استحالة وجود شيء وعدمه فى نفس اللحظة، أو يكون المصباح مضيئاً ومطفئاً فى نفس الوقت أو أن يكون القدح مملوءاً وفارغاً فى نفس الوقت وما شاكل ذلك ... فإمتناع واستحالة هذه الموضوعات من البديهيات العقلية، ولا يسع الإنسان- مهما كان خيالياً- أن يفترض إمكانية لوجود مثل هذه الأشياء. وكل فرد- مهما كانت معلوماته بسيطة- يعلم أنّ ۲* ۲: ۴ ولا يمكن أن يكون ۳ أو ۵ ويتضح من هذه الأمثلة أنّ الأمور المستحيلة والممتنعة خارجة عن نطاق القدرة على مثل هذه الأمور، وإنّما تتعلق عادة بالأمور الممكنة التى لها قابلية الوجود. والآن نعود إلى الأسئلة المذكورة على علّة عدم تحققها. يتضح من أدنى تأمل أنّ عدم تعلق القدرة بتلك الأمور كونها جزءاً من المحالات والأمور المحالة خارجة عن دائرة القدرة. فمثلًا وجود مثيل للّهمحال، وأثبت العلماء فى بحث صفات اللّه وحدانيته بالأدلة القاطعة ونفوا عنه أى شريك وشبيه وعدّوا ذلك محالًا، وعليه ففرض خلق المثيل محال. ومن هنا فإنّ قدرة اللّه على خلق شريك له، من قبيل قولنا إنّ اللّه يستطيع أن يفيض الوجود على أمر محال. بعبارة أخرى: أنّ مفاد خلق اللّه لموجود مثله أنّ اللّه يخلق موجوداً واجباً فى الوقت الذى يكون فيه ممكناً، ولا متناهياً فى ذات الوقت الذى يكون فيه متناهياً، ويكون له وجود من نفسه فى الوقت الذى لا يمتلك فيه وجوداً من ذاته، وهل هذا إلّاالجمع بين النقيضين الذى قيل إنّه محال عقلياً. ذلك لأنّ اللّه إن خلق موجوداً مثله فلابدّ أن يكون ممكناً ومتناهياً كونه مخلوقاً للّهوليس له وجود من ذاته، ولكن من حيث إنّه شبيه للّهومثله فلابدّ أن يكون مثله من جميع الجهات، أى واجب الوجود ولامتناهٍ وله وجود من ذاته، والجمع بين هذه الصفات المختلفة هو جمع بين

النقيضين وهو مُحال. وكذلك السؤال: هل يستطيع اللّه جعل العالم فى بيضة هو سؤال عن إيجاد أمر محال، اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۶ ذلك لأنّ العقل يحكم على أساس سلسلة من الحسابات والمشاهدات أنّ الظرف ينبغى أن يكون أكبر من المظروف ويستحيل استيعاب شىء كبير فى ظرف أصغر منه. وعليه فطلب جعل العالم فى بيضة هو طلب لمحال، واتضح ممّا سبق أنّ الأمور المستحيلة خارجة تماماً من دائرة القدرة، والقدرة إنّما تتعلق دائماً بأمر ممكن «۱». وأمّا بشأن السؤال الثالث هل يستطيع اللّه خلق موجود ولا يقدر على القضاء عليه، هو الآخر يصدق عليه ما سبق ومن قبيل سؤال أمر محال. فمن حيث كون مثل هذا الموجود مخلوقاً للّهلابدّ أن يكون ممكناً، وكل ممكن عرضة للفناء ذاتاً. فإن افترضنا هذا الموجود يأبى الفناء، فلابدّ أن نفرض فى هذه الحالة أنّه واجب الوجود وبالتالى سيكون الشىء «ممكن» و «واجب» فى نفس الوقت، وبعبارة أخرى لابدّ أن يكون ممكناً كونه مخلوقاً للّه، ولكن من حيث إنّه يأبى الفناء فلابدّ أن يكون واجباً وهذا جمع بين النقيضين. وكذلك السؤال أن يخلق اللّه موجوداً لا- يستطيع تحريكه هو سؤال جمع بين النقيضين؛ فمن حيث كونه مخلوقاً للّهلابدّ أن يكون محدوداً ومتناهياً وبالطبع قابل للتحريك، ومن حيث تعذر تحريكه فيفترض أنّه لامتناهٍ ولا- محدود، وعليه فسؤال هذا الأمر هو جمع بين النقيضين. وخلاصة الجواب: أنّ جميع هذه الفرضيات محالة وممتنعة وطلب إيجادها يعنى إفاضة الوجود على الأمور الممتنعة ذاتاً، والأمور الممتنعة خارجة عن دائرة القدرة، وليست لها عقلياً قابلية الوجود. وعليه ليس هنالك من عجز فى القدرة، بل العجز فى الشىء. وبعبارة أوضح: العجز فى قابلية القابل لا فى فاعلية الفاعل. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۷

۱۱ أعمالنا والعلم الأزلى

سؤال: إنّ اللّه يعلم منذ الأزل بأنّ الجانى الفلانى سيرتكب جناية فى لحظة معينة، وعليه فإنّ هذا العلم سوف يخالف الواقع إن لم يرتكب جنايته. والأمر ربّما يصبح كما تمثله الخيام فى شعره من أنّ الحق يعلم منذ الأزل بشرب الخمر فإن امتنعت عن شرب الخمرة كان علم اللّه جهلًا. توضيح السؤال: إنّ اللّه عالم منذ «الأزل» بما يحدث تدريجياً فى عالم الوجود، وهو عالم منذ الأزل بحركة الكواكب فى السموات وحركة الالكترونات حول مدارات الذرة وحركة أوراق الأشجار وأمواج البحار وحركة الأسماك فى أعماق المحيطات. وعلم اللّه محيط قبل أن يخلق البشر بسلوك الجناة وجرائم العتاة وإراقة الدماء من قبل سفاكى الدماء، ويعلم بكل شخص ماذا سيفعل فى اللحظة الفلانية، وعليه فليس لأىشخص من مفرّ من ارتكاب ذلك العمل الذى يعلمه اللّه ولا يستطيع التخلف عن الإتيان به، ذلك لأنّه إن لم يفعله كان علم اللّه خلافاً للواقع وبالتالى يصبح علمه جهلًا. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۸ الجواب: كل ما قيل فى السؤال بشأن علم اللّه صحيح ومنطقى؛ أى أنّ اللّه عالم بكل شىء منذ الأزل، إلّاأنّ النتيجة التى رتبت على ذلك (من أنّ الإنسان مجبر على القيام بأى من أفعاله) باطلة جملةً وتفصيلًا. ولا بدّ هنا من بيان أمرين لكى تتضح هذه الحقيقة: ۱- إنّ حرية الإنسان وإرادته فى القيام بأى عمل يشاء ممّا أجمع عليه عقلاء العالم كافّة، حتى أولئك الذين يرون الأفراد مجبرين على أفعالهم، يحترمون المبدأ المذكور ويعتقدون أنّهم مختارون فى بعض أفعالهم- ولذلك- إن سمعوا إهانة من شخص أو إن قصّر أحد أولادهم فى القيام ببعض وظائفهم لهبّوا سريعاً لمعاقبته ومؤاخذته على ما بدر منه. وبناءً على هذا لابدّ أن نذعن بأنّ ذلك الفرد الجانى الذى يطعن آخر بسكين فيقتله أو شارب الخمر الذى يتناول الكأس تلو الآخر إنّما يفعل ذلك بمل إرادته واختياره، وليس هنالك أى منصف يزعم أنّ فعل الجانى وشارب الخمر غير اختيارى على غرار التنفس وهضم الطعام الذى لا يمكن تجنبه بأى شكل من الأشكال. ولو عدنا لأولئك القلّة الشاذة التى تصادر إرادة الفاعل واختياره وعرضناهم لبعض التجاوزات والإساءات لاستعانوا فوراً بالمراجع القضائية وطالبوا بمعاقبة المعتدى. ۲- إنّ علم اللّه كما بيّنا سابقاً مرآة للواقع ولايتخلف عنه قط، ولكن لابدّ من الإلتفات إلّا أنّ علم اللّه إنّما يتعلق بالشىء بالقيد والصفة التى له فى الخارج وبالخصوصية التى يتحقق بها. توضيح ذلك: أنّ البشرية طيلة حياتها كانت مبدأ لنوعين من الأفعال؛ طائفة من الأفعال التى يمارسها على أساس الإرادة والاختيار، فالصبغة المميزة لهذه الطائفة من الأفعال أنّها «أفعال

اختياريـة». والطائفـة الأخرى من أفعاله هى «الأفعال اللاإراديـة» أو التى يصـطلح عليها ب «الاضـطرارية»، من قبيل الـدورة الدمويـة فى الشـريان ونبض القلب وفعاليات الجهاز الهضـمى و ... والمميز الرئيسى لهذه الأفعال أنّها «أفعال غير اختيارية». اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۹ وعلى ضوء المبـدأ المسـلم الـذى ذكرنـاه- من أنّ علم اللَّه هو الواقع ولا- يتخلف عنه أبـداً- فـإنّ كـل فعـل من أفعالنـا بتلك الخصوصـية والصـبغة التى له فى الخارج معلوم لـدى اللَّه منـذ الأزل، أى أنّ اللَّه يعلم منذ الأزل بأنّ ذلك الفعل المعين سـيبدر منّا فى لحظـة معينـة بمنتهى الاختيار والحرية، وكذلك الطائفة الثانية من أفعالنا فإنّ اللَّه يعلم منذ الأزل أن فعلًا معيناً سـيصدر منّا اضـطراراً فى ساعـة معينـة. وعلى ضوء هـذين المطلبين نخوض الآن فى توضـيح الجواب: أثبت المطلب الأول أنّ طائفـة من أفعالنا أراديـة واختيارية وإننـا نملـك الحريـة التامـة فى تركهـا أو الإتيـان بها. وأثبت المطلب الثانى كما أنّ اللَّه عالم بأصل الفعل، فهو عالم أيضاً بخصوصـيته وصـفته وأنّه اختيارى أم اضـطرارى، وبعبارة أخرى فإنّ فعلنا بتلك الخصائص والمميزات التى له فى الخارج معلوم عنـد اللَّه. واسـتناداً لما مرّ معنا بشأن أفعالنا الأختياريـة نسـتنتج أنّ اللَّه كان يعلم منذ الأزل بأنّ الشـخص الفلانى سـيطعن بالسـكين فلاناً من الناس بالساعة الفلانيـة من اليوم الفلانـى بمل إرادته. ومثل هـذا العلم السابق (علم اللَّه الأزلى) لا يوجـد «إجبار» الإنسان وسـلبه الحريـة والإرادة، ولا يحق للشـخص الجانى أن يتذرع بالعلم الإلهى فيعتبر نفسه مجبراً على القيام بتلك الجناية، لأنّ اللَّه لم يكن عالماً بأصل الفعل فحسب، بل كان عالماً بأنّ ذلك الشـخص سـيرتكب تلك الجنايـة باختياره وحريته (لابـدّ من التأمل). وهذا العلم يؤيد ويكشف حرية الإنسان فى قيامه بأفعاله دون أن يوجب أى اجبار عليه؛ ذلك لأنّ هذا العلم الذى يأبى مخالفة الواقع بأى شـكل من الأشـكال يفيد أنّ الإنسان إنّمـا يقوم بأفعـاله على أسـاس حريته واختيـاره، ولو فرضـنا أنّ ذلـك الإنسـان كـان مجبراً على أفعـاله وأنّه يقوم بهـا دون أدنى اختيار وحرية، لأصبح علم اللَّه مخالف للواقع وكان جهلا. بعبارة أخرى إنّنا إن مارسـنا أفعالنا- الحسنة أو السيئة- بحرية واختيار فإنّ علم اللَّه سيكون مطابقـاً للواقع، بينمـا سـيخالفه إن كنّا مجبرين على تلـك الأفعـال. اجوبـة المسائل الشـرعية، ص: ۴۰ شـرح أبسـط: لعل البيان الفلسـفى المـذكور يبـدو صـعباً على البعض. ولتبسـيط الموضوع نسـتعين بهـذا المثال لنرى كيفية الردّ الذى يسوقه من يتذرع بعلم اللَّه الأـزلى فى مـا يرتكبه بعض الأشـخاص من جرائم وجنايـات ليلتمسوا لهم الأعـذار فى مـا يمارسون من ظلم وأثم وهل يعتمـدون ذات المنطق فى هـذا المثال: فأغلب الأساتـذة يسـتطيعون التكهن بمسـتقبل تلامـذتهم، فالأسـتاذ الـذى يتابع عن كثب مسـتويات طلّابه ربّما يمتلك رؤيـة واضـحة تامـة عن أولئك الـذين سـيجتازون الإمتحان ومن يفشل فيه، ولنفترض أنّ الأسـتاذ يعرف بكسل أحـد التلامذة ومدى إهماله وقضائه لوقته فى اللعب دون أن تؤثر فيه نصائحه وإرشاداته وعليه فإنّ الأسـتاذ يسـتطيع أن يحدد نتيجة هذا التلميذ مسبقاً وسـيكون علم الأسـتاذ مطابقاً للواقع بالطبع، وهنا نتساءل عن السبب الذى يقف وراء فشل التلميذ فى الإمتحان، أيكمن فى علم الأستاذ أم فى نفس التلميذ؟ ولو تكهن الأسـتاذ بنتيجة أخرى مغايرة، فهل كان يمكن تحققها بحيث كان ينجح ذلك التلميذ فى الإمتحان، أم أنّ رسوبه فى الإمتحان كان معلولًا لإهماله وكسـله؟ قطعاً ليس هنالك أى عاقل يوعز فشل التلميذ إلى علم الأسـتاذ، ويجزم أنّ إهمال التلميذ كان هو السبب وراء فشله ورسوبه فى الإمتحان. وهل يشك أحد فى أنّ التلميذ هو المسؤول عن تقرير مصيره، وأنّه حرّ ومختار فى تحديد النتيجة التى يرغب فيها. والأمر كذلك بالنسـبة لعلم اللَّه ومصـير الإنسان وحريته فى أفعاله، مع العلم أنّ هنالك بوناً شاسـعاً بين علم الأستاذ ونتيجة تلامذته وعلم اللَّه بعباده، ذلك العلم الأزلى اللامتناهى، مع ذلك فليس لهذا الفارق من تأثير فى الجواب، وأنّ أى من العلمين لم تكن له مدخليـة فى النتائج ولا يوجبان سـلب الطرف المقابل حريته واختياره وإرادته. وخلاصة الكلام: أنّ اللَّه خلق الإنسـان وأودعه سلسـلة من المواهب والقـدرات ومنحه العقـل والإرادة والاختيار والحريـة وبين له سبيل السـعادة والفلاح، وجعل كل إنسان حرّاً فى ما يسـلك من سبيل. ونحن بدورنا من يقرر مصيره بمل حريته واختياره، وليس لعلم اللَّه أى تأثير فى تعيين هذا المصير، ذلك لأنّ هذا العلم لا يسـلبنا أى شـىء من الحرية والإرادة اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۱ والاختيار. ومن هنا نـدرك أنّ ما تمثل به الخيام بشأن شـرب الخمر وأنّه مضطر لشربها بعد سبقها بعلم اللَّه الأزلى لم يكن سوى سفسطة، ولعل سبب شيوع هذا اللون من التفكير لـدى المـدارس الغربيـة لا يعزى سوى إلى إيمانهم بالحريـة المطلقـة فى ممارسـة الـذنب والرذيلـة والذى لا يعدو كونه خداعاً للنفس

والوجدان. فليست هنالك أيّة قوّة تسوق الإنسان قسراً إلى ممارسة فعل من الأفعال. ولذلك ردّ المرحوم الخواجة نصير الدين الطوسى الفيلسوف المعروف على رباعيات الخيام المذكورة ليكشف عن مدى جهل من ينسب مقارنة الرذيلة لعلم اللَّه الأزلى «۱». اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۳

۱۲ مفهوم البداء

سؤال: ما المراد من «البداء» الذى يمثل احدى عقائد الشيعة؟ وهل صحيح ما يقال من ٠ أنّ الإمام الصادق عليه السلام قال قبل وفاة ولده «إسماعيل» الإمام من بعدى ولدى إسماعيل. ولكن لما توفى قى حياة الإمام قال: كان للَّهبداء فى إمامة ولدى إسماعيل؟! الجواب: للأسف أنّ موضوع «البداء» كان من بين المواضيع التى شنع بها المخالفون وحتى بعض علماء المسلمين على الشيعة فنسبوا لنا بعض القضايا الجوفاء دون أدنى تحقيق ومطالعة بشأن هذا المفهوم حسبما ورد فى مصادر أعلام الطائفة وعلماء العقائد والمذاهب ليتشبثوا بكلمة واحدة وذكروا لها عدّة تفسيرات لا تمت بصلة لعقائد الشيعة. ومن المسلم به أنّ مثل هذه التفاسير الشاذة لا تصدر عن عالم ومحقق «حتى وإن كان من المخالفين»، بل لا تصدر سوى عن بعض المتعصبين الذين يفتشون عن بعض الذرائع هنا وهناك لاستغلالها فى تحقيق أغراضهم ومأربهم؛ فهم يتربصون على الدوام علّهم يسمعون كلمة من الطرف المقابل ليتناولوها على طريقتهم فيعمدوا إلى ممارسة التضليل والتشهير اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۴ وبالتالى شنهم لحربهم الدعائية ضد هذا المذهب، ولعل لفظ «البداء» من بين هذه الكلمات التى سعوا لتشويهها. على كل حال للوقوف على حقيقة معنى كلمة «البداء» على ضوء عقائد الشيعة، نلفت الانتباه إلى معنى هذا المفهوم بشكل مختصر. «۱» تعنى كلمة البداء فى العربية: الظهور. قال تعالى فى كتابه العزيز بشأن الظلمة «وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون» «۲» . ويقال أيضاً: بدا من فلان كلام فصيح، وتستبدل (من) أحياناً بحرف (اللام) فيقال: بدا لفلان كلام صحيح. ومعنى العبارة الثانية نفس معنى العبارة الأولى. فإنّ عرفنا معنى العبارة الآن «بدا لفلان» نعود إلى أصل الموضوع: ما أكثر ما تتوفر لدينا مقدمات عمل معين، ولكن ربّما تطرأ بعض الأحداث المفاجئة وتتغير الظروف بحيث لا يتمّ ذلك العمل، فيقال هنا إنّ اللَّه لم يُرِدْ حصول هذا العمل، كما يمكن استبدال كلمة «بدا» هنا فيقال: (بدا للَّه أنّه لا يريد هذا). وعليه ليس المراد (اتضح للَّه) لتستلزم الجهل بالتقدير الثانى، بل المراد (اتضح لنا من اللَّه). ومن البديهى أن يخلو هذا الموضوع من القدح؛ وهو الموضوع الذى يقع مراراً طيلة حياة كل إنسان بحيث يشهد وقوع بعض الأمور غير المتوقعة، وهذه هى حقيقة «البداء». والآن نرى كيف امتزج هذا الموضوع بعقائد الشيعة وأصبح جزءاً منها؟ إننا نعتقد (وتشهد على ذلك الآيات القرآنية والأخبار والروايات) بأنّ البلاء قد يستكمل كل مقوماته وقدراته، ولعل هاجس وقوعه يكون قائما، غير أنّ الناس يلتجئون إلى اللَّه ويتضرعون إليه ويقلعون عن أفعالهم السيئة وتسود بينهم حالة من التعاون والتعاضد ويقومون بالأفعال الحسنة، فيرفع اللَّه عنهم البلاء ببركة أفعالهم وهذا بحدّ ذاته أحد مصاديق البداء. وأحياناً بالعكس حيث تكتمل مقدمات نعمة وخير، فيأتى الناس ببعض الأعمال التى تحول دون ذلك وهذا هو البداء. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۵ وما أكثر الحالات التى يتغير فيها مصير الإنسان أثر أعماله الصالحة والطالحة وهذا أحد امتيازاتنا فى أنّ نعتقد بأنّ مصيرنا يتوقف على أعمالنا. قد يقال للَّهبداء فى الموارد المذكورة وذلك على ضوء أفكارنا وحساباتنا، لأنّ الإنسان على أساس محدوديته يتصور الجزم بوقوع الحادثة الفلانية أو قطعية عدم وقوعها، وحين يرى خلاف ذلك ويقف على خطأ حساباته يزعم على ضوء فكره أنّ للَّهبداء فى هذه الحادثة، والحال لا يليق باللَّه البداء بل الإبداء. والخلاصة فإنّ وقوع الحوادث المفاجئة والتى لا تنسجم مع الظروف القائمة يبدو لنا «بداءً»، أى أنّ الشيء الذى كان خفياً علينا بدأ الآن؛ إلّاأنّه ابداء من جانب اللَّه، أى اظهار لما أخفاه، وما يستعمل أحياناً بشأن اللَّه من لفظ بداء بدل ابداء إنّما هو من قبيل المقارنة المذكورة. وأمّا بشأن إسماعيل ابن الإمام الصادق عليه السلام فقد قال عليه السلام: إنّه كان مقدراً أن يقتل ولدى اسماعيل، فدعوت اللَّه أن يصرف عنه شر الأعداء، فأجاب اللَّه دعائى ولم يقتل، بدا للَّهفى اسماعيل. وهذا مضمون حديث روته مصادر الشيعة ومعناه على ضوء ما ذكرناه واضح، ولا

يرتبط بمسألة إمامة إسماعيل ولا ندم اللّه تعالى! ولكن كما قلنا إنّ بعض الأفراد المتعصبين الذين يسعون لإستغلال كل حادثة، تشبثوا بكلمة «البداء» وزعموا: (أنّ الشيعة يعتقدون بأنّ اللّه يندم أحياناً على بعض أفعاله فيعيد النظر فيها، فكان من المقرر أن يكون إسماعيل ابن الإمام الصادق عليه السلام هو الإمام ثم ندم!). والحال يعتبر علماء الشيعة كل من يؤمن بهذه العقيدة كافراً. فأين الشيعة من هذه التهمة الشنيعة!! ولا ندرى ما السبب الذى يجعل مثل هؤلاء الأفراد يتحفظون حتى عن مطالعة كتابٍ واحدٍ من مؤلفات أعلام الطائفة ومحققيهم بهذا الخصوص ليقفو على الحقيقة فيعلموا: أولًا: ما هو البداء وثانياً: ماذا كانت قصّة إسماعيل ابن الإمام عليه السلام! أننا نأمل أن تنقشع سحب التعصب الظلماء عن سماء الإسلام وتزول السموم التى ترمى إلى بث الفرقة والتشتت فى صفوف المسلمين التى تشار من قبل المتعصبين من الافراد و الجهال.

۱۳ فلسفة البلاء

سؤال: ما أن تقع بعض الحوادث من قبيل الزلازل والسيول حتى يرى الإنسان نفسه أمام بعض التساؤلات من قبيل: «لم تقع بعض الزلازل والهزات الأرضية والأمراض الفتاكة التى تؤدّى بحياة الناس؟ ولماذا تقع هذه الحوادث فى مناطق معينة دون البعض الآخر؟ ما فلسفة وقوع مثل هذه الحوادث ونزول البلاء؟ هل هذه الحوادث عفوية للأفراد المذنبين؟ لماذا ... ولماذا ...؟». الجواب: حسب علمنا وما وصلنا من كتب أعلامنا فإنّ مثل هذه الأسئلة كانت تساور العديد من الأفراد- ولا سيما حين وقوع الحوادث الأليمة التى تدعو الإنسان إلى التأمل والتفكير- حتى أنّ تاريخ الأديان والعقائد يشير إلى أنّ البعض تخلى عن عقيدته التوحيدية ولجأ إلى بعض المدارس المادية و الإلحادية أثر عدم تلقيه الأجوبة الشافية التى تفسر ما لديه من أسئلة، ذلك لأنّ البعض قد يورد بعض التفاسير المقيتة التى تنسب هذه الظاهرة المفجعة إلى غضب الطبيعة وما شاكل ذلك، غير أنّ الحقيقة قد تبدو معكوسة تماماً لو نظرنا لهذه الأمور اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۸ بعين العقل والحكمة. توضيح ذلك: أنّ أحكامنا التى نصدرها بشأن الربح والخسارة إنّما هى نسبية على الدوام، فكل ما كان بمصلحتنا نحسبه مفيداً ونافعاً والعكس بالعكس، دون أن نكترث لانعكاسات الأمر على صعيد المجتمع ومستقبله فربّما تكون مادة كيميائية سامة لنا، بينما يمكن أن تكون هذه المادة علاجاً للأخرين وبالعكس ... فهل يشكل ربحنا أو خسارتنا معياراً حسناً أم قبح ظاهرة معينة، أم ينبغى دراسة الظاهرة من جوانبها كافّة بغية إصدار الأحكام بشأنها؟ لا بأس بهذا المثال لنقف على حقيقة هذه القضية: قطعاً هنالك بعض الفوائد والأضرار التى يستبطنها هطول الأمطار الغزيرة؛ وأحكام الناس بهذا الشأن ستكون متنوعة. فأولئك الذين يجرف السيل بيوتهم ومزارعهم سيتحدثون بلوعة قائلين: إنّى لأجهل سبب هذا البلاء الذى أصابنى! أمّا أولئك الذين كانت مزارعهم تعانى من شحة المياه أو تحتاج بعض محاصيلهم لمزيد من المياه، وقد امتلأت ترعهم وجداولهم بالمياه فلسان حالهم يقول: يالها من نعمة فضيلة، لقد أفاض اللّه علينا لطفاً وعناية! والواقع لو تأملنا جميعاً تأثيرات ذلك المطر لعدوه جميعاً «أمطار رحمة» لا غضب الطبيعة. أضف إلى ذلك فإنّ بعض أنواع البلاء نعمة كبيرة نجهل حقيقتها ونغفل عنها، فبعض الأمراض التى تصيب الإنسان مرّة فى حياته إنّما تحصنه عادة من الإصابة به ثانية. فلو نظرنا إلى المرض فى ذات اللحظة لاعتبرناه بلاءً، بينما لو أخذنا بنظر الاعتبار انعكاساته علينا باقى عمرنا لرأيناه نعمة. ولعل الفلسفة التى نفهمها من ظهور البلاء يتمثل فى إدراك النعمة. فلا أحد يدرك أننا نغرق فى بحر من النعم الإلهيّة، لكننا لا ندرك أغلب هذه النعم، اللّهم أن نسلب تلك النعمة لبعض الوقت. أفرض أنّ المرض انعدم من العالم، كيف يمكننا أن ندرك نعمة الصحة والعافية! ولو لم يكن لهذه الأرض حركة موضعية فهل كانت ستشهد من قرار! ولو لم يقع الجفاف أحياناً، فهل كان يسعنا الوقوف على دور المطر فى الحياة! وبناءً على ما تقدم وبغية لفت انتباه الإنسان إلى النعم التى لا تعد ولا تحصى فتشده إلى اللّه، إنّما اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۹ تشهد أحياناً بعض التغييرات لتقودنا إلى إدراك تلك الحقائق. هذه التغييرات الطفيفة والمؤقتة هى التى نصطلح عليها بالبلاء. أوليس فى هذا البلاء عبرة لمن اعتبر؟ وهل يبدو من العجيب أن ننعت هذا البلاء بأنّه نعمة ورحمة. وأمّا لماذا يشمل هذا البلاء بعض المناطق دون الأخرى ... ولا

تطال بعض النـاس ...؟ لابـدّ من الإلتفات هنا إلى أنّ هنالك سلسلة من القضايا الطبيعيـة تقف وراء ظهور البلاء، فإذا ما توفرت بعض الظروف يظهر البلاء. فقـد جاء فى بعض الروايـات أن أحـد شـرائط نزول البلاء شـياع بعض الـذنوب بين الناس، فنحن نقرأ فى دعاء كميـل: «اللهم اغفر لى الـذنوب الـتى تغير النعم، اللّهم اغفر لى الـذنوب الـتى تنزل البلاء ...». وقـال تبـارك وتعـالى فى محكم كتـابه الكريم: «وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً» «۱». اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۱

۱۴ ما معنى القضاء والقدر؟

سؤال: ما المراد بالقضاء والقدر؟ وإن كان المراد أنّ اللّه عيّن مصير كل فرد وليس لنا من سبيل سوى الإستسلام لهذا المصير فما معنى الآيـة الشـريفة: «وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى» «۱» فالآيـة الكريمـة تفيد أنّ مصير الإنسان تابع لإختياره دون أن يكون للقضاء والقدر تأثير على مصيره. الجواب: مسألـة التقدير والمصير من المسائل الواردة فى أديان أمم العالم كافّة ولا يقتصـر الإعتقاد به على أُمّة وإن كانت الآيات القرآنيـة والروايات الإسـلامية أكثر تركيزاً على هـذا الأمر. وللأسف فإنّ سوء التفسـير الـذى أورده بعض الأفراد لمفهوم القضـاء والقـدر جعـل الآخرين ينظرون بشـىء من التشـاؤم إلى هـذين اللفظين، ولعل البعض يرتعش لمجرّد سـماعهما ويرى التقـدير الإلهى قضـية خارجة عن قدرتنا وله تأثير مباشـر على إرادتنا، وقد يكون إيجابياً أحياناً فيضـطر الإنسان القيام بعمل، وأحياناً سلبياً فيصد الإنسان شاء أم أبى عن القيام اجوبة المسائل الشـرعية، ص: ۵۲ بعمل. فالتقدير بهذا المعنى- فى أفعال البشـر الإختيارية- لا يعدو كونه خرافـة، بل لابـدّ من الوقوف على حقيقة التقدير فى وسط ومعترك الحياة، ولا ينبغى عزل التقدير عن إرادة الإنسان وحريته. وقد يبدو من الصـعب على بعض الأفراد الـذين عاشوا صورة ذهنيـة مشوهـة للقضاء والقدر قبول هذه النظرية: (ليس هنالك من عنصـر فى عالم الوجود بـاسم القضـاء والقـدر فى عرض سـائر العناصـر يلعب دوراً سـلبياً أو إيجابياً فى إرادة الإنسان)؛ ذلك لأنّ هؤلاء الأفراد اعتادوا على تعليق أخطائهم وزلاتهم على عنصـر خـارجى أسـموه القضـاء والقـدر ليتنصـلوا من مسؤوليـة أعمـالهم. وأننـا لنلمس اليوم مسألة «الحتميـة التأريخيـة» التى حلت مكان القضاء والقـدر لـدى الأوساط الغربيـة والأوربية فينسـبون إليها أخطاءهم كافّة. إلّاأنّ حقيقة الأمر واضـحة فى أنّ التقدير الإلهى لا يحمل أى تأثير على إرادة الإنسان، ويتضح هذا الموضوع بجلاء من خلال بيان السنن الإلهيّة فى عالم الوجود والـذى يكشف حقيقـة القضـاء والقـدر. التقـدير الإلهى: كلما تعرفنا على التقـدير الإلهى سـنرى خلو صـفحة الوجود من عامل وعنصـر حركى باسم القضاء والقـدر خارج إرادة الفاعل؛ والمراد من التقـدير الإلهى السـنن القطعيـة التى تحكمنا والعالم، وتأثير هـذه السـنن قطعى فى سـعادة الناس وتعاسـتهم وأننا أحرار فى اختيار أية سنة من هذه السنن. وإليك بعض الأمثلة لتوضيح هذا المطلب: ۱- إنّ التقـدير الإلـهى بالنسـبة للأمّـة الخاملـة التى تعيش التنـاحر والنزاع وتوظف إمكاناتها فى المجالات العبثيـة ولا تمتلك رؤيـة صائبة لأوضاعها والظروف المحيطة بها وتنغمس فى مصالحها الضيقة سوف لن يكون سوى باضمحلالها وانهيارها عاجلًا أم آجلًا. أمّا التقدير الإلهى تجاه الأمّـة التى تعيش هموم المحرومين والكادحين وتحرص على ردم التمييز الطبقى واشاعـة رفاهية الإنسان وتحسـين وضـعه المعاشـى والاجتماعى وتمديد اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۳ العون إلى الفقراء والمعوزين من خلال اخراجها للحقوق الشـرعية من أموالهـا، فسوف لن يكون سوى العزة والكرامـة والرقى والإزدهار. والتقـديرات على درجـة من الوضوح بحيث لا يشك فيها أحـد من النـاس. وبـالطبع فـإنّ جميع الأمم متساويـة حيال التقـديرين المـذكورين وليس هنالك أى عامل خارج إرادة هـذه الأمم يحملها على اختيار أى من التقـديرين، ونحن الـذين نقرر التقدير الذى نريد على ضوء أهوائنا وغرائزنا أو عقلنا وحكمتنا، وسوف لن يكون القضاء والقدر سوى ما اخترناه؛ فاللّه هو الذى خلق هذه السنن وأمضاها ومنحنا الحرية فى اختيار ما نشاء. ۲- والشاب الذى يبدأ حياته ويتمتع بمزيـد من الإمكانات والعلم والـذكاء وقوّة العضـلات يجد نفسه أمام تقديرين ومصـيرين كلاهما قضاء اللّه وعليه الإختيار؛ فإن وظف إمكانـاته الماديـة والمعنويـة باتجـاه العلم والعمل والمجال التجارى عاش حياة سـعيدة هانئـة؛ وإن أساء التصـرف فى هـذه الإمكانيات ووظفهـا فى سبيـل الرذيلـة وشـرب الخمر ولعب القمار وسائر الموبقات التى تشل حركته، إنّما يقود حياته إلى الشـقاء والمعاناة وقضاء

العمر فی الهم والغم. وکلا التقدیرین مرتبط باللّه، لکن الإنسان حرّ فی إختیار أی منهما، والنتیجة المترتبة علی اختیاره قضاء اللّه وقدره؛ وإن قلع عن مساره منتصف الطریق فقد استبدل مصیره بمصیر آخر وهذا أیضاً بتقدیر اللّه؛ ذلک لأنّه خلقنا وأذن لنا بالعودة فی منتصف الطریق فندمنا علی ما فرط منّا وبالنتیجة استبدلنا مصیرنا بمصیر آخر. ۳- لو راجع المریض الطبیب وتناول الدواء تتحسن صحته، وإن أمتنع عن مراجعة الطبیب أو لم یتناول الدواء فإمّا أن یموت أو یعیش حالة من الألم والمعاناة، وکلا التقدیرین بحکم اللّه ولنا اختیار أی منهما، وکل ما نختاره هو قضاء اللّه. وهکذا یمکنک عزیزی القارىء أن تستعین بمئات الأمثال للقضاء والقدر المتعلق بأفعال الإنسان لتقف علی معنی التقدیر الإلهی بشأن أفعال الإنسان. اجوبة المسائل الشرعیة، ص: ۵۴ کلمات أئمّة الدین: ما أوردناه فی الأمثلة السابقة یمثل فی الواقع توضیح بعض الأحادیث التی وردت عن النبی الأکرم صلی الله علیه و آله وأهل بیته علیهم السلام بشأن مسألة القضاء والقدر. فقد ورد عن النبی الأکرم صلی الله علیه و آله: «إنّ خمساً لا یستجاب دعاؤهم، أحدهم من جلس تحت جدار یوشک أن یقع فلا یهرب منه» «۱» . ولعل سر عدم استجابة دعاء هذا الفرد واضحة، ذلک لأنّ مصیر من جلس تحت جدار أعوج ولم یهرب هو الموت، لکنه استسلم باختیاره لهذا المصیر، والحال کان له أن یختار مصیراً آخر. وقد فرّ أمیر المؤمنین علیه السلام من جدار کان یوشک علی الأنهیار، وحین أنکر البعض علیه ذلک برره بأنّه یفرّ من قضاء اللّه إلی قدره «إنّ أمیر المؤمنین عدل من عند حائط آخر فقیل له: یاأمیرالمؤمنین أتفرّ من قضاء اللّه؟ فقال: أفر من قضاء اللّه إلی قدر اللّه» «۲» .فأنا حرّ فی اختیار ما شئت، فإن بقیت تحت الجدار وإنهار ومت فذلک بحکم القضاء، وإن فررت وبقیت سالماً فذلک بحکم القضاء أیضاً. وحین سئل الإمام الرضا علیه السلام عن قضاء اللّه بشأن الأفعال الحسنة والقبیحة لعباده، رد علیه السلام: إنّ کل عمل من اعمالهم الحسنة والقبیحة بقضاء اللّه. ثم فسّر علیه السلام ذلک القضاء الواسع- الذی یشمل جمیع أعمال البشر بما فیها الحسن والقبیح- بالنتائج التی تنعکس علی الإنسان فی الدنیا والأخرة فقال: «الحکم علیهم بما یستحقونه علی أفعالهم من الثواب والعقاب فی الدنیا والآخرة» «۳». فهذه الأحادیث تکشف ما أشرنا إلیه من حقیقة القضاء والقدر والتی تفید عدم انفصال القضاء والقدر عن إرادة الإنسان واختیاره، بل القضاء هو تلک السنن الإلهیّة التی تحکم الوجود، والإنسان مختار فی رکوب أی منها، فإنّ اختار کانت نتیجة الإختیار قضاء اللّه، اجوبة المسائل الشرعیة، ص: ۵۵ ولیس هنالک من فعل من أفعال الإنسان خارج عن دائرة قضاء اللّه؛ فإنّ زرع بذور الخیر حصد خیراً بقضاء اللّه، وإن زرع بذور الشر والنفاق سیذوق مرارة ما زرع بقضاء اللّه، ولا یخرج أی من أفعاله الخیرة والشریرة عن دائرة قضاء اللّه وقدره. القضاء والقدر فی صدر الإسلام: لقد أدرک المسلمون فی صدر الإسلام مسألة القضاء والقدر بحیث لم یعتبروها منافیة لإختیار الإنسان وحریته فی صنع مصیره. فقد ورد بشأن الفتوحات الإسلامیة أنّ الخلیفة الثانی بلغ الشام فأخبر بانتشار الوباء، فأشار علیه صحبه بالعودة، وکان یهم بالعودة، فاعترض علیه أحدهم أتفرّ من قضاء اللّه؟ قال: أفر بأمر اللّه من قدر إلی آخر. فقال أحدهم سمعت رسول اللّه صلی الله علیه و آله قال: «إن ظهر الطاعون فی منطقة ولم تکن فیها فلا تدخلها، وإن کنت هناک فلا تخرج منها» (حذراً من نقله إلی الآخرین) «۱». ویستفاد من هذا أنّ الإعتقاد بالقضاء والقدر لا یتنافی وقضیة الإختیار والحریة والإرادة، وهنالک بون شاسع بین مسألة الجبر، وإن ذهب بعض المستشرقین إلی أنّ نتیجة الإعتقاد بالقضاء والقدر جبر آخر، فإنّما یعزی ذلک إلی عدم إدراکهم لمضمون المفاهیم الإسلامیة فضلا عن عدم إمتلاکهم أهلیة أصدار الأحکام بشأن بعض الأمور الحساسة. فقد قال «آلبرماله» فی تاریخه: لم یکن الإسلام أوائل عهده سوی الإیمان بالتوحید والنبوة، وصرح المتکلمون لاحقاً أنّ اللّه حدد مصیر کل إنسان ولا تغییر فی مشیئته، وهذا ما یصطلح علیه بالجبر «۲». وقال غوستاولبون: ما ورد فی القرآن من آیات فی القضاء والقدر ومذهب الجبر، والإنسان الذی یؤمن بالقدر کمن علق فی الهواء لتبعث به الریح هنا وهناک؛ والإیمان بالقدر اجوبة المسائل الشرعیة، ص: ۵۶ یسلب الإنسان إرادته واختیاره فی العمل والقول والسکون والحرکة فیفوض زمام أموره لقوة عنیفة، فمثل هذه الأمّة لا تستفید من قدراتها الطبیعیة ولیس لدیها من دافع للسعی والعمل، فهی تتجه من عالم الوجود إلی العدم» «۱». ولعل انتشار هذه التهم والإفتراءات والإستنتاجات الخاطئة فی الأوساط الأوربیة دفعت بالمرحوم السید جمال الدین الأسد آبادی حین أقامته فی باریس إلی تصنیف رسالة فی الدفاع عن مسألة القضاء

والقدر لينشرها فى المجلة الأسبوعية «العروة الوثقى» حيث جاء فيها: «فظنّ البعض من الأوربيين أنّ لا فرق بين القضاء والقدر والمذهب الجبر، والإنسان الذى يؤمن بالقدر لكن علق فى الهواء لتبعث به الريح هنا وهناك؛ والإيمان بالقدر يسلب الإنسان إرادته واختياره فى العمل والقول والسكون والحركة فيفوض زمام أموره لقوّة عنيفة، فمثل هذه الأمّة لا تستفيد من قدراتها الطبيعية وليس لديها من دافع للسعى والعمل، فهى تتجه من عالم الوجود إلى العدم» «۲». اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۷

۱۵ مفهوم السمع والبصر بالنسبة للّه

سؤال: نقرأ فى كتاب العقائد أنّ من صفات اللّه السمع والبصر. وهنا يرد هذا السؤال كيف يمكن وصف اللّه بهاتين الصفتين والحال حقيقة البصر تتمثل فى انعكاس صور الأشياء فى الشبكية بواسطة بؤبؤ العين فترسل أعصاب الباصرة هذه الإيعازات إلى الدماغ، كما أنّ حقيقة السمع تكمن فى وصول الأمواج الصوتية إلى الأذن التى تضم بعض الأعصاب والعظام وتوعز من هنالك إلى الدماغ، فكيف يوصف اللّه بهاتين الصفتين وهو متنزه عن ذلك؟ الجواب: إنّ الباصرة والسامعة لدى الإنسان كما مر آنفا، لكن المراد من نعت اللّه بتلك الصفتين أنّ جميع المرئيات والمسموعات حاضرة عنده، ولا يغفلها قط، وبعبارة أخرى أنّ كل ما يراه الآخرون بعيونهم ويسمعونه بآذانهم إنّما يحصل للّهبعلمه المطلق اللامتناهى. ومن هنا فإنّ علماء العقائد والمذهب إنّما ينسبون حقيقة هاتين الصفتين إلى علم اللّه اللامتناهى فيقولون: إنّ النتيجة التى يحصل عليها الإنسان البصير والسميع- بعد سلسلة من الفعاليات التى تقوم اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۸ بها أعضاء الباصرة والسامعة- هى الوقوف على المرئيات والمسموعات، ولو كان هناك وجود كاللّه تعالى يمكنه الوقوف بصورة أكمل على المرئيات والمسموعات دون الأعضاء والفعاليات الفيزيائية لصح نعته بأنه بصير وسميع. كما يطلق السميع والبصير من الأولى على الفرد الذى يستطيع إدراك المرئيات والمسموعات- دون الحاجة إلى المقدّمات المذكورة- ذلك لأنّ حقيقة السمع والبصر لدى الإنسان هى إدراك المسموعات والمرئيات. ولما كان الإنسان بطبيعته المادية يتعذر عليه القيام بعمل دون الإستعانة بالوسائل المادية، فلا مناص له من بلوغ النتيجة المطلوبة التى تتمثل فى الوقوف على المرئيات والمسموعات بواسطة الأعضاء والأدوات المادية، إلّاأنّ اللّه أسمى من المادة ولا يحتاج إلى شىء فى الإدراك، والعالم بما فيه حاضر لديه، فهو السميع والبصير دون أيّة مقدمة؛ فجميع المرئيات والمسموعات حاضرة عنده وعلمه محيط بها. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۹

۱۶ سر خلق الإنسان

سؤال: عادة ما يتساءل أغلب الناس ولا سيما شريحة الشباب: ما سر خلق الإنسان وما الهدف من خلقه؟ وكان هذا السؤال يعشعش فى نفوس أغلبية هذا الجيل فيدفعهم للبحث عن الجواب الشافى وكأنّ الأفكار التى تساور أذهانهم: أنّ اللّه غنى ولا متناهٍ ولا يحتاج إلى شىء حتى خلق موجوداً آخر، فلماذا خلق الإنسان وما حاجته لخلقه؟ فإنّ قيل ليس هنالك هدف من خلق الإنسان فلابدّ من الاعتراف فى هذه الحالة بأنّ خلقه كان عبثاً وتعالى اللّه عن ذلك علواً كبيراً، وإن قيل بأنّ اللّه خلق الإنسان لهدف فيلزم من ذلك أنّ اللّه خلق الخلق لرفع حاجة، فى حين أنّ اللّه منزّه عن كل حاجة! الجواب: لابدّ من الإشارة إلى موضوعين مهمّين بغية الوقوف على الجواب الشافى لهذا السؤال: ۱- لابدّ من الإلتفات بادئ الأمر إلى أنّ هذا السؤال يطرح بصيغة عقدة مستعصية حين نحصر دائرة الوجود بعالم المادة ونقتصر بالوجود على الأنظمة المادية والظواهر الطبيعية ونرى الموت نهاية الحياة ولا نقرّ بعالم آخر يصطلح عليه بيوم القيامة. فالسؤال فى هذه اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۶۰ الحالة يتحول إلى إشكال حيث يعمد المرء يسأل نفسه عن سر خلق الإنسان. لماذا يفتح الإنسان عينيه فى هذا العالم وتطوى صحيفة عمره بعد سنوات- غالباً ما يقضيها بالألم والحسرة والمرارة- ويغادر هذا العالم «من أين جاء ولماذا جاء؟» وماذا كان الهدف من تلك الحياة التى لم تدم سوى عدّة سنوات وما فلسفة هذه المدّة المؤقتة! ولماذا يطأ الإنسان هذا العالم! ثم تتوقف حركته بعد استهلاكه لمقدار من الماء والغذاء فيدفن تحت التراب ويتعفن ويتحول فى نهاية المطاف

إلى مجموعة عظام، وكأنّه لم يرد على هذا العالم ويعمر فيه! حقاً تبدو المدرسة المادية عاجزة إزاء هذه التساؤلات؛ ذلك لأنّها حصرت عالم الوجود بالمادة والظواهر المادية دون أن تؤمن باللّه واليوم الآخر، وعلى هذا الأساس فهى لا ترى سوى هذه الجدران الأربعة لعالم المادة وكل ما يتحرك فيه، وبالتالى لا يسعها تقديم أى تفسير بهذا الشأن دون أن تخفى ذهولها ودهشتها لهول ما يحدث. إلّاأنّ هذه الأسئلة تبدو سهلة بالنسبة لأولئك الذين يعتبرون الحياة المادية منزلًا من منازل الحياة البشرية ويؤمنون بوجود عالم آخر وراء هذا العالم الذى يعتبر مقدمة إليه وأنّ الموت ليس نهاية الحياة، بل بوابة للعالم الأخر وقنطرة للفوز بالخلود، وأن تعذر عليهم إدراك هدف خلق الإنسان من خلال ملاحمه فى هذا العالم فسيبحثون قطعاً عن هدف خلقهم فى العالم الآخر والحياة الأبدية ويقولون بأنّ الهدف من خلق الإنسان فى هذا العالم، إعداده لحياة أبدية وخالدة والتى تمثل الهدف النهائى والغاية المطلوبة. ۲- الموضوع الآخر الذى ينبغى الإلتفات اليه والذى يعد الخطوة الثانية لحل السؤال هو: أنّ كل إنسان عاقل إنّما يقوم بأى فعل بغية تحقيق هدف هو بحاجة إليه، ذلك لأنّ الإنسان كائن محتاج من رأسه حتى أخمص قدميه، وبالطبع فإنّه يقوم ببعض الأنشطة والأعمال ليسمو ويتكامل ويلبى حاجته، فمثلًا يتناول الطعام ويشرب الماء ويلبس الثياب ويتعلم ليلبى بعض حاجاته المادية والمعنوية. حتى أفعال البر والخير التى يمارسها من قبيل مساعدته للمحتاجين وتغطيته لنفقات أولاده بغية التعليم والتربية وبنائه للمدارس والمستشفيات، كل ذلك لسد حاجة يشعر بها فى باطنه، وهو يفعل ذلك إمّا للحصول على اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۶۱ الأجر والثواب الدنيوى والآخروى الذى بشر به الأنبياء والرسل، أو لدفع ألم يشعر به أثر رؤيته لبعض الأوضاع المزرية التى يعانى منها الفقراء والمعدومون والتى يرق لها القلب، فهو ينفق بعض رأس ماله لإضفاء السكينة على وجدانه، أو يفعل ذلك للحصول على السمعة والشهرة التى يراها سبب تكامله. وزبدة الكلام: إنّ الإنسان إنّما يقوم بأفعاله إمّا لحصول نفع أو دفع ضرر يشعر به فى ترك العمل ويبحث عن منافعه وتكامله فى كافّة هذه الأفعال إلى درجة أنّه يتعذر أن يقوم الإنسان بعمل من أجل ذات العمل دون أن يأخذ بنظر الاعتبار تكامله المادى والمعنوى «۱». والآن بعد أن وقفنا على دوافع الإنسان فى أعماله واتضح حصول أعماله لتحقيق هدف، لن تكون نتيجته سوى تكامله الروحى والجسمى، لابدّ أن نسلط الضوء على هدف اللّه من أفعاله. صحيح أنّ الذات الإلهيّة منزهة عن فعل اللغو والعبث وأنّها هادفة فى أعمالها كافّة، وقد خلق اللّه كل كائن لهدف، ولكن ينبغى معرفة الهدف من أفعال اللّه وماذا يعنى هذا الهدف. فقولنا إنّ خالق الكون إنّما خلق كل كائن فيه لهدف، لا- بالمعنى الذى أوردناه بشأن أعمال الإنسان، بل هنالك بون شاسع بين هدف اللّه وهدف الإنسان من الأعمال. وعلى ضوء الفارق بين اللّه والإنسان فى أنّ اللّه غنى وغير محتاج، والإنسان محتاج مطلق، يتبيّن أنّ الهدف من أفعال اللّه معانٍ أخرى تقابل بالضبط ما ذكر بشأن هدف الإنسان. فلما كان الإنسان فقيراً ومحتاجاً ولا تتوقف حاجاته لخارج ذاته ولو للحظة، كان عليه أن يجد ويجتهد على الدوام لرفع حاجاته وبلوغ تكامله. ولكن حيث إنّ اللّه وجود مطلق ولا متناهٍ فالفقر والحاجة ليس لها من سبيل إلى ذاته المقدّسة، ذلك لأنّها تنطوى على جميع اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۶۲ الكمالات. وعلى هذا الأساس ينبغى أن يكون هدفه من أفعاله «إيصال المنافع للآخرين». وبعبارة أوضح: أنّ اللّه وجود مطلق وغنى وكامل من جميع الجهات وليس للنقص والحاجة من سبيل إلى ذاته المقدّسة، ومن جانب آخر نعلم أنّ أفعاله تستند إلى المصلحة والحكمة وذاته منزّهة عن فعل العبث، وعلى هذا الأساس نستنتج أنّ خلقه للإنسان لم يكن هدفه رفع حاجة عن نفسه، ومن المسلم به أنّ الأمر إنّما يعود إلى نفس الإنسان؛ والهدف إيصال هذا الإنسان إلى كماله المطلوب، دون أن يكون لهذا التكامل الذى يبلغه الإنسان أدنى انعكاس على ذاته المقدّسة. التكامل فى عالم الطبيعة: إنّ مطالعة مجملة فى عالم الخليقة توقفنا على حقيقة لالبس فيها، وهى: أنّ العالم بأسره مهد سمو وتكامل المخلوقات وإن تكامل كل مخلوق يتمّ بسبب تكامل مخلوق أسمى. فمثلًا تشرق الشمس وتنشر حرارتها على سطح البحار والمحيطات فتبعث بمقدار من مياه البحار إلى الأعلى بهيئة بخار فإذا ارتفع ارتطم به الهواء والرياح ليسوقه إلى المناطق الجافة، ثم يتحول البخار بفعل سلسلة من العمليات الفيزيائية إلى قطرات مطر تتساقط على الأرض فتسبغ الحياة على سطح الأرض الهامدة فتهتز لتناغم السهول والصحارى فتنثر الزهور والسنابل وتفيض بالعيون والشلالات وتلبس حلتها الخضراء لتسحر

بمناظرها الجميلة الخلابة أبصار الناظرين. ولعل مطالعة هذا الفصل من كتاب الوجود تعلم الإنسان أروع وأسمى درس فى معرفة اللّه، كما يرشده إلى سنة اللّه الحكيمة ليرى بأم عينيه كل كائن ومخلوق من جماد ونبات وحيوان يحث الخطى نحو كماله بحيث تتجمد هذه الحركة التكاملية كل يوم وكل عام لتتحول من صور ناقصة إلى صور متكاملة. فالشجرة العملاقة لم تكن يوماً أكثر من خلية ثم قطعت مسيرة ضخمة لتتحول إلى ذلك الشكل. وكذلك الجنين فى البيضة الذى شق طريقه فى ظل تدبير اللّه وحكمته ليبلغ تلك المرحلة المتكاملة. وكان اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۶۳ هذا العالم أعظم مهد لبلوغ مختلف الكائنات رقيها وتكاملها. والإنسان أيضاً جزء من هذه الخليقة وأروع ثماره القيمة النفيسة مشمول بهذا القانون ويشارك سائر الكائنات مسيرتها التكاملية، وليس هنالك من هدف يقف وراء خلقه سوى بلوغ تكامله المنشود؛ وعليه أن يطوى مسيرته التكاملية بمحض إرادته واختياره. بل يمكن القول إنّ العالم برمته خلق لأجله ليوظف إمكاناته كافّة بغية تكامله. وعليه فإنّ اللّه لم يخلق الإنسان ليرفع عنه نقصاً معيناً، بل خلق الإنسان ليبلغ به كماله ورقيه. وأوضح من ذلك: خلق الإنسان ليبلغ به أسمى درجات الكمال على مستوى العلم والحكمة والقدرة والإرادة والتفكير، فيكون بهذه الكلمات المحدودة عاكساً لكلمات الحق المطلقة واللامتناهية. لقد خلق الإنسان وأودعه استعدادات وقابليات عظيمة ونصب له الأنبياء والرسل أمناء على تعليمه وتربيته ليبلغ تكامله فى ظل عبودية اللّه واتباع أوامره فيكون مستعدا للتفاعل مع تلك الحياة الأكمل فى العالم الأشمل. وقد صرحت بعض الآيات القرآنية والروايات الإسلامية بما أوردناه سابقاً؛ فالقرآن يصرح بأنّ الهدف من خلق الإنسان هو تلك الحياة والسعادة الأبدية الآخرة «أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَاتُرْجَعُونَ» «۱» . والمراد عدم التعامل مع الهدف من خلق الإنسان على ضوء هذه الحياة المادية الضيقة، بل لابدّ من النظر إليه على ضوء العالم الآخر، ولنعلم أنّه بموته سيواصل مسيرته التكاملية ويتجه نحو اللّه الكمال المطلق. ولعل الهدف الذى صرحت به الآية الشريفة: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» «۲». والذى يتمثل بالعبادة لايعنى حاجة اللّه لطاعة عباده، بل المراد أنّ الإنسان إنّما يبلغ تكامله المنشود من خلال العبودية وطاعة أوامر اللّه؛ وهذا ما يقوده بالتالى إلى السعادة الأبدية، وبالطبع فإنّ الفوز بالحياة الأبدية الممزوجة بالسعادة والخير لتشكل الهدف الغائى والذى لا يدعنا اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۶۴ نتطلع إلى هدف آخر ويصدنا عن السؤال ثانية، قد يقال لماذا لم يمنح اللّه الإنسان كل هذه الكمالات دفعة واحدة، ولماذا خلقه محتاجاً ليبلغ كماله المنشود من خلال السعى والعمل؟ والجواب واضح فى أنّ السمو الأخلاقى إنّما يكون ممدوحاً ويعتبر كمالًا حين يحصل عليه الإنسان بوحى تام من حريته واختياره وإرادته، وأمّا أن فرض هذا الكمال على الإنسان فلن يكون فضيلة أخلاقية وملاكاً للتفاصيل، فمساعدّة الضعفاء واعانة الفقراء وبناء المستشفى إنّما يكون دليلًا على التكامل الروحى حين يمارس الإنسان هذه الأفعال بمحض حريته وإرادته، ولو أخذت بعض الأموال قسراً من إنسان وانفقت فى هذا المجال، فهى ليست فضيلة خلقية له قط ولا يستحق بعمله هذا أى مدح أو ثناء. وبناءً على هذا فإنّ الإنسان لابدّ أن يسلك بإرادته سبيل الفضيلة ليبلغ تكامله الروحى المنشود. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۶۵

۱۷ هل الاعتقاد بوجود الشيطان دليل على الشرك؟

سؤال: إننا نذم اتباع الديانة الزرادشتية أنّهم مشركون فهل يعتبر اعتقادنا بوجود الشيطان بصفته مصدر الضلال والشر نوعاً من الشرك؟ كما أننا نذم عقيدة النصارى القائمة على أساس التثليث، أو لا يعتبر إيماننا بالنبى وجبرئيل إزاء اللّه نوعاً من الشرك؟ الجواب: قطعاً مثل هذه الاستنباطات معلولة لعدم التفسير الصحيح لمعنى الشيطان أو جبرئيل والنبى. فالإلتفات إلى حقيقة معانى هذه الألفاظ لا يبقى أى غموض وابهام بهذا الشأن. توضيح ذلك: أنّ الشيطان كسائر الكائنات أحد مخلوقات اللّه وكان يعرف بطهارته بادئ الأمر، لكن الكبر أهبطه من مرتبته السامية وألقى به فى مهاوى الفساد، وليس له من سلطة قسرية على بنى آدم، إنّما سلطته على الذين يمكنونه من أنفسهم ويستسلمون لوساوسه ويتبعون ولايته؛ أمّا أولئك الذين يقفون إزائه كالطود الشامخ بفعل إيمانهم باللّه وإرادتهم القوية فلن تستطيع وساوسه النفوذ إليهم «إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۶۶ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ» «۱» ويتضح ممّا

قيل إنّ الشيطان ليس وجوداً مستقلًا بالنسبة للّه ولا- خالقاً للشر، بل هو مخلوق ضعيف كسائر المخلوقات، وإن تركه اللّه لممارسة وساوسه فذلك لكى لا يمسّ أولياء اللّه منه سوء فحسب، بل ليبلغوا بمقاومتهم له أقصى درجات السمو والكمال. وأمّا الاعتقاد باللّه وجبرئيل ومحمد صلى الله عليه و آله فلا- يشبه نظيره لدى النصارى بالأقانيم الثلاثة- اللّه والابن والروح القدس- بأى شكل من الأشكال؛ فنحن نؤمن بوحدانية اللّه وأنّه خالق عالم الوجود وأنّ كل ما سواه حتى النبى محمد صلى الله عليه و آله وجبرئيل وسائر الأنبياء والملائكة مخلوق للّهوليس لهم من أنفسهم أى اختيار فى عالم الوجود، والكل عباده ومنقاد لقدرته. وجبرئيل حامل وحى اللّه، ومحمد عبد اللّه ورسوله وصفيه من خلقه. وقد أشار القرآن الكريم بصفته مصدر جميع عقائدنا إلى هذه الحقائق على لسان أغلب آياته، كما أنّ الشريعة الإسلامية السمحاء لم تتضمن أيّة عبارة لألوهية النبى الأكرم صلى الله عليه و آله أو جبرئيل عليه السلام. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۶۷

۱۸ كيف يكون تعدد الالهة مدعاة لفساد الخلق؟

سؤال: إنّ أحد أدلة وحدانية اللّه أنّ وجود مبدأين فى عالم الخلقة يوجب فساد الأرض والسماء، ولو كان للعالم إلهين فإنّ ذلك يؤدى إلى فساد الخلق. أولًا: لماذا يوجب تعدد الآلهة فساد عالم الخلقة؟ ثانياً: ما الضير أن يتحد خالقان فى خلق العالم وتنظيم شؤونه؟ الجواب: يمكن توضيح هذا الموضوع من خلال شرحين؛ الشرح العلمى والشرح الفلسفى. ونشير بصورة مختصرة إلى هذين الشرحين: ۱- يمكن الوقوف من مطالعة كتاب على أنّ كاتبه شخص واحد أو عدّة أشخاص. فالكتاب الذى يؤلفه شخص واحد يتصف بنوع من الانسجام فى عباراته ومختلف تعبيراته وكناياته وإشاراته وعناوينه وأساليب ربط جمله، وبالتالى هنالك وحدة تحكم جميع أجزائه؛ لماذا؟ لأنّها تنبع من فكر واحد وتترشح من قلم واحد؛ والحال ليس هنالك مثل هذا التنسيق والانسجام فى الكتاب الذى يشترك فيه اثنان- مهما تطابقت أفكارهما اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۶۸ وتطلعاتهما- وسيطالعنا الكثير من الاختلاف فى القضايا المذكورة سابقاً، ولاسيما إن كان هذا الكتاب كبيراً ومسهباً ويتناول بالبحث مختلف الموضوعات حيث سرعان ما تكتشف هذه الحقيقة. وعالم الخلق الذى يعدّ أعظم كتاب التكوين والذى لا يسع أفراد البشر كافّة حساب عدد صفحاته فضلًا عن مطالعتها، وقد اتفق الجميع على أنّ تلك الصفحات تنطوى على نسق ونظم انعدم مثيله؛ الأمر الذى أيده علماء الفلك والذرة والفيزياء والكيمياء والإحياء، وصرحوا بأنّه يخضع إلى نظام دقيق وغاية فى الاتقان، وهو ذات النظلم الذى يحكم المنظومة الشمسية والكواكب والمجرّات، إلى جانب القوانين الكلية التى تشمل جميع تفاصيل الوجود، وخلاصة القول هنالك نظام واحد متناسق يفرض حكومته على الوجود برمته. وبالطبع لو كان لهذا العالم أكثر من مدير لما كان الوضع كما هو عليه ولغاب النظام والانسجام وسوف لن تكون النتيجة سوى فساد نظام الخليقة. فقد سأل هشام بن الحكم الإمام الصادق عليه السلام عن الدليل على وحدانية اللّه فقال عليه السلام: «إتصال التدبير وتمام الصنع. كما قال اللّه: «لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ» «۱»، «۲». ۲- البيان الآخر الفلسفى والذى وردت الإشارة إليه فى بعض الآيات القرآنية وتلخص فى ما يلى: إن كان مع اللّه إله آخر فى السموات والأرض فإنّ هذين الإلهين إمّا متماثلان ومتشابهان أو مختلفان؛ فإن كانا متماثلين (على غرار فردان يعدان كفرد واحد أثر اشتراكهما وتشابههما التام) وفى هذه الحالة ينبغى أن يكونا متفقين فى جانب ومختلفين فى جانب آخر؛ وذلك لاستحالة العثور على موجودين متفقين فى كل شىء دون أن يكون بينهما أدنى اختلاف، فحتى التوأمان المتشابهان فى الشكل واللون والقامة والصوت و ... اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۶۹ فإنّهما يفترقان فى بعض الأمور. والنتيجة فى مثل هذا الفرض «التركيب»؛ التركيب من «جهة الاشتراك "»ولو الاشتراك فى أصل الوجود ومن «جهة الاختلاف» الذى يوجب التعددية، وحيث أثبتت البراهين الفلسفية أنّ اللّه بسيط فإنّ هذه الفرضية (إلهان متشابهان ومتماثلان) باطلة. وعليه سنضطر لمناقشة فرضية إلهين مختلفين وليس بينهما أى اشتراك ويتمايزان تماماً من حيث الوجود والذات. وبالطبع لا ينبغى أن ننسى بأنّ اختلافهما فى الذات والوجود يفضى إلى اختلافهما فى الأفعال، فلا يمكن تصور الانسجام بين أفعالهما

وهما على هـذه الحالـة من الاختلاف وممّا لا شك فيه أنّ تـدبير أحدهما سـيكون مخالفاً لتدبير الآخر، وبالتالى سوف لن تكون نتيجة مثـل هـذا الاختلاف سوى الفوضـى فى نظام الوجود وتشـتت الروابط والحلقات التى تحكم عالم الوجود وظهور الخلاف بشأن إدارته وأخيراً تصدع كيانه. والحال أننا نرى عكس ذلك فى عالم الخليقة، ذلك لأننا إن تأملنا أصـغر الكائنات الحيّة سنرى حالة من التنسيق والترابط بين هـذا الكائن وعالم الوجود وكأنّ الأخير خلق من أجلها؛ الأمر الذى يكشف بوضوح عن تبعية كل هذا العالم لإرادة مدبرة واحدة، وهذا ما أشارت إليه الآية الحادية والتسعون من سورة (المؤمنون). وبناءً على ما تقدم فالدليل الفلسفى والاستقراء العلمى يثبتان وجود إرادة ومشيئة وذات قدسية هى التى تحكم عالم الوجود بأسره. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۷۱

۱۹ هل يحتاج العالم فى بقائه إلى اللّه؟

سؤال: يقول بعض القراء الأـعزاء هنالـك شـبهة تطرح اليوم فى الأوسـاط الماديـة ولاـ نمتلك الردّ الشافى لها؛ رجاءً افيضوا علينا بهـذا الشـأن: «أننـا نقرّ بـأنّ نظـام الوجود يحتـاج فى ظهوره إلى مُبـدىء له علم وقـدرة، إلّاأنّ ديمومـة هـذا النظام ليست بحاجـة إلى ذلك المبـدىء؛ ذلـك لأـنّ خلق العـالم قـام على أسـاس نظام العلّـة والمعلول بحيث يسـتمر هـذا النظام تلقائياً- سواء كان أم لم يكن ذلك الخالق- فالساعة الدقيقة قد تعمل لسنوات دون أن يكون هنالك من وجود لصانعها، أو المركبات الفضائية التى تتابع مسيرتها لسنوات فى الفضاء وترسل لنا الأخبار دون أن يكون هنالك من وجود لصانعها». الجواب: إنّ هذه الشبهة ليست جديدة ليثيرها اليوم الماديون، بل أثيرت سابقاً وقـد أجاب عنها الفلاسـفة والمتكلمون؛ على كل حال ترد هذه الشـبهة بصـيغتين: الأولى أنّ الوجود أو النظام الخاص يحتاج فى ظهوره إلى علة، لكنه لا يحتاج قط هذه العلة فى بقائه واسـتمراره، سواء كانت تلك العلة الأولى أم غيرها. وهذا ما اعتقد به بعض اجوبة المسائل الشـرعية، ص: ۷۲ الفلاسـفة القـدماء، وظنوا أنّ أى موجود لا يحتاج إلى علة لوجوده كالعمارة التى لا تحتاج فى بقائها إلى المعمار والبناء! فإنّ وردت الشـبهة بهـذه الصـيغة فإنّ الإجابـة عنها واضـحة. فبقاء موجود غير ظهور وجوده. وبعبارة أوضح: وجود أى شىء فى أى زمان غير وجوده فى زمان ولحظة أخرى وبقاء الموجودات فى مسيرة الزمان مثل بقاء شكل النهر الذى تستبدل ذرات ميـاهه دائما، بينما تبقى صورته الظاهريـة. بعبارة أخرى: كما أنّ الموجود يتألف من أجزاء وكل جزء لا يكون دون علـة، فإنّ له من حيث الزمان امتداداً وعمراً يحتاج فى كل لحظة إلى علّة، وعليه فالشىء الذى لا يحتاج فى ديمومته إلى علة لابدّ أن لا يحتاج إليها فى ظهوره، ذلك لعـدم وجود فارق بين اللحظة الأولى والقادمة. دعنى أفصل لك أكثر وأوضح: على ضوء آخر التحقيقات لفلاسـفتنا القـدماء والمعاصـرين- فى بحث الحركـة الجوهرية وبحث النسبية- فإنّ الزمان البعد السابع للأشـياء، وعليه كما يمكن أن يختلف بعد شيئين من حيث الطول والعرض والعمق- أحـدهما أكبر والآخر أصـغر- كذلك يمكن أن يختلفا من حيث الزمان. وكما يسـتحيل كبر وصغر أى من أبعاد الجسم دون علة، فإنّ مقدار طول زمان وعمر الأشياء والحوادث بحاجة إلى علة. إذن إن قلنا إنّ الشىء لايحتاج فى بقائه إلى علة، كأننا قلنا إنّ الجسم الذى يبلغ طوله مئة متر إنّما يحتاج فى المتر الواحد إلى من يوجده والتسع وتسعون متراً الآخر تتولد تلقائياً، فهل هنالك من يقر بهـذا؟ وأمّا بشأن المثال السفسـطائى «الساعة وصانعها» وأمثال ذلك فلابدّ من الإلتفات إلى أنّ الساعة إنّما تحتاج فى وجودها إلى علّة كما تحتاج فى ديمومة عمرها إلى العلة، فهى تحتاج فى وجودها إلى الصانع، أمّا فى ديمومة وجودها فإنّها تسـتمد ذلـك من خصـائص مكوناتهـا؛ أى الفلزات المسـتعملة فيهـا والتى تمنحها العمر، ومن هنا هنالك فارق فى عمر الساعات على ضوء اختلاف موادها، وهـذا دليل واضـح على أنّها تحتاج العلة فى وجودها وديمومتها. اجوبة المسائل الشـرعية، ص: ۷۳ ونتوصل ممّا ذكرنا إلى نتيجـة واحدة: كما يتطلب حدوث وظهور الشـىء علة، فإنّ ديمومته تحتاج إلى علة أيضاً- سواء كانت علة الظهور ذاتها علة الديمومـة أم غيرها- ومن أنكر الحاجـة إلى علـة فى ديمومة الحياة، فقد تنكر لقانون العلية. ونركز الآن على الجانب الثانى من الشـبهة الذى يمثل جوهرها (لابدّ من التأمل) قد يقول البعض: نعترف أنّ كل نظام يحتاج إلى علة فى بداية ظهوره وفى اسـتمرار حياته، ولكن لا يلزم أن تكون علة «الحدوث» هى ذاتها علة «البقاء» فما المانع أن يكون المبدأ الأصلى لعالم الوجود قد خلق العالم على أساس العلم

والإرادة، وقد نظم سلسلة العلل والمعاليل الطبيعية والمنسجمة بحيث يمكنه مواصلة حياته بصورة تلقائية؟ كما قيل فى مثال الساعة حيث يصنعها عالم من مواد قوية وتستمر فى عملها بعد وفاته- وبالنتيجة فإنّ عالم الوجود بحاجة فى حدوثه إلى اللّه، لكن دوام بقائه يتوقف على سلسلة من العلل الطبيعية والحركات الجبرية. إن ورد السؤال بهذه الصيغة، فلابدّ أن يقال فى الجواب: بالنظر إلى أنّ الزمان هو البعد الرابع للأشياء، يعنى أنّ كل موجود طبيعى وآثاره تجتاز كل لحظة مرحلة جديدة من الوجود، بل فى كل لحظة وجود جديد غير الوجود الأول وغير الوجود اللاحق، وبعبارة أخرى فإنّ العالم مجموعة من الحوادث والصيرورات، وفى هذه الحالة تتضح حاجة الموجود الطبيعى وبقاء خواصه إلى وجود العلة فى كل لحظة؛ علة وجودها أزلى وأبدى وتابع من ذاتها، لا علة تحتاج بدورها إلى علة (لابدّ من التأمل). ودعنى أوضح حقيقة الموضوع بمثال: لو تأملنا المصباح الكهربائى، فهذا المصباح يحتاج إلى تيار كهربائى، لكن هل يحتاج فى اللحظة الأولى فقط إلى هذا التيار؟ طبعا لا، لأنّ هذا المصباح سينطفئ فوراً أنّ قطعنا عنه التيار ولو للحظة عابرة ولزالت جميع آثاره من قبيل الضوء والحرارة. ولعل المصباح يستمد طاقة كهربائية من سلك، ولكن نعلم بأنّ السلك بذاته لا يحتوى على كهربائية وهو الأخر يحتاج إلى مصدر كهربائى؛ وعلى هذا الأساس اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۷۴ نقول إن جميع موجودات هذا العالم وخواصها وآثارها تحتاج كل لحظة إلى مبدىء أزلى لتستطيع مواصلة بقائها؛ لأننا نعلم بأنّ وجود كل هذه الكائنات ليس من ذاتها؛ فكلها حادثة ومسبوقة بعدم. ونظام هذا العالم أيضاً يعتمد على علل طبيعية، لكن هذه العلل لابدّ أن تستبدل إلى علة أزلية. أى أنّ نور الوجود لابدّ أن يصلها كل لحظة من ذلك المبدأ الأزلى، ولو قطع عنها لحظة لانعدمت. وهذا ما نعبر عنه بأنّ اللّه فى كل مكان ومع جميع الأشياء، وليس لهذه الأشياء من ديمومة لوجودها بدونه ولو للحظة. وعالم الوجود ليس عالماً أزلياً وأبدياً، بل عالم حادث يستند إلى وجود أزلى وأبدى، وهذا الاستناد جزء من ذات هذا العالم على غرار استناد المصباح الكهربائى للتيار والذى يعتبر جزء ذاته. والخطأ الوارد فى قضية صناعة الساعة هو أنّ الصانع لم يصنع قط موادها الأصلية، بل رتبها بهذا الشكل، ولو كان صانعها الأصلى الذى أوجدها من العدم لزالت هذه المواد بزواله، وقس على ذلك البناء والمعمار فهما ليسا صانعى مواد البناء، وإلّا لزالت بزوالهما. ولو أردنا شرح الموضوع على أساس فلسفى لقلنا: إنّ العالم ممكن الوجود لا واجب الوجود؛ وعليه فممكن الوجود يحتاج إلى واجب الوجود فى حدوثه وبقائه، ولو استغنى فى بقائه لأصبح واجب الوجود، بينما يستحيل تبدل «ممكن الوجود» إلى «واجب الوجود». اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۷۶

القسم الثانى الأنبياء والأولياء

۱ كيف يتكيف القانون الإسلامى الثابت مع العالم المتطور؟

سؤال: هنالك حركة تطور وإزدهار تعيشها المجتمعات، فكيف يمكن إدارة شؤون هذه المجتمعات المتغيرة بقوانين الإسلام الثابتة؟ الجواب: يساور هذا السؤال ذهن كل فرد له أدنى معرفة بالعلوم الاجتماعية ولمس عن قرب تغيير عادات وتقاليد وتقنية المجتمعات. وناهيك عن ذلك، فإنّ هذا السؤال من بين الأسئلة التى طرحت بشأن خاتمية النبوّة فى الإسلام، وقد وردت أبحاث مسهبة بهذا الشأن من قبل العلماء الأعلام، كما تضمّنت المدرسة الإسلامية عدداً من هذه الأبحاث. «۱» ولعل هذا السؤال بعض الإيرادات التى أثارها بعض المسيحيين. فمثلًا البروفسور «جان الدر» أورد هذا السؤال فى مقام إلتماسه العذر لعدم إتيان المسيح بالقوانين الاجتماعية للبشرية فى مقدمة كتابه «تراث الكتاب المقدس» وقال: لا يمكن إدارة المجتمعات المتطورة بسلسلة من القوانين الأبدية، ومن هنا فوّض المسيح للمجتمعات سن اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۷۸ قوانينها لتكيفها مع عجلة الزمن. وكأنّ هذا البروفسور «جان الدر» أراد أن يدافع عن نقص المسيحية الراهنة ويتعرض للإسلام الذى يتبنى القوانين والمقررات الاجتماعية. والحق أنّ أنصار المسيحية عجزوا عن تقديم تفسير منطقى لإفتقار المسيحية الراهنة لإطروحة جامعة للحياة. على كل حال ما ينبغى أن يقال فى جواب هذا السؤال أنّ فى

الإسلام نوعان من القوانين: ۱- قوانين ثابتة وعامة وبالتالى أبدية ودائمية وليس للتغيير من سبيل إليها. ۲- قوانين متحركة ومتطورة تتماشى وتغير الظروف والمقتضيات، والمهم بيان ملاك القوانين الثابتة والمتغيرة وتمييزهما عن بعضهما. التوضيح: أن القوانين الثابتة والتى تأبى التغيير وقد نصت عليها المصادر الفقهية الإسلامية إنّما تتعلق بذلك القسم من القضايا الأخلاقية والشؤون الاجتماعية والحقوق المدنية والجزائية التى تستند إلى الاصول الفطرية والغرائزية الإنسانية الثابتة والتى تشترك فيها كافّة المجتمعات البشرية- أمّا تلك السلسلة من المقررات المرتبطة بالشرائط الزمانية والمكانية الخاصة والنسبية فى المجتمعات، فقد تكفّلت القوانين الإسلامية بطرح المبادئ الكلية، والتى يتمّ تعيين جزئياتها من قبل المعنيين المسلمين على ضوء حاجة المجتمعات والأمم. ولتوضيح نماذج هاتين الحالتين وبيان ملاك القوانين الثابتة والمقررات المتغيرة، لابدّ من الإلتفات إلى الآتى: إنّ لكل إنسان- بغض النظر عن الظروف الزمانية والمكانية المختلفة- غرائز ومتطلبات تعكس وتبيّن وجوده وتميزه عن الحيوانات، وهذه الغرائز- والتى يصطلح عليها بالأمور الفطرية- تشكل جزءاً من حقيقة وجوده والتى لا يعتريها التغيير بفعل الزمان. فمثلًا الإنسان موجود اجتماعى خلق لأن يعيش بصورة جماعية. كما يحتاج فى حياته إلى تشكيل أُسرة ويتعذر عليه دون هذا المجتمع المصغر ممارسة حياته. وبناءً على هذا فإنّ المبدأين؛ أى حياة الإنسان فى ظل هذا المجتمع «الكبير» و «الصغير» تشكلان جزء حقيقته الوجودية ولا تنفصلان عنه قط؛ وعلى هذا لابدّ من ثبات القوانين المتعلقة بإقرارالنظم وبسط العدالة اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۷۹ الاجتماعية والعلاقات الحقوقية للأفراد ووظائف الزوج والزوجة إزاء بعضهما؛ ذلك لأنّ قضية «اجتماعية» الإنسان لن تتأثر بفعل التطورات التى تجتاح حياة المجتمعات البشرية؛ وعليه فالقوانين التى تتعامل مع مسألة اجتماعية تأبى التغيير بأى شكل من الأشكال. إلى جانب ذلك فإنّ حياة الإنسان قائمة على أساس قانون التكامل خلافاً لسائر الكائنات والأحياء التى تعيش بصورة جماعية كالنحل والنمل، ومن هنا فإنّ القوانين المتعلقة بأصول تكامل المجتمع لابدّ أن تكون ثابتة ولا تعرف من معنى للتغيير. والعلاقة القائمة بين الوالدين والأطفال علاقة فطرية وطبيعية، فالقوانين التى تسن بهذا الخصوص- كالإرث والتربية- لابدّ أن تكون ثابتة وأبدية. وهنالك العديد من هذه النماذج التى تدل على أنّ الفطرة والغرائز المتأصلة لدى الإنسان تشكل محور القوانين الإسلامية، صحيح أنّ صورة المجتمع تشهد تغيّراً كل عصر، لكن إنسان القرن العشرين هو نفسه إنسان القرن العاشر من حيث الفطرة والغريزة والدوافع الطبيعية الثابتة، وأنّ غرائزه وخصائصه الوجودية تأبى التبدل والتغيير. وعلى هذا الأساس وضع الإسلام مقرراته الثابتة فى هذه المجالات من قبيل حقوق أبناء المجتمع وعلاقاتهم الاجتماعية والروابط الأُسرية والزواج والتجارة والأمور المالية. وبغض النظر عن ذلك فإنّ هنالك سلسلة من المصالح والمفاسد الفردية والاجتماعية الثابتة التى لا يعتريها التغيير مع مرور الزمان، فلابدّ لهذه الأمور من قوانين ثابتة؛ على سبيل المثال أنّ الكذب والخيانة والتحلل والتفسخ الأخلاقى سيئة على الدوام مميتة لروح المجتمع. ومن هنا فإنّ حرمتها أن تكون أبدية ودائمية، ذلك لأنّ المجتمع قد يعيش حالة من الرقى والتطور إلّاأنّ أضرار هذه الأفعال لا تتبدل؛ كما أنّ القوانين ذات الصلة بتهذيب النفس والفضائل الأخلاقية والملكات النفسية كالقيام بالتكليف والحس الإنسانى ورعاية العدل ومئات الخصال ينبغى أن تكون أبدية ودائمية وليس للتغيير والتبدل من سبيل إليها. وعليه فإنّ القوانين الواردة بشأن هذه المسائل وأمثالها والتى سنّت قبل ألف واربعمئة سنة على ضوء الفطرة والغرائز البشرية بالاستناد إلى واقعية خاصة ترتكز على معرفة حقيقة اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۸۰ الإنسان وتقييم غرائزه سوف تتمكن من إدارة المجتمع الراهن والمجتمعات القادمة على أحسن ما يرام. هذا بشأن القوانين الثابتة. إضافة إلى الغرائز الثابتة والمتجذرة لدى الإنسان هنالك بعض الأمور التى تتأثر بالظروف الزمانية والمكانية وتتغير تبعاً لتغيرها. وعليه فلابدّ أن تكون المقررات ذات الصلة بهذه الأمور متغيّرة؛ وعلى هذا الأساس فإنّ الإسلام لم يضع أحكاماً معينة لهذا النوع من المواضيع، فهى متكيفة والظروف المستجدة. طبعا تغير هذه المواضيع وتبدلها لا يعنى عدم شمولها بأى قانون، بل لابدّ من استخراج هذا القسم من المقررات من خلال سلسلة من المبادئ الكلية. ونستعين ببعض الأمثلة لتوضيح حقيقة الموضوع: مثلًا لا يمكن للحكومة الإسلامية أن تتخذ موقفاً معيناً فى ارسائها لعلاقاتها مع البلدان الخارجية، فقد تتطلب الظروف أحياناً التعامل والانطلاق من الصداقة والود وإشاعة أواصر الصداقة وتعزيز

العلاقات التجاريـة، بينما تقتضـى بعض الظروف حالة من التشدد بما فى ذلك قطع العلاقات وايقاف التبادلات التجارية وتعليقها لمدّة من الوقت، ولعل أبرز مصـداق لذلك قضـية تحريم التنباك التى لجأ إليها أحد كبار المراجع إزاء دولة اسـتعمارية محتكرة. كما ليس للإسـلام من أحكام خاصـة بشأن المسائل الدفاعيـة ونوع الأسـلحة الحربية وكيفية التعامل مع اسـتقلال البلاد وسـيادتها والحيلولة دون طمع الأعـداء فيها: بل لابـدّ أن تتعامل الحكومـة الإسـلامية مع بعض المقررات والأحكام على ضوء الأوضاع والظروف القائمـة وتتخذ كل ما من شأنه ضمان مفاهيم الإسلام. وعلى هذا الأساس فإنّ الإسلام وضع أصلًا كلياً بشأن تقوية البنيّة الدفاعية دون الخوض فى نوع الأسـلحة والتكتيـك فقال: «وَأَعِـدُّوا لَهُمْ مَا اسْـتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ...» «۱» . وقوله فى ذيـل الآيـة من ضـرورة أعـداد القوّة يهـدف إلى بيان المصـداق السائـد آنذاك، وذلك لأنّ أقوى وسـيلة آنذاك كانت الخيول. كما لم يضع مقررات بشأن القضايا المرتبطة بالثقافة اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۸۱ وتطوير العلوم وكيفية حفظ الأمن القومى وبسط الإسـتقرار و ... وأوكل ذلك إلى الحكومة الإسـلامية. فقد اكتفى الإسـلام بالحث على تعلم العلوم النافعة وطالب بتنمية الثقافة الإسـلامية والإنسانية، ذلك لأنّ وسائل طلب العلم وكيفية النهوض به متغيرة على ضوء الظروف الزمانية والمكانية وتطور الأوضاع. وهنا لابدّ من الإلتفات إلى أنّ تشخيص الأحكام الثابتة من المتغيرة من اختصاص مراجع الدين، ولا يمكن لأىشخص ابداء وجهة نظره بهذه الأمور دون الرجوع إلى العلماء الأعلام. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۸۳

۲ القرآن وختم النبوة

كيف يشـهد القرآن على ختم النبوّة بنبى الإسـلام؟ سؤال: يسأل أغلب الأفراد أنّ مسـلمى العالم يجمعون على أساس كتابهم السماوى على أنّ النبى الأـكرم صـلى الله عليه و آله هو خاتم الأنبياء وآخر السـفراء الـذين بعثوا لهدايـة البشـر، وان دينه وكتابه و قرآنه هو آخر الأديان والكتب السماوية. نرجو أن تبيّن لنا أين صرح القرآن بختم النبوّة بغية غلق الباب على الشكوك التى ربّما تساور أذهان الأفراد المغرضـين. الجواب: لابدّ من الإلتفات بادئ ذى بدء إلى أنّ الشرائع السماوية وإن بدت للوهلة الأولى كشرائع مختلفة فيتصور الإنسان أنّ أديانـاً متعـددة عرضت على البشـرية وأنّهـا منفصـلة عن بعضـها البعض الآخر ولا تشترك فى بعض المبادئ والأصول؛ إلّاأنّ حقيقة الأـمر خلاـف ذلك؛ فالواقع هنالك وحـدة فى شـريعة نبى اللّه نوح عليه السـلام. «۱» مع الشـريعة التى نـادى بها خاتم اجوبـة المسائل الشرعية، ص: ۸۴ الأنبياء، كما أنّ هنالك الكثير من جهات الشـبه بينهما، وبالتالى جعلت جميع الشرائع بمثابة شريعة واحدة مرتبطة مع بعضـها تكـاملت بمرور الزمـان وتكاملت المجتمعات لتعرض فى نهايـة المطاف على البشـرية بصـيغة دين جامع يغنى البشـرية عن أى تشـريع وتقنين. ومن هنـا أعلن القرآن الكريم منـذ اليوم الأـول أن ليس هنالك أكثر من دين شـرّع للبشـرية، هوالـدين الإسـلامى «۱». وسوف لن يقبل من أى إنسان تبعيته لغير هـذا الدين «۲». كما فند القرآن الكريم أفكار تلك الطائفة التى نسبت إبراهيم بطل التوحيد إلى اليهودية أو النصـرانية وصـرّح بأنّه كان مسـلماً «۳». وبناءً على هـذا فالشـرايع السـماوية فى الحقيقة شـريعة واحدة وقد تكاملت أثر تكامـل المجتمعات البشـرية وظهور المتطلبات العصـرية، لتتبلور فى خاتمـة المطاف بتلك الشـريعة التى بعث بها خاتم الأنبياء، والواقع نسـتطيع أن نشـبه هـذه الشـرايع بالصـفوف التى تبدأ بالمدرسة الابتدائية وتنتهى بدراسة الدكتوراه. أدلّة ختم النبوة: تعتبر مسألة خاتمية النـبى الأـكرم صـلى الله عليه و آله للأديـان من وجهـة نظر علمـاء المسـلمين من اجوبـة المسائـل الشـرعية، ص: ۸۵ ضـروريات الدين الإسـلامى المقـدّس، والتى يـدركها حتى الفرد الأجنبى بفعل اتصاله بالمجتمعات الإسـلامية، ويسـتحيل وجود فرد يعيش فى الأوساط الإسـلامية ولم تطرق سـمعه قضـية ختم النبوّة، وهـذا بحـدّ ذاته أحـد الأدلـة على اختتـام النبوّة بنـبى الإسـلام صـلى الله عليه و آله. ولو أغضـضـنا الطرف عن ضـرورية هذه المسألة وإجماع المسـلمين فى أنحاء العالم كافّة عليها، فهنالك بعض الآيات القرآنية التى أشارت صراحة إلى هذه المسألة ومنها الآية الشـريفة: «مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّنْ رِّجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيماً» «۱» . وللوقوف على مفاد الآيـة لابـدّ من توضـيح للفظ «الخاتم»؛ فالخاتم فى اللغة العربية تطلق على الأشـياء التى تختتم بها آخر

الرسالـة. فالختم فی الماضـی یعادل توقیع الیوم، کما یعمـدون فی الوقت الراهن إلی ختم الوثائق والکتب المهمّة بالإضافة إلی التوقیع، کما نری الختم شائعاً الیوم لـدی دوائر الدولـة والشخصیات الرسـمیة. ویـدل الختم بالإضافـة إلی صـحة سـند ما ورد فی الکتاب علی اختتام السـند أو الوثیقـة، وبالتالی فإنّ اعتبار الکتاب یتوقف علی ختمه. کما کانوا فی السابق یسـتفیدون من القیر أو الطین الخاص «۲» لأحکام غلق العلب التی تضم بداخلها بعض الأشیاء کالعسل والخل وأنواع السوائل، ثم یختمونه لیکون دلیلًا علی عدم التلاعب به «۳». وخلاصـة القول فقـد قیل فی المصادر العربیة بشأن تفسیر الخاتم: ما یختم به. وإن اطلق اللفظ فی العربیة علی الخاتم المعروف فذلک لأنّهم کانوا یختمون به فی السابق، ولاسیما السلاطین والملوک وزعماء القبائل الذین کانوا یخطون أسماءهم علی خواتمهم ویختمون به. وحین عزم النبی الأکرم صـلی الله علیه و آله علی توسیع دعوته ومکاتبة السلاطین والملوک وإیفاد السفراء، أمر أن یعدوا له خاتماً وینقش علیه «محمد رسول اللّه» وکان یختم به کل کتبه. «۴» اجوبة المسائل الشرعیة، ص: ۸۶ وبناءً علی ما تقدم فإنّ المعنی الابتدائی للخـاتم لیس مـا یتختم به فی الیـد، بـل مفاده الأولی الوسـیلة التی یختم بها الکتاب والوثیقـة والسـند، وإن اطلق علی الخاتم المعروف لأنّهم کـانوا یسـتفیدون منه فی عملین. وتنتشـر الیوم العدیـد من الأختـام فی البلـدان العربیـة التی تصـنع من الفلزات والجلاـتین والتی تسـتعمل فی ختم الکتب والوثائق الرسـمیة. وعلی هـذا الأساس یتضح معنی «خاتم النبیین»؛ لأنّ مفاد ذلک أنّ محمد صـلی الله علیه و آله شخصیة ختمت به أبواب النبوّة التی فتحت بوجه البشریة منذ زمان آدم حتی زمانه، وقد انتهی هذا الفیض الإلهی إثر غنی المجتمع البشـری عن نبی ودین جدیـد، وکما یعلن بالختم انتهاء مضامین الکتاب، فقـد أعلن ببعث نبی الإسـلام صـلی الله علیه و آله انتهاء هذا الفیض واختتـام هـذه النبوّة الإلهیـة. وکـأن وجوده بمثابـة الختم الـذی اختتم به هـذا الباب وإلی الأبـد. التصـرف المسـتهجن فی معنی الخاتم: یبدو من المضـحک ما أوردته بعض الفرق الضالة بشأن «خاتم النبیین» حیث حاولت اغواء اتباعها فی أنّ المراد من «خاتم» فی الآیة هو هذا الخاتم، والهدف من تشبیه النبی بالخاتم بیان مکانته بین سائر الأنبیاء؛ فکما یکون الخاتم زینة للید، فإنّ نبی الإسـلام کان زینة لسائر الأنبیاء. ویبدو هذا التفسیر علی درجة من الضـعف بحیث عمد زعیم هذا المسـلک فی بعض کتبه إلی تفسیر الخاتم بمعناه الصحیح وهجر ذلک التأویل الشاذ «۱». طبعاً لا یحق لمفسّـر القرآن أن یبتدع ما یشاء من معانٍ للمفردات القرآنیة، ویتحتم علیه مراعاة الاسـتعمالات اللغویة السائدة لدی العرب؛ والحال لم ترد لفظة الخاتم فی العربیة بمعنی الزینة قط، فلا یقال أبداً: إنّ فلان خاتم أخوته، علی أنّه زینتهم، ولو کان الهـدف کون النبی زینـة الأنبیاء لانبغی أن تکون الاسـتعمالات الشائعـة من هذا القبیل لیقال إنّ نبی الإسـلام اجوبة المسائل الشـرعیة، ص: ۸۷ «تاج» و «اکلیل» الأنبیاء. لقـد فهم المسـلمون هـذا المعنی من لفظ الخاتمیة فبل أربعة عشـر قرناً، کما ورد مثل هذا الاسـتعمال فی الروایات الإسـلامیة. فقد قال الإمام الصادق علیه السـلام: «إنّ اللّه ختم بنبیّکم النبیین، فلا نبی بعده، وختم بکتابکم الکتب فلا کتاب بعده، وأنزل فیه تبیان کل شـیء» «۱» . کما تصـرف البعض الآخر عبثاً فی لفظ «الخاتم» فزعم أنّ الخاتم فی الآیة بمعنی الختم، لکن الهدف من وصف النبی الأکرم صـلی الله علیه و آله بخاتم الأنبیاء هو تصدیق من سبقه من الأنبیاء؛ فکما یفید الختم صـحة مضامین الکتاب، فإنّ نبی الإسـلام یصدق دعوة جمیع الأنبیاء. ولا یبدو هذا التغییر الأجوف أحسن من سابقه، صحیح أنّ الختم یشـهد بصـحة الکتاب، إلّا أنّ العرب لم تقل للشاهد خاتم، بحیث یقال الخاتم للشخص الذی یختم الرسالة أو یشهد علی حادثة. وناهیک عمّا سـبق فإنّ تصـدیق الأنبیاء لیس من مهام نبی الإسـلام، وکل نبی لاحق لا یصـدق النبی قبله فحسب، بل یصدق جمیع من سبقه من الأنبیـاء. فقـد قـال اللّه تعالی علی لسان المسیح علیه السـلام: «وَإِذْ قَالَ عِیسَـی ابْنُ مَرْیَمَ یَا بَنِی إِسْرَائِیلَ إِنِّی رَسُولُ اللَّهِ إِلَیْکُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَیْنَ یَدَیَّ مِنَ التَّوْرَاةِ ...» «۲» ، کمـا ینبغی أن نلتفـت إلی أنّ الآیـات القرآنیـة الدالّـة علی الخاتمیـة لاـ تقتصـر علی الآـیة المذکورة، وهنالک العدید من الآیات التی صرحت بخاتمیة رسالة النبی الأکرم صلی الله علیه و آله وقد آثرنا عدم التعرض لها مراعاة للإختصار. اجوبة المسائل الشرعیة، ص: ۸۹

۳ هل کانت الشرائع السابقة ناقصة؟

سؤال: نعلم أنّ الدين الإسلامى هو الدين الجامع والشامل للبشرية جمعاء ويلزم من هذا أنّ الأديان السابقة كافّة بالنسبة للإسلام ناقصة، وهنا يرد هذا السؤال: كيف أنزل اللّه للأقوام السابقة ديناً ناقصاً، واللّه تبارك وتعالى منزّه عن إرسال دين ناقص؟! الجواب: تفيد أدلة عمومية وشمولية الدين الإسلامى أن لا سبيل بعد بزوغ شمس الإسلام الذى يروم تكامل البشرية مادياً ومعنوياً سوى باتباع هذا الدين. طبعاً كان كل دين من الأديان السابقة فى عهده منهجاً حقاً لتكامل الإنسان وشده إلى اللّه وقد طوى الإنسان مسيرته نحو السمو والتكامل الروحى والمعنوى فى ظل تلك الأديان؛ إلّاأنّ ابلاغ الدين الإسلامى- بصفته الدين العالمى وخاتم الأديان- أصبح من غير الصحيح اتباع أى من الأديان السابقة، وليس لغير هذا الدين من سبيل لإيصال الأمّة إلى تكاملها المطلوب. ولكن كان كل دين فى زمانه أكمل دين للناس. وللتوضيح أكثر نقول: إنّ مجموع الأديان السماوية بمثابة مختلف الصفوف فى كلية اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۹۰ يخوضها الطالب الجامعى فى دراسته؛ فالذى يتعلمه الطالب الجامعى فى السنوات الأولى رغم أنّه أساس وصحيح فهو إعداد للصفوف والمراحل المتقدمة والتى تعدّ مكملة للمراحل السابقة. وبناءً على هذا فإنّ دروس كل مرحلة تعدّ أفضل البرامج بالنسبة للطالب فى تلك المرحلة، ولو لم يكن لك (كأن تطبق دروس المراحل المتقدمة فى السنوات الأولى) فسوف لن تكون النتيجة سوى ضياع الوقت؛ والعكس صحيح لو طبقت الدروس الأولى وعرضت على طلبة المراحل المتقدمة. فهل هنالك من يستطيع القول إنّ دروس المرحلة الأولى ناقصة، أم لابدّ من القول أنّ برامج ودروس كل مرحلة تعدّ أرقى الدروس بالنسبة للطالب فى تلك المرحلة، وكل ما يتعلمه هو إعداد المرحلة المتقدمة. وعلى هذا الأساس نحكم بأنّ الأديان السابقة كانت كاملة فى وقتها لهداية المجتمع وإيصاله إلى الكمال المطلوب. وبالطبع فإنّ نسخ الإسلام لما سبقه من أديان وكونه الدين الجامع والشامل بالنسبة لسائر الأديان لا يعنى أنّ تلك الأديان لم تكن على حق أو كانت ناقصة وغير صحيحة؛ ذلك لاستحالة نقصان الدين الذى يصدر عن اللّه الحكيم لهداية البشر، بل كل دين فى عصره كامل وحق وكافٍ لإيصاله الأمّة آنذاك إلى مرتبة السمو والكمال. لكن لابدّ من التفكير فى الإنسان المتكامل والذى ينشد بلوغ ذروة الكمال المادى والمعنوى وفسح المجال أمامه ليسلك سبيلًا يمكنه من نيل ذلك التكامل. وعلى هذا الضوء توالت الأديان السماوية الواحد تلو الآخر لتهذيب الإنسان فى مختلف المراحل لتختتم بالديانة الإسلامية التى تتربع على عرش تكامل الأديان. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۹۱

۴ دين أجداد نبى الإسلام صلى الله عليه و آله

سؤال: ماذا كان دين آباء و أجداد النبى الأكرم صلى الله عليه و آله، وما المراد من قولهم أنّهم كانوا على دين إبراهيم الخليل عليه السلام، ولماذا لم يعتنقوا دين المسيح؟ الجواب: على ضوء المدارك والأخبار التى وصلتنا عن الأئمّة عليهم السلام فإنّ آباء النبى الأكرم صلى الله عليه و آله كانوا موحّدين جميعاً، وهذا المراد من كونهم على ملّة إبراهيم عليه السلام؛ لأنّ إبراهيم كان أحد أبطال التوحيد الرافضين للشرك والوثنية، وجهاده واضح فى سبيل التوحيد والعبودية ونبذ الشرك والوثنية، ومن هنا نعتنا القرآن نحن المسلمين باتباع إبراهيم رغم تبعيتنا للشريعة الإسلامية ومراده من ذلك التوحيد الخالص. والدين الوحيد الذى كان سائداً فى الحجاز والقبائل العربية وله اتباع هو دين إبراهيم عليه السلام؛ بل كانت بعض سنن إبراهيم شائعة بين الوثنيين، وتصطلح العرب على دين إبراهيم بالديانة الحنفية؛ بينما لم تكن الديانة اليهودية والنصرانية تتمتع بذلك النفوذ فى الحجاز، وكانت أقلية يهودية ونصرانية تقطن فى المدينة وخيبر واليمن، وعلى أساس هذه اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۹۲ القرائن يمكن القول إنّ آباء النبى الأكرم صلى الله عليه و آله وأجداده كانوا على دين إبراهيم عليه السلام.

۵ هل كان نبى الإسلام صلى الله عليه و آله يقرأ ويكتب؟

سؤال: كتب السيد عبد اللطيف رئيس معهد المطالعات الثقافية فى مقاله بشأن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله أعرب فيها عن اعتقاده

المعزز بالأدلة بأنّ النبى الأكرم صلى الله عليه و آله كان يقرأ ويكتب قبل البعثة وما تسالم عليه المسلمون من أنّه أمّى ظلم فاحش، فهل هذا الكلام صحيح؟ الجواب: نرى قبل مناقشة أدلة الكاتب المذكور ضرورة توضيح مراد المسلمين من أمّية النبى الأكرم صلى الله عليه و آله بغية إزالة الشبهات الواردة بهذا الشأن. ۱- إننا نعتقد أنّ: النبى صلى الله عليه و آله كان أكمل البشرية علماً وعملًا، وكتابه السماوى وقوانينه وأحكامه ومواعظه ونصائحه وكافّة تعاليمه شهادة حية على علومه ومعارفه الدينية الخارقة. ۲- ونعتقد أيضاً أنّ: النبى صلى الله عليه و آله كان ملماً بأسرار عالم الخلقة والقوانين كافّة التى تحكم عالم الوجود، الأمر الذى لا ينكره القاصى والدانى فضلًا عن المسلمين كافّة. ۳- ونعتقد أيضاً أنّ: ذلك النبى العظيم إنّما استلهم عن طريق الوحى الكمالات كافّة اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۹۴ وتعلم كل هذه الدروس والمعارف فى مدرسة النبوة ولم يتتلمذ قط على يد معلم ويأخذ عنه العلم؛ ذلك لأنّ النبوة ليست نبوغاً فردياً واجتماعياً يمكن الحصول عليه عن طريق التعليم والتعلم، بل هى هبة إلهيّة تمنح لمن يستحقها من العباد. ۴- والمسلمون على ضوء الأقرار بما ذكر يقولون: إنّ النبى الأكرم صلى الله عليه و آله كان أمّياً، ويقصدون بالأمّى أنّه لم يتعلم ويتتلمذ، لا أنّه لم يكن ذا علم ومعرفة، ولعل الخطأ يكمن هنا، لأنّ «عدم التتلمذ» لا يعنى عدم كسب العلم، فالأنبياء العظام لم يتعلموا لدى أحدٍ من البشر، لكنّهم كانوا أعظم المعلمين فى عالم الإنسان. فآدم عليه السلام لم يتعلم لدى أحد، إلّاأنّ القرآن الكريم كان يصرّح بأنّه معلم الملائكة (ورد تفصيل هذا الموضوع فى الآيات ۲۸- ۳۲ من سورة البقرة). فإن كان المراد من تعلم النبى سعة إطلاعه وكمال علمه عن طريق الوحى، فهذا ما صدقه جميع المسلمين، وإن كان المراد تتلمذه كالآخرين على يد اساتذة فإنّ الحياة العظيمة للنبى وصريح آيات القرآن ترفض ذلك تماماً. ۵- يعتقد المسلمون أنّ: النبى الأكرم صلى الله عليه و آله لم يقرأ كتاباً قبل بعثته ولم يكتب صفحة، وقد أشار القرآن إلى هذا الموضوع صراحة فى الآية ۴۸ من سورة العنكبوت: «وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ» وسيرد تفصيل هذا المطلب فى الردّ على أدلة الكاتب. هل كان النبى صلى الله عليه و آله يقرأ ويكتب بعد البعثة أم لا؟ ليس هنالك من رأى قاطع مئة بالمئة بهذا الشأن، والمشهور أنّه صلى الله عليه و آله كان عملياً لا يقرأ ولا يكتب، وكان الآخرون هم الذين يتولون كتابة الكتب والرسائل التى كان ينشئها وهذا ما تؤيده الروايات الإسلامية. نعم يعتقد بعض الأعلام أنّ عدم قراءة النبى وكتابته ليست دليلًا على عدم قدرته على الكتابة والقراءة، ذلك لأنّ القراءة والكتابة من الكمالات التى لا يستطيع أحد أن يزعم أنّ النبى صلى الله عليه و آله كان فاقداً لذلك الكمال وإن لم يستعمله. وقد صرّح العلّامة المجلسى رحمه الله فى البحار فى فصل «الحديبية» أنّه ليس هنالك من شك فى قدرة النبى صلى الله عليه و آله على القراءة والكتابة، فكيف لا يحيط علماً بهذه الحروف من له كل هذه اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۹۵ المعجزات والكرامات والعلوم والمعارف «۱». ونخوض الآن فى هذا الموضوع وهو: هل تثبت أدلة ذلك الكاتب الهندى أنّ النبى الأكرم صلى الله عليه و آله كان متعلماً؟ وهل تثبت أنّه كان قادراً قبل وبعد البعثة على القراءة والكتابة وهل استغل تلك القدرة أم لا؟ نخوض الآن فى أدلة الكاتب المذكور: ۱- يقول: لقد ظن بعض المفسّرين بغية إثبات قدسية كتاب اللّه وعدم تصرف النبى صلى الله عليه و آله فيه إلى أنّه لم يكن يحسن القراءة والكتابة، والحال من بعث من جانب اللّه لا يتصرف مطلقاً فى كلام اللّه سواء كان متعلماً أم غير متعلم. الجواب: إنّ هذا الكلام عجيب وليس هنالك مثل هذا الرأى فى المصادر المعتبرة لعلماء الدين، وسمو الأنبياء الروحى والذى يصطلح عليه بالعصمة هو المانع الحقيقى من تصرفهم فى كلام اللّه لا فقدانهم للعلم. نعم ذهب بعض المسلمين على ضوء الآية الشريفة «الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ...» «۲» . إلى تفسير الأمّى بالمعنى المذكور. وقد ارتكب الكاتب خطأين فى تفسيره لمعنى «الأمّى» وعلة وصف النبى الأكرم صلى الله عليه و آله بهذه الصفة؛ الأول أنّه اعتقد أنّ سبب اعتبار النبى أمّياً كان حفظ القرآن من التصرف من قبل النبى صلى الله عليه و آله، والحال كانت العلة غير ذلك؛ والثانى تصوره أنّ معنى الأمّى هو عدم القراءة والكتابة، والحال معنى الأمّى عدم التتلمذ وعلى ضوء اصطلاح اللغويين (من لا يقرأ ولا يكتب» «۳» والفارق بين المعنيين كبير جدّاً. ۲- يقول: وصف القرآن النبى بالقول «وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ...». «۴» ولعل أدنى ما يلزم من يريد تعليم الآخرين مضمون كتاب أن يمسك بالقلم ويكتب، أو على الأقل يقرأ ما خط بالقلم. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۹۶ الجواب: يمكن

أن يقال إنّ النبى صلى الله عليه و آله كان قادراً على القراءة والكتابة- وإن لم يستفد من تلك القدرة حتى بعد البعثة الشريفة- لكن هذه الآية لا تثبت مدعى الكاتب؛ لأنّ طريقة تعليم الأنبياء ليس على غرار معلمى المدارس؛ فالنبى الأكرم صلى الله عليه و آله كان يمارس وظيفته الخطيرة (التعليم والتهذيب) من خلال حفظه للآيات القرآنية، وهذا الأسلوب فى التربية والتعليم لا يتوقف على القراءة والكتابة على ورق أو سبورة. وخطأ الكاتب هنا فى أنّه تصور اسلوب الأنبياء فى التربية والتعليم كنظيره لدى المعلمين والمدرسين، والحال كانت سيرة الأنبياء- لاسيما سيرة رسول اللّه صلى الله عليه و آله خلاف ذلك. ۳- يقول: إنّ القرآن الكريم نصير العلم والقلم حيث قال: «الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ* عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ» «۱» حتى أنزل اللّه إحدى السور القرآنية فى مكة واسماها سورة «القلم»؛ وبناءً على هذا فهل يعقل أنّ النبى اجتنب التعامل بالقلم وهو المأمور بتعليم القرآن الذى يساند القلم! الجواب: ذكرنا سابقاً أنّ القدرة على القراءة والكتابة كمال يتصف به النبى، واستعماله وممارسته كمال آخر، إلّاأنّه صلى الله عليه و آله كان يتحفظ عن القلم على أساس بعض المصالح الكبرى. فلو كان رسول اللّه صلى الله عليه و آله يطالع كتاباً ويكتب رسالة لتذرع خصوم الدعوة ومنكرو النبوة بأنّ رسالته التوحيدية وكافّة تعاليمها وأحكامها إنّما أفرزته مطالعاته ومتابعاته لكتب الماضيين ولا تمت بصلة للّهوالوحى والعالم الآخر. وقد أشار القرآن صراحة إلى هذه الحقيقة فقال: «وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ» «۲» ورغم السيرة النبوية التى تشهد بعدم تعلمه فإنّ طائفة من اليهود اتهمته بالتعلم من غيره ومطالعته لكتب الماضين: «وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا* قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِى يَعْلَمُ السِّرَّ فِى اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۹۷ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً» «۱» فلم يسلم صلى الله عليه و آله من هذه التهمة رغم مجانبته للقراءة والكتابة؛ ولو افترض مطالعته للكتب وكتابتها لكانت حربة بيد خصوم الدعوة ولقالوا فيه ما شاءوا! يذكر أنّ النبى صلى الله عليه و آله توقف لدقائق حين كان فى الثانية عشرة من عمره مع قافلة قريش عند راهب خلال مسيرته إلى الشام وقد استغل المستشرقون ذلك فأقاموا الدنيا واقعدوها ليزعموا بكل وقاحة أنّ محمداً إنّما تعلم كل هذه الحقائق من ذلك الراهب خلال تلك المدة الوجيزة. ۴- يقول: قال القرآن بشأن النبى صلى الله عليه و آله: «رَسُولٌ مِنْ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفاً مُطَهَّرَةً» «۲» فظاهر الآية يشير إلى أنّ تلاوته للقرآن من خلال القراءة لا الحفظ. الجواب: ممّا لا شك فيه أنّ حامل الوحى (جبرئيل) لم يكن يتلو القرآن قراءة، وكان يلقيه على القلب الطاهر للنبى (دون أن تكون هناك كتابة) حيث قال تعالى: «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ* عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ» «۳» ولابدّ أن يرى هنا تلك الكتابة التى زعم الكاتب المذكوركان النبى صلى الله عليه و آله يقرأها ماذا كانت؟ فهل سلم جبرئيل الأمين النبى كتابة؟ طبعاً هذا الأمر يتعارض صراحة مع الآية المذكورة؛ ذلك لأنّ قلب النبى وروحه القدسية كانت مركز نزول القرآن؛ فإمّا كان النبى يكتب، أو كان يملى والآخرون يكتبون وكان النبى صلى الله عليه و آله يتلو من خلال القراءة؟ قطعاً أنّ النبى كان يحفظ ما تنزل عليه من آيات. فبإذن اللّه لم يكن بحاجة لأن يكتب أو يملى ويكتب له آخر، وكتاب الوحى إنّما كانوا يكتبون القرآن لهم وللآخرين لا للنبى صلى الله عليه و آله. ومن هنا لم يرد فى التواريخ والسير أنّ النبى الأكرم صلى الله عليه و آله كان يكتب القرآن، أو يأمر بأن يكتبوا له القرآن ويقرأه. وعلى هذا الأساس فإنّ اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۹۸ المراد من تلاوة الصحف المطهرة فى الآية هى التلاوة حفظاً، وتلاوة الصحيفة والذى يصطلح عليه ب «تلاوة الكتاب» تستعمل بكلا المعنيين- كتابة وحفظاً- فى العرف واللغة. وبناءً على هذا فلفظ «التلاوة» ليس دليلًا على القراءة والكتابة، ومن ذلك أننا نقول لمن يقرأ حفظاً لبعض أشعار المتنبى أنّه قرأ بضع أبيات من القصيدة الفلانية، كما نقول قرأ فلان البيان الذى اصدرته المؤسسة الدينية بمناسبة كذا وكذا، والحال لم يقرأه من خلال كتابة وكان يحفظه حفظاً. والآية المذكورة على غرار سائر الآيات النازلة بشأن النبى والتى تصفه بأنّه «يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ ...» «۱» وتتضح هذه الحقيقة سيما بالإلتفات إلى سيرة النبى الذى كان ديدنه تلاوة القرآن حفظاً. ۵- ذكر الكاتب المذكور طائفة من الروايات والنصوص التاريخية تحت عنوان (النبى معلم) فى أنّ النبى صلى الله عليه و آله ساند العلم والمعرفة والكتابة؛ على سبيل المثال أوجب طلب العلم وجعله فريضة على كل مسلم ومسلمة، حتى فضل طلاب العلم على المستغرقين فى العبادات المندوبة، فبنى المراكز التعليمية «الصفة» التى كان يتعلم فيها المسلمون، وطلب من أسرى معركة

بدر اطلاق سراحهم مقابل تعليم كل أسير منهم لعشرة من المسلمين. ثم خلص بعد ذلك إلى هذه النتيجة: هل هناك من يعتقد أنّ ذاك الزعيم الذى يعيش كل هذا الحرص على العلم والتعليم أن يحرم نفسه من معطيات القراءة والكتابة؟! الجواب: كل ما نقله الكاتب المحترم من الشواهد التاريخية والمصادر الإسلامية صحيح، لكنها لا تثبت مدّعاه (فى أنّ النبى صلى الله عليه و آله كان يقرأ ويكتب قبل وبعد البعثة)؛ ذلك أن هنالك عدّة طرق وأساليب ليست خافية على احد فى مساندة الإسلام للعلم والمعرفة. والبحث هل استغل النبى الأكرم صلى الله عليه و آله قبل وبعد البعثة تلك القدرة ليمارس القراءة والكتابة خلافاً لما صرحت به الآية ۴۸ من سورة العنكبوت؟ وهل كان اسلوب تعليم النبى على غرار المعلمين المعاصرين الذين يدرسون من خلال الكتاب؟ أم كان اسلوبه التعليمى على ضوء تلاوة الآيات القرآنية وتعليم الحلال والحرام وافاضة التعاليم الإسلامية واسداء النصح والإرشاد؟ للوقوف على المزيد بشأن (أمّية) النبى صلى الله عليه و آله يمكن الرجوع إلى كتاب (بين يدى مدرسة الوحى) الذى يخوض بالتفصيل فى هذه القضية. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۹۹

۶ ما كان الهدف من معراج النبى صلى الله عليه و آله؟

سؤال: استهلت سورة الإسراء بالآية الشريفة: «سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» «۱». لماذا عرج اللَّه بنبيّه المصطفى صلى الله عليه و آله؟ فلو قلنا إنّ اللَّه أراد أن يريه مكانه، فذلك ليس بالصواب، لأنّ اللَّه لا يحويه مكان وهو فى كل مكان؛ وإن كان المراد تعريفه بالكواكب والمجرات وأبرز مناظر عالم الخلقه، فالقضية لا تخلو من إشكال؛ ذلك لأننا نحن المسلمون نؤمن بأنّ النبى الأكرم صلى الله عليه و آله والأئمّة عليهم السلام كانوا يعلمون بكل شىء وكل مكان. الجواب: أولًا: لابدّ من الإلتفات إلى أنّ الآية الأولى من سورة الإسراء تسكت عن عروج النبى الأكرم صلى الله عليه و آله إلى السموات لتقتصر على حركة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ولكن يمكن استفادة هذا المطلب من آيات أخرى كالآيات الشريفة: اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۰۰ «عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ... عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى «۱» فهذه الآيات تتحدث صراحة عن عروج النبى صلى الله عليه و آله إلى السماء، إلّاأنّ الإية الأولى من سورة الإسراء تتحدث عن بداية هذه المسيرة التى حصلت على الأرض، وكان الهدف من هذه المسيرة (كما وردت الإشارة فى الطائفتين من الآيات المذكورة) إلى رؤية آيات اللَّه الكبرى فى عالم الخلق. ومن البديهى أنّ تلك المشاهدة مشاهدة حضورية ولا يمكن لموجود له جسم أن يعيش المشاهدات الحضورية إلّابحضوره عند الموجود الذى يريد مشاهدته، وما ذكرته من أنّ النبى صلى الله عليه و آله عالم بكل شىء بدون العروج إلى السموات فإنّ هذا العلم يختلف تماماً عن المشاهدة عن قرب، وبالضبط كاطلاعنا على حادثة تقع فى منطقة بينما لم نكن فى موقع الحادثة فنراها بأم أعيننا، طبعاً هنالك تأثير أعمق فى وجود الإنسان للحضور فى الموقع ومشاهدة الحادثة، بينما ليس هنالك مثل هذا التأثير بفعل العلم الغيبى. وبناءً على هذا فإنّ اللَّه تعالى أراد لنبيّه الأكرم صلى الله عليه و آله أن يرى عن قرب آثار عظمته ويفيض معرفة على قلبه المقدس، ولو تصور شخص أنّ النبى الأكرم صلى الله عليه و آله كان يستطيع أن يرى من الأرض بهذه العين المجرّدة آثار عظمة اللَّه فى العوالم العليا لكان مجانباً للصواب ومخالفاً للحقيقة؛ فقد كان للنبى من حيث الجسمية خصائص الجسمانيات وعالم المادة، وهنالك حدّ معين لقدرة الرؤية البصرية. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۰۱

۷ هل يستطيع الشيطان النفوذ إلى الأنبياء؟

سؤال: أعلن القرآن الكريم صراحة أنّ اللَّه خاطب الشيطان ليس لك من سبيل إلى عبادى المخلصين، فى حين تسلل الشيطان إلى آدم عليه السلام واغواه! رغم أنّ آدم عليه السلام من عباده المخلصين ومن أصفياء اللَّه، ومن المسلم به أنّ من نال مرتبة (صفى اللَّه)

قد اجتاز مرحلة العبودية الحقة؟ الجواب: ما خاطب اللّه به الشيطان أنّه لا يستطيع إغواء عباد اللّه ويزين لهم الفواحش والحرمات وبالتالى سوقهم إلى الكفر والمعصية. والفعل الذى صدر من آدم عليه السلام فى الجنّة لم يكن عملًا شيطانياً، بل لم يكن أكثر من ترك الأولى. والإنسان بصورة عامة هو الذى يسمح برغبته للشيطان بالتسلل إلى قلبه، وإلّا فليس له من سلطان قسرى علينا، والأنبياء بالطبع لا يدعونه ينفذ إلى قلوبهم. بعبارة أوضح: المراد من «سلطان» الشيطان هو أن يستحوذ على قلب الإنسان أثر ضعف إيمانه وعدم مبالاته، وبالتالى يزين له مقارفة الذنب، وليس للشيطان مثل هذه اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۰۲ السلطة على روح الأنبياء القدسية. وقضية أكل آدم من الشجرة المحظورة كان من باب ترك الأولى، لا أنّها كانت محرمة عليه. وقد كشف أعلام الطائفة بالأدلة العقلية الواضحة عن عصمة الأنبياء من الذنوب، ومن أراد الوقوف على المزيد بشأن قصة آدم عليه السلام وأدلة عصمة الأنبياء فليراجع كتاب (الزعماء العظماء). اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۰۳

۸ عصمة الأنبياء

اشارة

سؤال: ما فلسفة عصمة الأنبياء، وهل عصمتهم هبه إلهيّة صرفة، أم أنّهم نالوا هذه المرتبة بفضل أعمالهم؟ الجواب: إنّما تستند عصمة الأنبياء (الابتعاد عن الذنب والخطأ والنسيان) إلى كمالاتهم المعنوية والروحية. فمما لا شك فيه أنّ الحالة المعنوية للإنسان هى التى تقف وراء أعماله الحسنة والسيئة، فالحالة الروحية المتسافلة كالجهل وعدم الإيمان بالمبدأ والمعاد وطغيان الغرائز وما شابه ذلك إنّما تفرز الانحراف والمعصية، كما أنّ العلم والمعرفة والإيمان وتهذيب النفس والتقوى والورع يحول دون ارتكاب الإثم ويفضى إلى الأعمال الصالحة والإنسانية. ويتمتع الأنبياء على المستوى الروحى والمعنوى بقوة إيمان وعلم ومعرفة عظيمة، وكان هذان العاملان من أهم العوامل الروحية التى قمعت مقدمات الذنب والانحراف لديهم؛ فالإنسان حين يقف على قبح الذنب وعواقبه الوخيمة على سعادته الأبدية، وحين يبلغ ورعه مرتبة لا تجعل لعناصر الذنب الباطنية والظاهرية من تأثير عليه، فإنّ هذا الفرد اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۰۴ يستحيل عليه مقارفة الذنب. وهنا يرد هذا السؤال: كيف ومن أين تتأتى هذه الحالة الروحية التى تفرز العصمة لدى الأنبياء؟ لابدّ من الالتفات إلى أنّ هذه الكمالات الروحية معلولة لعدّة عوامل محورية ورئيسية وهى:

۱- الوراثة

أثبتت علوم الدين أنّ بعض الاستعدادات الروحية لكسب الفضائل والكمالات الإنسانية، بل حتى بعض الخصائص والصفات إنّما تنتقل بالوراثة من جيل لآخر، والأسر التى ينتمى إليها الأنبياء من الأسر الطاهرة والنجيبة التى ورثت بمرور الزمان خزينا من الكمالات والفضائل الروحية فكانت تنتقل حسب الوراثة من جيل إلى آخر، والتاريخ أشار فى أكثر من موقع إلى هذه الحقيقة، مثلًا بالنسبة لأسر نبى الإسلام صلى الله عليه و آله فإنّ التاريخ يشير إلى أنّه ولد وترعرع فى أشرف قبائل العرب «قريش» ومن أشرف قريش عشيرة بنى هاشم، المشهورة بالصدق والشجاعة والكرم والغيرة والمروءة وأداء الأمانة، ومن هنا كانت موضع احترام كافّة القبائل العربية. وآباء النبى صلى الله عليه و آله وأجداده كما يفيد التاريخ من الأفراد المعروفين بالإيمان والشرف والصلاح. وبناءً على هذا فإنّ مسالة «الوراثة» خلقت فى الأنبياء استعداداً خاصاً لاستلهام الكمالات الروحية، فكان ذلك الاستعداد بمثابة أساس يمكنه بالإضافة إلى عوامل أخرى كالتربية والتهذيب أن يستقطب الفضائل لدى هؤلاء الأفراد.

۲- التربية فى نقل الفضائل والكمالات

العمل الثانی فی الکمالات الروحیة للأنبیاء ما نصطلح علیه بالتربیة فأسر الأنبیاء کانت تتحلی بکمالات وفضائل استطاعت تربیتهم علیها لتکمل استعدادهم الوراثی بغیة کسب الکمالات الروحیة، فطبعوهم علی الإیمان والشجاعة والفطنة.

۳- عوامل مجهولة

یؤمن علماء النفس والطبیعة من خلال تحقیقاتهم بشأن علل الشخصیة الروحیة للأفراد- غیر الوراثة والتربیة- بسلسلة من العلل المجهولة التی قد تؤثر فی الجینات التی تحدد بعض الصفات فتؤدی إلی العدید من الحالات والقوی الروحیة الخارقة لدیهم، ویعتقد علماء النفس والطبیعة أنّ هذه العلل تحدث طفرات فی النطفة، وتؤدّی هذه الطفرات إلی ظهور خصال غریبة لدی هؤلاء الأفراد والتی تسبغ علیهم کمالًا روحیاً معیناً.

۴- الهبة الإلهیّة

بالإضافة إلی العوامل الثلاثة المذکورة هنالک عامل مهم آخر هو الفیض الإلهی وعنایته الخاصة بالأنبیاء. والعوامل السابقة تمنح المعصوم قدرة واستعداداً بحیث یشمل بفیض اللّه وعنایته الخاصة. وعلی ضوء هذا الفیض الربانی تصبح قواه الروحیة أعظم تاثیراً وشدّة. وهذه الإفاضة تفعل کمالاته الروحیة وتتبعها بکمالات أخری وهذا اللطف الإلهی الخاص یوجب قوّة إیمان الأنبیاء ومعارفهم وبصیرتهم، وقوة الإیمان وسعة العلم تقمع عوامل المعصیة لدی المعصوم، وتفرز حالة طارئة، وهکذا تتظافر کل هذه العوامل لتحصن المعصوم من مقارفة الذنب والمعصیة. والجدیر بالذکر أنّ شخص المعصوم یتمتع فی کل هذه المراحل بحریة تامة فی الإرادة وعصمته اختیاریة تماماً. وسنخوض فی هذه التفاصیل عند الاجابة عن السؤال القادم. ولا نری من ضرورة للتذکیر بأنّ ما قیل ثابت بحق الأئمّة الطاهرین علیهم السلام.

۹ هل عصمة الأئمّة فضل؟

سؤال: العصمة ملکة تحصن الإنسان من مقارفة الذنب والخطأ والإنحراف، وعلیه فإنّ الأفراد الذین یتحلون بهذه الملکة لا یقدرون علی الإتیان بالمعصیة وبالتالی سوف لن یکون لعصمتهم من فضل. الجواب: إنّ عصمة الأنبیاء من الذنوب والمعاصی لیست بخارجة عن إرادتهم واختیارهم قط، بل عصمتهم إرادیة واختیاریة تستند إلی العلم والإیمان. توضیح ذلک: إنّ العصمة من الذنوب من لوازم العلم والإیمان بمفاسدها، طبعاً هذا لا یعنی أنّ کل علم بلوازم الذنب ومفاسده یفضی إلی العصمة، بل لابدّ أن تکون حقیقة العلم علی درجة من الوضوح بحیث یقف الإنسان ببصیرته علی آثار الذنب، وعلی هذا الأساس یکون صدور الذنب منه بصیغة «محال عادی» لا «محال عقلی» وللوقوف علی حقیقة الأمر نستعین بهذا المثال: لکل واحد منا عصمة إزاء سلسلة من الأعمال الخارجیة التی تکلفنا حیاتنا، وهذه اجوبة المسائل الشرعیة، ص: ۱۰۸ العصمة معلولة لعلمنا بمثل هذه الأعمال؛ مثلًا إذا کانت هنالک دولتان متخاصمتان ومتجاورتان بحیث ینتشر بینهما حرس حدود کل منهما ویستفیدون من الأضواء الکاشفة والکلاب البولیسیة وربّما تزرع کل منهما الألغام علی أراضیها، فإنّ أحداً من الناس لا یفکر فی تجاوز هذه الحدود فضلًا عن الأقدام عملیاً علی تجاوزها کونها تکلفه حیاته؛ وعلیه فلدی الإنسان عصمة إزاء هذا العمل. وأقرب من ذلک مثلًا هنالک عصمة یتحلی بها الإنسان إزاء شرب السم أو الإمساک بالسلک الکهربائی أو تناول الطعام المتبقی من شخص مریض مصاب بمرض الجذام أو السل، سیما إن کان له علم بعدوی المرض، فهو لا یقترب قط من هذه الأعمال، وصدور مثل هذه الأعمال من الإنسان یبدو محالًا عادیاً، وسبب هذه العصمة تجسد لوازم تلک الأعمال، فهذه اللوازم تخترق بصره وبصیرته بحیث لا یفکر فی القیام بهذه الأعمال، فضلا عن ارتکابها. وإننا لنلاحظ بعض الأفراد الذین لا یتحرجون من أکل مال الیتیم، ولکن هنالک بالمقابل من یتحرز عن أکل دینار من الحرام؛ فلم لا یحتفظ الأول عن

أكل مال اليتيم بينما يأبى الثانى ما دون ذلك؟ طبعاً سبب ذلك أنّ الشخص الأول إمّا أنّه لا يؤمن أصلًا بتبعات هذا النوع من العصيان، أو حتى وإن امتلك الإيمان والاعتقاد، فإنّ حبّه للماديات تحول إلى حجاب غليظ ضرب على بصيرته بحيث يحول دون رؤيته لتلك الآثار والتبعات؛ أمّا الشخص الثانى فله إيمان راسخ بتبعات الذنب بحيث يرى كل قطعة من مال اليتيم جمرة من جهنم، وليس هناك من عاقل يأكل نارا؛ ذلك لأنّه يرى بعلمه الثاقب وبصيرته كيف تتبدل تلك الأموال إلى نيران محرقة، وعلى هذا الضوء تكون له عصمة من ذلك الذنب. والقرآن يصف أولئك الذين يخزنون الذهب والفضة ولا يخرجون حقوقها الشرعية بأنّها تحمى بجهنم يوم القيامة لتسلط على وجوههم وجباههم وظهورهم «يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَـذَا مَا كَنَزْتُمْ لِانفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ». «۱» اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۰۹ والأن لو تمثل بعض مالكى الكنوز هذه الصورة وشاهدوا بأعينهم كيف يعاقب زملاؤهم، ولو حذروا من هذا العقاب بالنسبة لثرواتهم التى يمتلكونها وكيف ستكون عليهم وبالًا، قطعاً سيغيرون أسلوبهم وتعاملهم. وهنالك بعض الأفراد فى هذا العالم على درجة من الإيمان بمضمون هذه الآية دون مشاهدة صورة العذاب الإلهى بحيث لا يقل أثراً عن شهوده، وحتى لو رفع الغطاء الدنيوى عن أعينهم لما كان هنالك من تغيير فى إيمانهم. فمثل هؤلاء الأفراد يمتلكون نوعاً من العصمة إزاء هذه المعصية (كنز الذهب والفضة). فلو كان هنالك أفراد أو طائفة يتصفون بهذه الحالة إزاء عقاب جميع المعاصى، وقد اتضح لهم عذاب اللّه وأليم عقابه بحيث لم يعد لزوال الحجاب وإنعدام المسافات المكانية والزمانية أدنى تأثير على إيمانهم واعتقادهم، وعلى هذا الأساس فإنّ لهؤلاء الأفراد نوعاً من العصمة إزاء جميع الذنوب والمعاصى، فهم ليسوا فقط لا يقارفون الذنب فحسب، بل لايفكرون فيه. وبناءً على هذا فإنّ للعصمة فى هذه الموارد أثر مباشراً للإيمان والعلم القاطع بعقاب الأعمال، ولكل فرد نوع من العصمة إزاء بعض هذه الموارد. والواقع أنّ الأنبياء يتمتعون بعصمة تامة وشاملة أثر إحاطتهم العلمية بعقاب الأعمال وعلمهم بعظمة اللّه، وعلى ضوء هذا العلم فقد قمعت عندهم كافّة دوافع الذنب وطغيان الغريزة، فهم لا ينتهكون حدود اللّه. هذا هو مقام العصمة من الذنب الذى يتمتع به الأنبياء والأئمّة عليهم السلام وأصلها الإيمان والعلم والمعرفة والتسلط على النفس وعلو الهمة. أفليست هذه العصمة فضيلة؟ وهل يستطيع هؤلاء إرتكاب الذنب؟ قطعاًيستطيعون، إلّا أنّهم لا يستغلون هذه الاستطاعة أبداً. فربّما يمكن لشخص محترم أن يسرق إبريق جاره أن تسلّق الجدار، لكنّه لا يفعل ذلك أبداً. والطبيب يسعه أن يشرب ماءً مملوءاً بالمكروبات، لكنّه لا يشربه، وهذا الفرد ليس بعاجز عن الشرب «۱». اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۱۱

۱۰ هل هنالك من منافاة بين العصمة والاستغفار؟

سؤال: رغم أننا نعلم بأنّ الأنبياء والأئمّة عليهم السلام معصومون من الذنب ولا يصدر منهم أى خلاف، مع ذلك ورد فى بعض الأدعية عنهم أنّهم يعترفون بذنوبهم ويسألون اللّه العفو عنهم. ففى دعاء كميل مثلًا يتضرع على عليه السلام إلى اللّه بهذا الدعاء: «اللَّهُمَّ اغفر لِى الذّنوبَ الّتى تَهتِكُ العِصَمَ ... اللَّهُمَّ اغفِر لِى كُلَّ ذَنْبٍ أَذْنَبْتُهُ وَكُلَّ خَطِيئَةٍ أَخْطأْتُها!». فهل مرادهم من هذه الأدعية الأمّة لتتعرف على أدب مناجاة اللّه وكيفية طلب المغفرة بهذه العبارات، أم أنّ هنالك حقيقة معينة فى تلك العبارات؟ الجواب: لقد إلتفت العلماء الأعلام إلى هذا الإشكال منذ قديم الزمان فذكروا عدّة أجوبة لعلها تتفق جميعا على حقيقة واحدة، وهى أنّ للذنوب والمعاصى بُعد «نسبى» فى مثل هذه الموارد، فهى ليست من قبيل الذنوب المطلقة والعادية. توضيح ذلك: هنالك توقعات مختلفة فى جميع القضايا الاجتماعية والأخلاقية والعلمية والتربوية والدينية. وسنكتفى هنا بذكر مثال واحد من بين مئات الأمثلة لتوضيح اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۱۲ الموضوع: لو تطوع عدد من الأفراد لمشروع خيرى كبناء مستشفى مثلًا للفقراء، فالعامل الذى له دخل محدود ومع ذلك يتبرع بمبلغ ما لهذا المشروع فإنّه يحظى بتقدير الآخرين، ولكن لو تبرع بهذا المبلغ رجل ثرى، فهو ليس فقط لا يستحق التقدير فحسب، بل ينقم عليه الجميع ويذمونه؛ أى أنّ التبرع الذى يمدح عليه شخص، يذم عليه شخص آخر! مع أنّ هذا المذموم لم يرتكب أى جرم من الناحية القانونية. وفلسفة هذا الموضوع كما أشرنا سابقاً: أنّ ما يتوقع من كل فرد يتوقف على إمكاناته

من قبيل العقل والعلم والإيمان وبالتالى إمكانيته وقدرته. فلربّما كان القيام بعمل من فرد يمثل عين الأدب والخدمة والحب والعبادة، لكنّه يمثل فى نفس الوقت من شخص آخر عين إساءة الأدب والخيانة وخلاف المحبّة والتقصير فى العبادة والطاعة! والآن على ضوء هذه الحقيقة، نأخذ بنظر الاعتبار الأنبياء والأئمّة عليهم السلام ونقيم أعمالهم على أساس تلك المنزلة العظيمة: فهؤلاء مرتبطون مباشرة بمبدأ عالم الوجود وقلوبهم تنبض بعلمه المطلق اللامتناهى، وهنالك العديد من الحقائق الواضحة لهم والخافية على غيرهم، فهم قد بلغوا ذروة العلم والإيمان والتقوى، وزبدة الكلام فهم يعيشون حالة من القرب الإلهى بحيث لا يغفلون عن معبودهم طرفة عين. وبناءً على هذا فما كان مباحاً أو مكروها على غيرهم يبدو محرّماً عليهم! والذنوب التى تنسب إليهم من خلال بعض الآيات والروايات والأدعية ووقوفهم لطلب العفو والمغفرة من هذا القبيل؛ أى أنّ مقامهم المعنوى وعلمهم وإيمانهم على درجة من الرفعة بحيث إنّ أدنى غفلة فى أبسط عمل إنّما تعدّ معصية، ولعلنا نقف على هذه الحقيقة من الخير المعروف «حسنات الأبرار سيئات المقربين» «۱». وقد أورد الفيلسوف الجليل المرحوم الخواجة نصير الدين الطوسى جواباً للإشكال المذكور وهو: «أنّ الإنسان إن ارتكب حراماً أو ترك واجباً، ولابدّ أن يتوب وينزع عن معصيته، وهذا القسم من الذنوب لعامة الأفراد. ولكن إن ترك أمراً مستحباً وأتى بفعل اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۱۳ مكروه فهذا من الذنوب أيضاً ولابدّ من الأستغفار، وهذا الذنب والأستغفار بالنسبة للأفراد المعصومين من القسم الأول من الذنوب. والذنوب التى نسبها القرآن والروايات لبعض الأنبياء عليهم السلام كآدم وموسى ويونس و ... من هذا القبيل، وليست من الطائفة الأولى، ولو إلتفت فرد لغير اللَّه واشتغل بأمور الدنيا وغفل عن التوجه إلى اللَّه فإنّ أهل المعرفة يعتبرون ذلك نوعاً من الذنوب، ولابد من التوبة منها وسؤال اللَّه المغفرة. ومن هذا القبيل أيضاً ذنوب نبيّنا وأئمتنا والتى يقرون بها فى أدعيتهم ويستغفرون اللَّه منها، وهى ليست من النوع الأول والثانى من الذنوب» «۱». ونرى من الضرورى لإكمال الجواب أن نتعرض هنا إلى الموضوع الذى ساقه أحد أعلام الشيعة المرحوم «على بن عيسى الأربلى» فى الجزء الثالث من كتابه النفيس «كشف الغمة فى معرفة الأئمّة» ضمن بيانه لسيرة موسى بن جعفر عليهما السلام فقال: «كان للإمام الكاظم عليه السلام دعاء فى السجود يقرّ فيه بالمعصية و يسأل اللَّه المغفرة» «۲». فكنت أفكر فى معناه وأقول: كيف يتنزل عمّا تعتقده الشيعة من القول بالعصمة، و ما اتضح لى ما يدفع التردد الذى يوجبه فاجتمعت بالسيد السعيد رضى الدين أبى الحسن على بن موسى بن طاوس فذكرت له ذلك فقال: إنّ الوزير مؤيد الدين العلقمى سألنى عنه فقلت: كان يقول هذا ليعلم الناس، ثم إنّى فكرت بعد ذلك فقلت: هذا كان يقوله فى الليل، وليس عنده من يعلمه. ثم سألنى عنه الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمى فأخبرته بالسؤال الأول والذى قلت والذى أوردته عليه، و قلت: ما بقى إلّاأن يكون يقوله على سبيل التواضع وما هذا معناه، فلم تقع منى هذه الأقوال بموقع، ولا حلّت من قلبى فى موضع، ومات السيد فهدانى اللَّه إلى معناه ووفقنى إلى فحواه بعد السنين المتطاولة من كرامات الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ومعجزاته. و تقريره أنّ الأنبياء و الأئمّة عليه السلام تكون أوقاتهم مشغولة باللَّه تعالى، وقلوبهم مملوءة به، وخواطرهم متعلقة بالملأ الأعلى، كما قال عليه السلام: «أُعبد اللَّه كأنّك تراه اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۱۴ فإن لم تره فإنّه يراك». فهم أبداً متوجهون إليه و مقبلون بكلّهم عليه، فمتى انحطوا عن تلك الرتبة العالية والمنزلة الرفيعة، إلى الاشتغال بالمأكل والمشرب والتفرغ إلى النكاح وغيره من المباحات عدّوه ذنباً واعتقدوه خطيئة واستغفروا منه. وإلى هذا أشار صلى الله عليه و آله: «إنّه ليران على قلبى وإنّى استغفر بالنهار سبعين مرّة» «۱». والعبارة المعروفة «حسنات الأبرار سيئات المقربين» وأمثالها إشارة لهذه الحقيقة التى أوضحناها. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۱۵

۱۱ هل يجتهد الأئمّة فى الأحكام؟

سؤال: ما عقيدة علماء الإسلام بشأن الأحكام التى وصلتنا عن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله وخلفائه المعصومين عليهم السلام؟ وهل يجتهدون فى بيان بعض الأحكام كسائر الفقهاء؟ وما ذكرناه بالقول بعض الأحكام، ذلك لعدم وجود الاجتهاد فى النصوص القرآنية الصريحة أو الأحاديث النبوية الصحيحة. الجواب: هذا السؤال يتعلق بعلم الكلام حيث ورد بصورة مفصلة فى فصل النبوة

والإمامة فی کیفیة علم النبی صلی الله علیه و آله والأئمّة علیهم السلام، نورده هنا باختصار، فعلماء المسلمین لا یرون للنبی صلی الله علیه و آله والأئمّة علیهم السلام من اجتهاد فی بیان الأحکام، ویعتقدون بأنّهم لا یحصلون علی الأحکام الشرعیة بواسطة الاجتهاد، ومقامهم فی بیان الأحکام أسمی من الاجتهاد. فالقرآن فی سورة «النجم» یصف کلام النبی صلی الله علیه و آله بالوحی الذی یلقی إلیه بواسطة الملک. «۱» والذی یتعرف علی الحقائق عن طریق الوحی لا یحتاج قط إلی الاجتهاد واستنباط الأحکام من الأصول. ویصدق هذا الکلام علی الأئمّة المعصومین علیهم السلام؛ فهؤلاء اجوبة المسائل الشرعیة، ص: ۱۱۶ وإن لم یرتبطوا بالوحی، إلّاأنّ علومهم غیبیة، فهم یبیّنون الأحکام التی لم یقلها النبی الأکرم صلی الله علیه و آله إثر عدم وجود المقتضی أو انتفاء المانع. فلیس هنالک من حجاب بینهم وبین الأحکام الشرعیة، وقد ألهمهم اللّه بلطفه وعنایته کل ما یحتاجه العباد من أحکام إلی یوم القیامة «۱». وعلی هذا الأساس فلیس هنالک من معنی لاجتهادهم فی الأحکام، لأنّ الاجتهاد فی الأحکام وظیفة من لا یستطیع التوصل إلی الأحکام دون استفراغ الوسع وتطبیق القواعد الأصولیة والفقهیة، وربّما لا یتوصل إلیها حتی بعد تحمل المشقة والعناء، أمّا النبی الأکرم صلی الله علیه و آله الذی یتلقی الأحکام من طریق الوحی ینفتح علی المتطلبات البشریة کافّة من حیث الأحکام والمعارف من خلال مجاریها الصحیحة، فإنّ مثل هذا الشخص سوف لن یحتاج إلی الاجتهاد ورد الفرع إلی الأصل واستنباط الجزئیات من الکلیات. کما أنّ أوصیاء النبی یعلمون حلال اللّه وحرامه وأحکامه کافّة، والذی تتضح له واقعیة الأحکام بکل خصائصها لغنی عن الاجتهاد. نوضح أکثر: الاجتهاد یلازم عدم الاطلاع القطعی علی الأحکام الواقعیة، والأفراد الذین یقفون بصورة قطعیة علی الأحکام عن طریق الوحی أو وراثة النبی صلی الله علیه و آله لیسوا بحاجة إلی الاجتهاد. لکن علماء العامة یؤمنون باجتهاد الخلفاء فی أغلب الأحکام، وقد وردت آراؤهم بصورة مفصلة فی کتب «العقائد والمذاهب»، ولعل السبب الذی دعاهم إلی هذا الاعتقاد ما نقلوه من أخطاء عن الخلفاء ولم یکن لهم من توجیه لذلک سوی إن اعتبروهم مجتهدین کالفقهاء بحیث یخطئون أحیاناً فی بیان الأحکام، ویبدو لهم أنّ خطأ الخلفاء فی بیان الأحکام إنّما کان بسبب احتهادهم، ولترسیخ هذه النظریة توسع بعضهم فی هذا البحث لیسلط الضوء علی علم النبی صلی الله علیه و آله ویخلص فی خاتمة المطاف إلی أنّ النبی الأکرم کان یجتهد فی الأحکام التی لم یرد فیها نص شرعی! هذا بیان مختصر للموضوع والتفاصیل فی مباحث "العقائد والمذاهب."

۱۲ ما المراد بالأنبیاء أولی العزم؟

سؤال: من هم الأنبیاء اولو العزم علیهم السلام، وما هی کتبهم؟ الجواب: مشهور أعلام الشیعة أنّ عدد الأنبیاء مئة وأربعة وعشرون ألف نبی، وإنّ مئة وثلاثة عشر منهم کانوا رسلًا- أی لهم مهمّة خاصة- بغض النظر عن مقام النبوّة. ویمتاز منهم خمسة أنبیاء یسمون «أولو العزم»، ویتصف دین هؤلاء الأنبیاء بالعالمیة والشمولیة. «۱» وهم حسب الترتیب الزمانی: نوح وإبراهیم وموسی وعیسی ومحمد علیهم السلام، وکتبهم: صحف نوح وصحف إبراهیم والتوراة والإنجیل والقرآن. ورغم أنّ کتب الأنبیاء السابقین اعتراها الضیاع أو تغیّرت ماهیّتها بحیث لم یبق سوی بعض معالمها- وبشکل محرف- إثر تقادم الزمان واغراض المعاندین، إلّاأنّ القرآن الکریم ظلّ منذ نزل علی قلب رسول اللّه صلی الله علیه و آله إلی زماننا الحاضر غضاً طریاً وسیبقی کذلک.

۱۳ ما عدد الأنبیاء الذین سمّاهم القرآن؟

سؤال: ما أسماء الأنبیاء الذین ذکروا فی القرآن؟ الجواب: بالإضافة إلی اسم النبی الأکرم صلی الله علیه و آله فقد ورد ذکر خمسة وعشرین نبیّاً فی القرآن وهم: آدم، إبراهیم، إدریس، إسحاق، إسماعیل، إلیاس، أیوب، داود، ذو الکفل، زکریا، سلیمان، شعیب، صالح، عزیر، عیسی، لوط، موسی، نوح، هارون، هود، الیسع، یحیی، یعقوب، یوسف ویونس علیهم السلام.

۱۴ هل عيسى ابن اللّه؟!

سؤال: هنالك برنامج دينى يبثه التلفاز الأمريكى عن الكنيسة الكاثوليكية يوم الأحد؛ والقساوسة يدعون بدعاء خاص لبعض الافراد الذين حال المرض دون حضورهم الى الكنيسة هو: اللّهم إنّا نؤمن بك، وليس لك سوى عيسى، وإننا نؤمن بابنك عيسى! هذه هى عقيدة المسيحيين بشأن عيسى عليه السلام. وأريد أن أعرف ما الدليل الذى يجعلنا نحن المسلمون ننكر أنّ عيسى هو ابن اللّه؟ الجواب: قد يبدو هذا السؤال عجيباً بالنسبة لمن يدرك منطق الإسلام بشأن معرفة اللّه، لكنّه ليس كذلك لمن يعيش فى البيئة غير الإسلامية وله إرتباط بالنصارى الذين يؤمنون بالأقانيم الثلاثة (اللّه والابن والروح القدس) ويتحدثون عن «الإله الأب» و «الإله الابن». ونرى- قبل الخوض فى الجواب- توضيح الحقيقة التى يريدها المسلمون من كلمة «اللّه» وما هو مرادهم منها؟ فكل من لديه أدنى علم بالعقائد الإسلامية يدرك أنّ «اللّه» على ضوء وجهة النظر الإسلامية مبدأ جامع لصفات الكمال كافّة ومنزّه عن كل نقص وعيب اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۲۲ وحاجة وحدود، وكل ما فى الكون محتاج إليه وهو الغنى المطلق. ومن البديهى أنّ مثل هذا الإله لا يحتاج إلى أحد وليس له أجزاء ذهنية وخارجية، وليس لهذا الإله أن يلد أو يولد وليس له زوجة ولا تحدّه عن حدود الزمان والمكان. «۱» لأنّ أيّاً من هذه الأمور إن كانت فى اللّه فإنّه يهبط من درجة الألوهية ليصبح مخلوقاً. مثلًا لو كان كسائر الموجودات المادية مركباً وله أجزاء- كأن نقول الماء مركب من عنصرين هما الاوكسجين والهيدروجين- سيكون محتاجاً فى وجوده إلى تلك الأجزاء، وسوف لن يتركب دون هذه الأجزاء، وهذا المعنى لا ينسجم مع إلوهيته بصفته «مصدر الوجود» و «خالق الكون» وعلى هذا الأساس فإنّ المسيحيين الذين يعتقدون بأنّ عيسى ابن اللّه إنّما يهبطون باللّه من درجة الألوهية بهذه العقيدة ويضعونه فى مصاف سائر المخلوقات. كيف يمكن للّهالذى يتنزّه عن التركب أن يفقد جزءً منه بشكل عيسى الذى يتصف كسائر أفراد البشر بالجسم والمادة، بحيث يصبح ابن اللّه، واللّه أبوه (لابدّ من التأمل). ولما شعر المسيحيون بأنّ هذا الموضوع «أنّ عيسى ابن اللّه» لا ينسجم مع أساسيات العلم والعقل، اضطروا لتأويل الموضوع ليفسّروا بنوّة عيسى بأحد هذه المعانى: ۱- لما كان خلق عيسى خرقاً للعادة ودون أن يكون له أب، كما كانت أفعاله تستند إلى أنواع المعجزات والقدرات الخارقة للعادة، ومن هنا يمكن القول إنّ عيسى مظهر تجلى اللّه ولذلك نعته اللّه بالابن، أو حيث إنّ اللّه كان شديد الحبّ لعيسى فقد دعاه إبنه. ويرد على هذا التوجيه إشكالان هما: أ) تناقضه مع صريح العهد الجديد الذى يقول: لكن حيث تكامل الزمان بعث اللّه ابنه الذى ولد من امرأة. ويتناقض مع عقائد عامة المسيحيين الواردة فى رسالة نيقيّة العقائدية: «إننا نؤمن بالرب الواحد الأب، القادر المطلق، خالق المرئيات وغير المرئيات، وعيسى المسيح ابن الرب، مولود من الأب، المولود الوحيد من ذات الأب، ربّ من ربّ ونور من نور اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۲۳ وإله حقيقى من إله حقيقى وهو مولود لا مخلوق مولود من ذات هى ذات الربّ ...»، ذلك لأنّ العبارات المذكورة صريحة فى أنّ عيسى المسيح ابن اللّه، وكما ينفصل نور عن نور فقد انفصل عيسى عن اللّه واستقر فى رحم مريم، ومن هناك ورد إلى هذا العالم لهداية الناس والأخذ بأيديهم إلى شاطئ السعادة. ب) إن استند الخلق لغير أب أو إنطوت حياة الشخص على بعض المعجزات وكانت كافية فى أن يسمى ذلك الشخص بابن اللّه، فإنّ ذلك سوف لن يقتصر على عيسى؛ فآدم عليه السلام ولد من دون أب وأم، كما ملئت حياة الأنبياء كابراهيم وموسى ونوح عليهم السلام و ... بأنواع المعاجز والكرامات، كما أنّ اللّه يحبّهم جميعاً، وعليه فلابدّ من الاصطلاح عليهم جميعاً بأبناء اللّه. ۲- التوجيه الآخر ما يقال: المراد من أنّ عيسى ابن اللّه أنّ اللّه حل فى جسد عيسى كما تحلّ الحرارة فى الماء. وهذا التوجيه لا يشكل هروباً من أصل الإشكال فحسب، بل هو استجارة بالرمضاء من النار؛ ذلك لأنّه كما ذكر فى مستهل البحث، إنّ اللّه ليس بجسم ولا يحدّ بزمان ولا مكان، فاللّه الوجود المحض والغنى عن الزمان والمكان، فكيف يمكن أن يحلّ ويتحد بجسد إنسان كعيسى وهو يأكل الطعام ويشرب وينام ويحدّ بالزمان والمكان كسائر أفراد البشر؟! فهل يمكن استيعاب ماء البحر رغم محدوديته فى قدح صغير، فإن قيل لا يمكن، فكيف يمكن حصر اللّه غير المحدود فى جسد عيسى البشرى المحدود؟! على كل حال، موضوع بنوة عيسى للّهليس خارجاً عن العقل والمنطق فحسب، بل من كان لديه أدنى علم بالعقائد الإسلامية فإنّ بعض هذه الأسئلة تثير لديه نوعاً من

الغرابة، على غرار استغرابه ممن يسأل: لماذا لا يتناول اللّه الطعام ويمشي و ...؟!

۱۵ ظهور الفرق المسيحية الثلاث

سؤال: هنالك عدّة فرق في الديانة المسيحية، إلّاأنّ أشهرها ثلاث هي «الكاثوليكية» و «الارثودوكسية» و «البروتستانتية»! فما الاختلاف بين هذه الفرق ومتى ظهرت؟ الجواب: الكاثوليك ومعربها «الجاثليق» تطلق على فرقة من المسيحيين الذين يرون البابا زعيمهم الروحي. وكان الأساقفة سواسية؛ إلّاأنّ بعض أساقفة المراكز الكبرى كالأسكندرية وأنطاكيا والقسطنطينية وروما تزعموا ما حولهم من الكنائس. واصطلح على أساقفة الكنائس الثلاث الأولى ب «البطريارق» وأسقف روما بالبابا. والكنيسة الرومانية أصبحت أعظم شهرة في العالم منذ ألّف «بولس» رسالته؛ ولم يكتفِ البابا بزعامة أكبر كنيسة في العالم، حيث سعوا للتسلط بالتدريج على الكنائس العالمية كافّة، واستندوا إلى أنّ عيسى استخلف «بطرس» فكان أول أسقف لروما، وعلى هذا الأساس كان خليفة «بطرس» لابدّ أن يكون خليفة عيسى في الأرض فيمارس سلطته على جميع الكنائس. وادعى «ليو» في القرن الخامس زعامته لكافّة الكنائس المسيحية، وقد اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۲۶ سلّم له أغلب أساقفة المغرب؛ بينما امتنع بطارقة القسطنطينية وأنطاكيا وأساقفة الكنائس الإيرانية عن الإعتراف بمقامه وزعامته؛ وقد أدّى هذا الإمتناع إلى ظهور الانفصال بين الفصائل اللاتينية المغربية والكنائس اليونانية والسريانية الشرقية. وما زالت هاتان الكنيستان منفصلتان إلى اليوم؛ إحداهما الكنيسة الأرثودوكسية اليونانية التي انتشرت في اليونان وروسيا، والأخرى الكنيسة الكاثوليكية الرومانية التي استفحلت في اوربا وامريكا. فهاتان الكنيستان تتفقان في اصل العقيدة، إلّاأنّهما اختلفا في قضية سلطنة البابا؛ بالإضافة إلى الاختلاف في بعض الأمور الثانوية. أمّا البروتستانتية كما يبدو من معناها (الإعتراض) فهي اسم فرقة كثيرة الأتباع اليوم؛ وظهرت هذه الفرقة اثر اعتراضها على أسلوب الباباوات وتهافت رجال الدين المسيحيون على جمع الثروات وبيع «صكوك الغفران» وفرض بعض القيود على المتعلمين. والواقع أنّ هذه الفرقة «اصلاحية» لتهذيب المسيحية ممّا فرضه عليها بعض الأساقفة والباباوات وزعيم هذه الفرق «مارتن لوثر» المصلح الكبير في عالم المسيحية. ففي ۳۱/ ۱۲/ ۱۵۱۷ م لصق ورقة على جدار كنيسة «ويتنبرك» أعرب فيها عن غضبه وسخطه تجاه بيع صكوك الغفران وسائر انتهاكات القساوسة ليعتبرها مجانبة للمنطق. فلما علم البابا أمر باحضاره إلى روما، فتمرد عليه، فكفره لؤى العاشر عام ۱۵۲۰ م. فقام «لوثر» بأحراق ورقة تكفيره بشجاعة حظيت بثناء الآخرين، ثم ترجم الكتاب المقدس «العهد الجديد» إلى الألمانية وأفنى عمره في التأليف وإصلاح الكنائس الخاضعة لنفوذه. وأخيراً رغم استطاعت الفرق البروتستانتية ممارسة الإصلاح في المسيحية، وأنكرت بيع الجنان وصكوك الغفران والرهبنة وأمثال ذلك، وامتناعها عن الإعتراف بزعامة البابا، مع ذلك لم تستطع الخروج عن حالة جمود المسيحية بشأن «التثليث» وسائر المسائل الخاطئة. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۲۷

۱۶ ما غسل التعميد؟

سؤال: ما المراد من غسل التعميد، وما كيفيته؟ الجواب: غسل التعميد أحد السنن الدينية المسيحية، ويزعمون أنّه كان قبل المسيح، وكل من يقوم بهذا الغسل فإنّه يؤدّي به إلى الطهارة من أي دنس ووقف النفس في طاعة اللّه. مع ذلك قال مؤلف كتاب «القاموس المقدس»: «إنّ المسيح لم يعمد أحداً» «۱». وهناك خلاف بين المسيحيين بشأن كيفية غسل التعميد؛ فالبعض يقول بوجوب غمر البدن في الماء، ويقول البعض الآخر بضرورة غمس البدن في الماء ثلاث مرات، وأخيراً يقال: إنّ غسل التعميد للكبار الذين يستطيعون الإعتراف بالذنب عند القسيس؛ ومن هنا فإنّ الأطفال يعفون من هذا العمل؛ بينما يقول البعض بوجوب تعميد الأطفال ويعتقدون بكفاية رش البدن بالماء، لأنّ هذا العمل (رش الماء على الأطفال) إشارة إلى الغسل مع الروح القدس ويكفي قدر من الماء باسم الأب والابن والروح القدس. وبناءً على هذا فإنّ غسل التعميد لمن كان مسيحياً سبب طهارته من الذنب، كما يعتبر هذا الغسل بالنسبة اجوبة

المسائل الشرعية، ص: ۱۲۸ للأطفال والمسيحيين الذين لم يعمدوا أو الأفراد الذين يعتنقون هذا الدين حديثاً دليلًا على الدخول فى الدين المسيحى. كيفية غسل التعميد: يسود اليوم جميع الكنائس غسل التعميد الموحد وبهذه الصيغة: يقوم القس بمل ظرف بالماء ويضيف إليه أحياناً مقداراً من الدهن والملح، ثم يخاطب من يروم تعميده أمام الجميع قائلًا: «إعلم أنّ المسيحية عبارة عن الاعتقاد بأنّ اللَّه يتركب من ثلاثة أصول أزلية الأب والابن والروح القدس؛ إذن عيسى الرب وابن الرب وانعقد بهيئة بشر فى رحم أمّه مريم؛ فهو إله من جوهر أبيه وإنسان من أمّه وقد صلب ثم حيى بعد ثلاثة أيّام و (كان أربعين يوماً بين الناس) ورفع إلى السماء وجلس يمين الرب وسيشهد بإيمانك يوم القيامة ذلك الرب المقتول». وهنا ينبغى أن يرد الطرف المقابل بلى، فيقوم القس مباشرةً بصب الماء على الشخص ويقول بصوت مرتفع أعمدك باسم الأب والابن والروح القدس ثم يجفف وجهه بمنديل، فتغفر ذنوبه فى هذه اللحظة أو يصبح مسيحياً بصورة رسمية. ويعمد الصبى فى اليوم الثامن، حيث يأتى الوالدان بصبيهما إلى الكنيسة، فيخاطبه القس بالعبارات السابقة ويلبى الوالدان بدل الطفل «۱». ولو تأمل كل منصف تشريفات غسل التعميد لرآه مشحوناً بسلسلة من الخرافات، نشير إلى جانب منها: أولًا: إنّ الذنب نوع من الأنحراف الروحى والأخلاقى ولا تزول آثاره قط دون تصفية الروح والتوبة الحقيقية والتربية الأخلاقية والإنابة إلى اللَّه، ورش الماء بعد خلطه بالدهن (بلسان) والملح ليس من شأنه تصفية روح الإنسان وغسل قلبه، ولو عاش الإنسان توبة حقيقية من الذنب وندم على ما فرط منه لما كان بحاجة إلى هذه الخرافات. فالإسلام يعتبر اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۲۹ ندم الشخص انعكاساً لطهارته من الذنب، ولا- يؤمن أبداً بأن ينتهك المذنب ستره ليبوح لآخر بذنوبه ليكون واسطة وسببا لغفرانها. ثانياً: الإيمان بالتثليث- وبهذه الصراحة- شرك علنى ليس من شأنه أن يكون وسيلة للطهر فحسب، بل يبعد الإنسان عن حقيقة التوحيد، وبالطبع أنّ العقيدة التى تستند إلى هذه الخرافات سوف لن تكون وسيلة للنجاة والتربية، بل لا تؤدّى سوى إلى الانحراف والضلال، والحق أنّه لمن دواعى الدهشة والذهول أن يتكلم هؤلاء بهذه العبارات التى تفيد الكفر صراحة ويزعمون أنّها ستطهرهم من الذنب. ولعل رؤية واضحة تبدو لنا ممّا تقدم عن واقعية الدين الإسلامى المقدس، فالإيمان بمبادئ هذا الدين لا يتوقف على أى من هذه الخرافات، وكل فرد أينما كان آمن بوحدانية اللَّه ونبوة النبى صلى الله عليه و آله سيكون مسلماً واقعياً ويتساوى فى الحقوق مع سائر المسلمين، وعليه فليس هناك داعٍ لأن يحضر عند شخص ليسمع تلقيناته ويصدق بخرافاته.

۱۷ بشارة المسيح بنبى الإسلام

سؤال: هل ورد فى الأناجيل بشارة المسيح بالنبى صلى الله عليه و آله كما ورد فى القرآن وأنّ اسمه «أحمد»؟ الجواب: الآية الشريفة الواردة فى القرآن بهذا الشأن «... وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنْ بَعْدِى اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ» «۱». يقول المحققون إنّ هذه البشارة وردت فى انجيل يوحنا فى الأبواب ۱۴ و ۱۵ و ۱۶ وقد أخبر المسيح عن انجيل «يوحنّا» بمجيئ شخص من بعده يدعى «فارقليط» وتفيد أغلب القرائن أنّ المراد به نبى الإسلام، ونرانا مضطرين لتوضيح المطلب بذكر بعض النصوص المذكورة فى بعض الأناجيل: «إن كنتم تحبوننى فالتزموا بأحكامى وسأطلب من الأب أن يبعث لكم "فارقليط "آخر وسيبقى معكم إلى الأبد. أنّه روح الحق والصدق وسوف لن يصدقه العالم، لأنّهم لا يرونه اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۳۲ ولا- يعرفونه، لكنه يعرفكم، لأنّه سيبقى معكم وبينكم» «۱». «لقد قلت لكم هذا الكلام حين كنت معكم، إلّاأنّ ذلك "فارقليط "الذى سيبعثه الأب بأسمى، سيعلمكم كل شىء وسيذكركم بكل ما قلته لكم» «۲». «لقد أخبرتكم به قبل ظهوره لتؤمنوا به حين ظهوره» «۳». «سابعث لكم من جانب الأب ذلك الفرقليط وسيشهد لى فهو روح الصدق» «۴». «أقول بحق من المفيد لكم أن أذهب ولو لم أذهب فإنّ ذلك «الفارقليط» سوف لن يأتيكم، فإن ذهبت سأبعثه لكم، فإن جاء سيلزم العالمين بالذنب والصدق والإنصاف: بالذنب لأنّهم لا يؤمنون بى، وبالصدق لأنّى أذهب إلى أبى، وسوف لن ترونى، وبالإنصاف لأنّ الحكم سيجرى على رئيس هذا العالم، وسيكون لدى الكثير لأقول، لكنكم لا تستطيعون تحمل ذلك الآن، لكنّه إن جاء سيرشدكم إلى الحقيقة لأنّه لا ينطق عن نفسه، بل سيتكلم بكل ما يسمع. وسينبئكم عن

المستقبل وسيثنى علىَّ، لأنّه سيجزيكم بكل ما يجده منى. كلما كان من الأب فهو منى ولذلك قلت لكم سيجزيكم بكل ما يأخذه منى». «۵» ولدينا هنا قرائن واضحة فى أنّ المراد من «فارقليط هو النبى محمد» الذى يأتى بعد المسيح لا روح القدس: ۱- لابدّ من الألتفات أولًا إلى أنّ المستفاد من بعض التواريخ المسيحية أنّه كان من المسلّم بين مفسّرى الإنجيل قبل انبثاق الدعوة أنّ فارقليط هو النبى الموعود، حتى استغله البعض وزعم أنّه الفارقليط الموعود. مثلًا: «منتسر» المرتاض الذى عاش فى القرن اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۳۳ الميلادى الثانى، ادّعى النبوة فى آسيا الصغرى عام ۱۸۷ وقال: أنا فارقليط الذى بشر به عيسى ويتبعه الناس «۱». ۲- يستفاد من الآثار والتواريخ الإسلامية المعتبرة أنّ الزعامات السياسية والدينية المسيحية كافّة كانت تتطلع إلى أيّام بعثة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله إلى النبى الموعود الذى بشر به الإنجيل، ومن هنا لما قدم سفير النبى وسلّم رسالته إلى ملك الحبشة، التفت إلى السفير وقال: أشهد أنّه النبى الذى ينتظره أهل الكتاب، وكما أخبر موسى عن نبوّة المسيح، فقد بشر المسيح بنبى آخر الزمان وذكر علاماته «۲». وحين تسلم قيصر رسالة النبى، أجاب بأنّه كان يعلم بظهور نبى آخر الزمان، لكنّه ظن أنّه سيظهر من الشام ... «۳» فالذى يستفاد من هذه النصوص التاريخية أنّهم كانوا ينتظرون نبيّاً، ولا شك فى أنّ هذا الانتظار يستند إلى الإنجيل. ۳- الخصائص التى ذكرها المسيح ل «فارقليط» والنتائج المترتبة على ظهوره، تفيد بما لا يقبل الشك أنّ المراد به النبى الموعود، والتى تجعل من المتعذر تفسيره بروح القدس. وتوضيح ذلك: أ) ابتدأ المسيح كلامه بالقول: «إن كنتم تحبوننى فالتزموا بأحكامى، وسأطلب من أبى ليبعث لكم" فارقليط "آخر». أولًا: أنّ تذكير المسيح بحبّه يفيد عدم استجابة أمّته لمن يبشر به بالمجيئ بعده، ولذلك يحاول من خلال إثارة عواطفهم دفعهم لطاعته، ولو كان المراد به روح القدس كما فسّره أصحاب الإنجيل لما احتاج هذه المقدمة. لأنّ روح القدس أن هبط فسوف يستحوذ على القلوب والأرواح بحيث لا يدع لأحد من مجال لإنكاره، أمّا إن كان هو النبى الموعود، فهنالك حاجة ماسة لهذه المقدمة؛ ذلك لأنّه ليس للنبى الموعود من سبيل فى التأثير على القلوب سوى من خلال الوعظ والإرشاد، وعلى هذا الأساس تؤمن به طائفة وتكفر به اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۳۴ طائفة أخرى ولم يكتف المسيح بهذا، حيث قال فى الآية ۲۹ من الباب ۱۴ (لقد أخبرتكم به قبل ظهوره لتؤمنوا به حين ظهوره)، فى حين لا يحتاج الإيمان بالروح القدس إلى الوصية فضلًا عن هذا الكتاب. ثانياً: قال: «سيبعث لكم فارقليط آخر» فإن فسّرناه بنبى آخر كان الكلام تاماً، أمّا إن قيل المراد به روح القدس، فلفظ «آخر» لا يخلو من تكلف، ذلك لأنّ روح القدس واحد ولا معنى للآخر. ب) «سيذكركم بكل ما قلته لكم "»۲۶: ۱۴ "وسيشهد لى (الباب ۱۵، العبارة ۲۶). قيل إنّ الروح القدس هبط على الحواريين بعد خمسين يوماً من صلب عيسى، فهل نسيت هذه الصفوة تعليماته كافّة خلال هذه المدّة القصيرة ليعلمهم روح القدس تلك التعاليم ثانية؟ وما حاجة حوارى المسيح لشهادته ليشهد على المسيح! أمّا إن كان المقصود به النبى الموعود فسيكون معنى العبارتين صحيحاً؛ ذلك لأنّ أمة المسيح نسيت أغلب تعاليمه بفعل تقادم الزمن والأيادى التى امتدت إلى الإنجيل، لقد جاء محمد صلى الله عليه و آله بكل تلك التعاليم وشهد بنبوّة عيسى عليه السلام وقال: كان نبيّاً مثلى وبرأ أمّه ممّا وجه إليها من التهم وبرأ عيسى من دعوى الالوهية. ج) «لو لم أذهب فإنّ ذلك الفارقليط سوف لن يأتيكم» (۷: ۱۵) فقد اشترط مجيئ فارقليط بذهابه، فإن كان المراد روح القدس فإن نزوله عليه وعلى الحواريين لم يكن مشروطاً بذهابه؛ لأنّ المسيحيين يعتقدون بإن الروح القدس نزل على الحواريين الذين وجههم المسيح للوعظ «۱». وعليه فإنّ نزوله لم يكن مشروطاً بذهابه قط؛ أمّا إن قيل إنّ المراد به نبى صاحب شريعة- وشريعة عالمية- فإنّ مجيئه سيكون مشروطاً بذهاب المسيح ونسخ شريعته. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۳۵ د) وردت أمور ثلاثة أثر نزول «فارقليط» هى: (أنّه يلزم «۱» العالم بالذنب والصدق والإنصاف؛ بالذنب لأنّهم لا يؤمنون بى) (۸: ۱۶). وتعلم على ضوء عقيدة المسيحيين أنّ «روح القدس» نزل على الحواريين بعد ۵۰ يوماً من صلب عيسى وأنّه لم يلزمهم قط بالذنب والصدق والإنصاف، ويستفاد من ذيل الآية أنّه ينزل على المنكرين لا الحواريين الذين لا يكذبون المسيح قط. لكن إن قلنا إنّ المراد نبى الإسلام الموعود، فإنّ كل هذه الخصائص مجتمعة فيه. ه) «سيشهد فارقليط لى- المسيح-» (۲۶: ۱۵). «سيخبركم بالمستقبل وسيثنى على» (۱۳: ۱۶). فالشهادة للمسيح تكشف أنّه ليس الروح القدس، لأ، الحواريين ليسوا بحاجة لتصديقه، كما أنّ المراد من أنّه

سيمنحه الجلال، فهو المدح والثناء من النبى الموعود للمسيح وإكماله شريعته، فأى جلال أعظم من هذا. ولعل تأمل هذه القرائن يرشدنا إلى الحقيقة التى توصل إليها محققو الإسلام، طبعاً لا تقتصر القرائن على ما ذكر، وهنالك الكثير. وفى الختام ننقل موضوعاً أوردته الموسوعة الفرنسية الكبرى: ج ۲۳ ص ۴۱۷۴ بهذا الشأن حيث جاء فيها: «محمد مؤسس الدين الإسلامى ورسول اللّه وخاتم النبيين؛ وكلمة محمد تعنى كثير الحمد ومن مادة حمد بمعنى التجليل والتحميد. والاسم الآخر المشتق من مادة حمد هو أحمد والذى يحتمل أنّ مسيحيى الحجاز استعملوه بحق فارقليط. وهكذا ذهب المفكرون اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۳۶ الإسلاميون إلى أنّ المراد من ذلك اللفظ البشارة بظهور نبى الإسلام. وقد أشار القرآن فى سورة الصف صراحة إلى هذا الموضوع» «۱». إستعنا فى هذا الموضوع بالكتاب القيم «أنيس الأعلام» تأليف فخر الإسلام. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۳۷

۱۸ ولادة مريم

سؤال: تظهر الحياة (خلية النطفة) فى ظل تركيب جزئين أساسين هما (الأسبرماتوزوئيد) و (الأوفل) وهذا التركيب (اللقاح) فى أنّ الخلية الجنسية الأنثوية ليست قادرة لوحدها فى خلق الحياة (النمو والتغذية والتقسيم). وعلى ضوء هذا الأصل العلمى المسلم، فكيف حملت السيدة مريم بولدها المسيح عليه السلام دون زواج وجماع؟! والحال لا تستطيع الخلية الجنسية الأنثوية توليد حياة بمفردها؟! الجواب: نود أن نُذكِّر بعدم كلية الأصل المذكور قبل الخوض فى موضوع حمل السيدة مريم؛ لأنّ الحياة إنّما تتولد من لقاح خليتين جنسيتين، وربّما تتعذر بالإكتفاء بخليّة واحدة، إلّاأنّ التجربة أشارت إلى وجود محركات أخرى غير الأسبرماتوزوئيد تستطيع إزالة الاختلافات الفسلجية للبويضة وتسوقها إلى الإنقسام ووجود حالات الولادة البكر تدعم ذلك. فالعلماء يقولون إنّ بويضات بعض الكائنات لها القدرة على النمو دون القيام بعملية اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۳۸ اللقاح، ويطلق على الأحياء التى تتكاثر بهذه الطريقة الأحياء الولودة البكر. ولعلنا نلمس نموذج ذلك فى بعض الأحياء مثل نجمة البحر ودودة القز. وملكة النحل لا تغشى الزنبور سوى مرّة واحدة طيلة عمرها فتتحول البويضات المركبة من خلية جنسية أنثوية إلى عاملات، أمّا البويضات التى لا تتركب من خلايا جنسية أنثوية فهى تخرج من الجهاز التناسلى للملكة دون عملية اللقاح وتواصل نموها وتتحول إلى زنابير ذكرية. أضف إلى ذلك فإنّ بعض الأحياء المجهرية كالميكروبات والبكتريا والفايروسات تتكاثر دون عملية لقاح. كما تتكاثر الأميبا عن طريق الإنشطار. وتوصل بعض العلماء إلى حقيقة قدرة بعض النساء على الحمل والإنجاب دون الجماع وصرحوا بأنّ بعض الغدد لدى المرأة يمكنها التكاثر والإنجاب دون الحاجة إلى عملية اللقاح. فيتضح ممّا مرّ أنّ بعض النساء البكر يمكنها الولادة دون لقاح وقد تحققت هذه القضية لدى البعض منهنّ وعلى هذا الأساس تتضح قضية حمل السيدة مريم عليها السلام دون عملية اللقاح. وقد صرح القرآن الكريم بشأن المراحل الابتدائية لحملها قائلًا: «فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً* قَالَتْ إِنِّى أَعُوذُ بِالرَّحْمنِ مِنْكَ إِنْ كُنتَ تَقِيّاً* قَالَ إِنَّمَآ أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِاهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيّاً* قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِى غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً* قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ» «۱» ، وعليه لا يستبعد أن تكون هنالك بعض العوامل المجهولة التى أثرت على الخلايا الجنسية للسيدة مريم كسائر المحركات فأوجبت الولادة والنمو. وبالطبع فإنّ الهدف من ولادة السيد المسيح عليه السلام أنّ اللّه خلق بشراً كمظهر لقدرته فكانت ولادته المجازية ليتمّ الحجّة على بنى اسرائيل الذين لم يستجيبوا للأنبياء الذين بعثوا من بعد موسى بن عمران عليه السلام. «۲» فاللّه الذى خلق مادة الحياة الأولى وأول خلية حية، واللّه الذى اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۳۹ خلق أول بشر دون عملية لقاح، يستطيع وعلى أساس الهدف المذكور خلق نبى عظيم ورجل كامل لتكون ولادته الإعجازية دليلًا دامغاً على قومه المعاندين. بعبارة أخرى: نمو الخلية الأنثوية فى رحم الأُم إنّما يتمّ أحياناً لا دائماً عن طريق اللقاح، وهذه علة عادية ألفناها، لكننا لا نمتلك الدليل على امتناعها من طريق آخر. بل من الممكن أن تكون هنالك بعض العلل التى يمكنها تربية الخلية الأنثوية وتجعلها جاهزة للقيام بوظيفة الحياة، وإن كانت هذه العلل خافية علينا بفعل معلوماتنا الناقصة عن أسرار الحياة، فهى ليست بخافية على العليم الحكيم القادر سبحانه. اجوبة المسائل

الشرعية، ص: ۱۴۱

۱۹ هل نذرت أم مريم أن يكون ولدها راهباً؟!

سؤال: نعلم بحرمة الرهبانية الدائمة- ولاسيما على عهد مريم (أم عيسى)- فلماذا نذرت ذلك امرأة عمران حين كانت حاملًا (أم مريم) إن رزقها اللّه ولداً؟ الجواب: إنّ أُم مريم لم تنذر مثل ذلك أبداً، بل نذرت إن وهبها اللّه ولداً أن تجعله خادماً لبيت المقدّس لا راهباً، فتحرره من خدمة الأب والأم ليتفرغ لخدمة المسجد. وقد أشار القرآن إلى ذلك فقال: «إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّى إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» «۱». يقول المفسرون إنّ المراد من كلمة «محرراً "»خادم المعبد، وسبب اطلاق المحرر على خادم الأماكن المقدّسة، أنّه معفو من القيام بسائر الخدمات الاجتماعية والقيام على شؤون الأب والأُم. وعليه فالنذر كان خدمته، ولم ترد فيه أيّة إشارة إلى الرهبانية، فالرهبانية بمعنى هجران الدنيا والرغبة عن الزواج وهى خلاف قانون الخلقة، ومحظور فى الشرائع كافّة. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۴۳

۲۰ شق القمر

سؤال: يقال: إنّ إحدى معجزات النبى الأكرم صلى الله عليه و آله شقّ القمر، فهل هذا صحيح؟ الجواب: لابدّ من تسليط الضوء على جوانب هذه القضية كافّة بغية إيضاحها: ۱- هل يمكن أن ينشق القمر وهو بهذا الحجم الهائل ثم يعود إلى حالته الأولى؟ ۲- إن كان ذلك ممكناً، فهل لدينا من دليل قاطع على وقوع هذا الأمر على عهد رسول اللّه صلى الله عليه و آله كاحدى معجزاته؟ ۳- إن كان هنالك من دليل على وقوع المعجزة فما تفاصيلها؟ المبحث الأول: يكفينا للتعرف على إمكانية انشقاق القمر من وجهة نظر العلم المعاصر أن نشير إلى بعض الانفجارات والانشقاقات التى تشهدها المنظومة الشمسية. أ) الاستروئيدات أحجار كبيرة تدور حول المنظومة الشمسية، ويعبر عنها أحياناً اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۴۴ بكرات صغيرة تشبه السيارات، وقد يبلغ قطر بعضها ۲۵ كيلومتراً. ويعتقد العلماء أنّ هذه القطعات بقايا سيارة كبيرة كانت تتحرك ضمن مدار بين المريخ والمشترى، ثم انشقت أثر بعض العوامل المجهولة، وهذا نموذج من الانشقاق فى الأجرام السماوية. ب) الشهب قطعات صغيرة تائهة تدور بسرعة فائقة فى مدارات خاصة حول الشمس، وأحياناً تتقاطع مع مدار الكرة الأرضية فتنجذب نحو الأرض. ويقول العلماء إنّها بقايا مذنبات انفجرت إثر بعض العوامل المجهولة، وهذه أيضاً نموذج آخر للانشقاق الحاصل فى الأجرام السماوية. ج) على ضوء نظرية (لابلاس) وأغلب علماء الفلك فإنّ ظهور المنظومة الشمسية كان نتيجة لوقوع انشقاق عظيم حدث فى الشمس، فقد كانت كل هذه السيارات التى كان مركزها الشمس كتلة واحدة بادئ الأمر، ثم انفصلت كل واحدة بالتدرج؛ إلّاأنّ هناك خلافاً بين علماء الفلك بشأن العوامل التى أدّت إلى الانفصال والانشقاق، ولكن أقرّ جميع العلماء بإمكانية حصول الانشقاق فى كرات المنظومة الشمسية. ونستنتج ممّا سبق أنّ: أصل وقوع الإنشقاق فى الكرات السماوية ممكن، والعلم لا ينكر ذلك، بل وضع قواعد الهيئة الجديدة على هذا الأساس. ومن البديهى أنّ حصول هذا الأمر فى اى من الكرات يتطلب قوة هائلة تبدو معروفة على ضوء بعض الفرضيات فى بعض الموارد ومجهولة فى البعض الآخر. ومن المسلم به فى شق القمر أنّه كانت هنالك عوامل خفية استطاعات إيجاد ذلك التأثير، وبالنظر إلى أنّ كل من تطرق إلى شق القمر يدعى باستناد النبى إلى القوى التى تفوق العادة فإنّ أحد لم يزعم أنّ النبى قام بذلك العمل بهذه القوة البشرية العادية. ويبقى هنا موضوع واحد هو التئام أجزاء القمر بعد الانشقاق. ولحل هذه القضية يكفى أن نعلم أنّ الإنشقاق لم يكن شديداً وعظيماً لأننا نعلم حسب (قانون نيوتن) بوجود قوّة التجاذب بين أى جسمين، وأنّ هذه الجاذبية تتناسب طردياً مع حاصل ضرب الكتلتين ومربع المسافة بينهما، فكلما كانت المسافة قصيرة إزدادت الجاذبية وعليه اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۴۵ فإنّ هذه الأجزاء تنجذب إلى بعضها كلما قربت المسافة بينها «۱». هذا من وجهة نظر الهيئة الجديدة؛ أمّا من وجهة نظر الهيئة القديمة وامتناع الخرق

والإلتئام فى الأجرام الفلكيـة التسعة فلاحاجـة لبحثها بعد أن فند العلم الحديث تلك النظرية. ونستنتج ممّا سبق أنّه ليست هنالك من استحالة يذكرها العلم بشأن حادثة شق القمر. المبحث الثانى: إنّ أول دليل على وقوع معجزة شق القمر، الآية القرآنية الشريفة: «اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ* وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ* وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ» «۲». وقد قال مفسّرو الفريقين إنّ الآيات المذكورة واردة بشأن قضية شق القمر وهى المعجزة التى حدثت على عهد النبى الأكرم صلى الله عليه و آله، ومن تلك التفاسير الشيعية: تفسير البيان، ومجمع البيان، وأبو الفتوح الرازى، ومنهج الصادقين، والصافى، والبرهان، ونور الثقلين، وشبّر، ومن التفاسير العامة: تفسير الطبرى، والدر المنثور، والفخر الرازى، والبيضاوى، والكشاف، وفى ظلال القرآن. وصرح المرحوم الطبرسى صاحب مجمع البيان فى ذيل الآيات المذكورة أنّ المفسرين كافّة يعتقدون بأنّ الآيات واردة فى معجزة شق القمر على عهد النبى صلى الله عليه و آله. كما قال الفخر الرازى إنّ جميع المفسرين يؤمنون بأنّ آية شق القمر وقعت على عهد رسول اللّه صلى الله عليه و آله. أضف إلى ذلك فقد وردت أكثر من ۴۰ رواية فى مصادر الفريقين بشأن شق القمر. وبناءً على هذا فليس هنالك من شك فى نزول الآيات المذكورة بشأن وقوع معجزة «شق القمر». اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۴۶ المبحث الثالث: ما يستفاد من الآيات المذكورة والروايات أنّ المعجزة وقعت على عهد النبى الأكرم صلى الله عليه و آله إثر طلب المشركين؛ أى أنّ القمر انشق بقوّة خارقة «قدرة اللّه» وعاد ثانية إلى حالته السابقة. أمّا خصوصيات تلك الواقعة التى وردت فى بعض الكتب والتى يحتمل صحتها، تتطلب أبحاثاً مسهبة، نتحفظ عن الخوض فيها لعدم ضرورة معرفة تلك الخصوصيات. ولابدّ أن نذكر فى الختام أنّ هذه الواقعة وعلى غرار نظيراتها لم تكن بمأمن عن أيدى المحرفين والوضاعين، فأغرقوها بمختلف الخرافات، ومنها مثلًا أنّ نصف القمر هبط ودخل فى كم النبى وخرج من طرفه الأخر. ولم ترد هذه الأمور فى أى من المصادر المعتبرة للفريقين. ونحاول الآن الرد على الشبهة التى وردت فى السؤال: لو كان شق القمر حقيقة لانبغى ذكره فى التواريخ العالمية، والحال ليس له من ذكر فى هذه التواريخ. ولكى يتضح الجواب عن هذا السؤال، لابدّ من الإلتفات إلى الأمور التالية: أولًا: لابدّ من الإلتفات إلى تعذر رؤية القمر فى نقاط الكرة الأرضية كافّة، بل يمكن رؤيته من قبل نصف الكرة الأرضية. ثانياً: أنّ أغلب الناس فى هذا النصف إنّما يغفلون عن الحوادث التى تشهدها الأجرام السماوية، سيما أنّهم ينامون بعد منتصف الليل. وعليه فسوف لن يشهد الحادثة أكثر من ربع العالم. ثالثاً: ما الضير فى أن تكون السماء ملبدة بالغيوم فى مختلف نقاط العالم حين وقوع تلك الحادثة. رابعاً: أنّ الحوادث السماوية التى تجلب انتباه الأفراد حين تكون من قبيل الصاعقة المصحوبة بالرعد أو الخسوف والكسوف اللذين يرافقهما قلّة الضوء ولمدّة طويلة نسبياً. وقلما تلفت تلك الحادثة المفاجئة والعابرة والتى لم يرافقها بعض الآثار انتباه الأفراد، فهل هنالك من دافع لتأمل السماء فى الليالى الاعتيادية التى يطلع فيها القمر ويغيب؟ خامساً: كانت وسائل النشر والتدوين التاريخى آنذاك محدودة جدّاً ولم تكن كما هى اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۴۷ عليه اليوم بحيث تنتشر حادثة كهذه كسرعة البرق. سادساً: لا يبدو التاريخ القديم واضحاً فى أغلب معالمه، بل هو مليئ بالنقاط الغامضة والمبهمة، فمثلًا (زرادشت) أحد الشخصيات التاريخية المعروفة والذى امتد نفوذه إلى مناطق شاسعة آنذاك، لكن مازالت تفاصيل ولادته ووفاته وموضع ولادته وسائر خصائص حياته مجهولة إلى اليوم، بل ينكر البعض حتى وجوده. فإن كانت تلك البلدان القريبة العهد غافلة إلى هذه الدرجة عن تدوين تاريخها، فما بالك بتدوين تلك الحادثة آنذاك من قبل البلدان الأوربية. أضف إلى ذلك لم تكن هناك من خطة للمؤرخين فى تدوين الأحداث كافّة، لأننا نقطع بأنّ تاريخ البشرية شهد وقوع مئات الزلازل والعواصف الكاسحة التى دمرت العديد من المناطق، بينما لم يفرد لها التاريخ سطوراً فى صفحاته ولو عدنا لتفسير الطبرى لرأينا ۳۰ رواية بشأن معجزة شق القمر، إلّاأنّ صاحب هذا التفسير الذى دون تاريخه المعروف بتاريخ الطبرى لم يتطرق إلى هذه الحادثة. وعلى هذا الضوء فإنّ عدم ذكر هذه الحادثة فى التواريخ لا يبدو مستغرباً، كما لا يعتبر دليلًا على عدم وقوعها. جدير بالذكر فقد أفاد بعض المحققين أنّ هذه الحادثة وردت فى بعض التواريخ، على سبيل المثال جاء فى كتاب «تاريخ الملائكة» فى المقالة الحادية عشرة أنّ أهالى منطقة ميلبار الهندية شهدوا واقعة شق القمر على عهد رسول اللّه صلى الله عليه و آله وذكروا فى كتبهم أنّ حاكم تلك المنطقة ثبت له بعد

التحقيقات التى أجريت بهذا الشأن أنّ الموضوع المذكور كان أحد معاجز نبى الإسلام صلى الله عليه و آله؛ وعليه فلا يمكن القول إنّ الحادثة لم تذكر فى التاريخ. كان ما سبق خلاصة البحث بشأن مسألة شق القمر التى يمكن إثارتها بهذا الخصوص «۱».

القسم الثالث أوصياء النبى صلى الله عليه و آله

۱ كيف التفت على عليه السلام فى صلاته للسائل؟

سؤال: ورد فى سيرة أمير المؤمنين على عليه السلام أنّه لم يلتفت فى صلاته لسهم سل من رجله من شدة الخشوع و التوجه الى اللّه، لكننا نسمع أنّه كان واقفاً للصلاة وقد التفت إلى سؤال فقير فتصدق بخاتمه؛ فكيف الجمع بين الحالتين؟ الجواب: لابدّ من الإلتفات إلى الفارق الكبير بين «سل السهم من الرجل» و «التصدق بالخاتم على الفقير»؛ لأنّ سل السهم من الرجل له بعد شخصى ومادى صرف وبعيد عن التوجه التام للّه والاستغراق فى ذاته. أمّا الإلتفات إلى الفقير المحروم فى مسجد النبى صلى الله عليه و آله والذى كان يسترحم ويستغيث، إنّما كان عملًا ربانياً وتقربياً وينسجم مع التوجه للّه. فالواقع أنّه لم يكن متوجها لنفسه؛ لأنّ التوجه إلى الفقير، توجه للّهلا ـ للنفس. بعبارة أخرى أنّ إغاثة عباد اللّه وإعانة الفقراء والضعفاء يعدّ من العبادات الكبرى وهومن سنخ الصلاة تلك الشعيرة العظمى؛ وعليه فليس من العجيب أن ينفذ ذلك الفقير بصرخاته الموجعة إلى قلب على عليه السلام أثناء الصلاة، لينهمك تلك العبادة بأخرى تهدف إلى اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۵۲ رضى اللّه، وقد كان على درجة من الاخلاص بحيث نزلت فيه آية بحق على عليه السلام «۱».

۲ هل نزلت هذه الآية بحق على عليه السلام؟

سؤال: يعتقد علماء الشيعة وأغلب علماء العامة أنّ الآية الشريفة: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً ...» «۱» نزلت يوم الغدير، فى حين يتحدث صدر و عجز الآية عن بيان أحكام الحلال والحرام؛ فكيف ينسب مطلب خلال الآية لقضية ليس لها أدنى ارتباط بصدرها وعجزها؟ الجواب: لقد أذعن أغلب رواة الحديث والسير والتاريخ، مثل: الطبرى وابن مردويه وأبى نعيم الأصفهانى والخطيب البغدادى وأبى سعيد السجستانى وأبى الحسن المغازلى وأبى القاسم الحاكم الحسكانى وابن عساكر الدمشقى والخطيب الخوارزمى وابن الجوزى وشيخ الإسلام الحموينى وابن كثير الشامى و ... بنزول الآية فى يوم «الغدير» وهم من الرواة والمؤرخين المعتبرين لدى العامة؛ فإن أضفنا هذه الروايات إلى الأخبار الواردة عن أهل بيت النبى صلى الله عليه و آله يصبح نزول الآية فى الغدير قطعياً. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۵۴ أمّا مسألة ترتيب الآيات الذى خلق العديد من المشاكل للمفسّرين فى مباحثهم فلا يبدو على درجة من الغرابة؛ ذلك لأنّ ترتيب نزول السور والآيات القرآنية يختلف تماماً مع ترتيبها الفعلى؛ مثلًا، السور التى نزلت فى المدينة والتى ينبغى أن تعقب السور المكية والعكس بالعكس، بينما القضية ليست كذلك حتى أنّ بعض الآيات فى السورة نزلت فى مكة وبعضها الآخر فى المدينة، وربّما كانت هنالك فاصلة زمانية تمتد لسنوات خلال نزول آيتين من السورة. ولو تأملنا سبب نزول الآيات أو التفتنا على الاقل إلى ما كتب اعلى السور القرآنية لاستغنينا عن أى ايضاح؛ فهنالك بعض السور التى يصطلح عليها بالسور المدنية، فى حين نزلت بعض آياتها فى «مكة»، كسورة الأنفال المدنية بجميع آياتها سوى الآيات من ۲۰ إلى ۲۶ نزلت فى مكة، والعكس كثير أيضاً كسورة الشعراء والكهف وأمثالهما. وعليه فترتيب الآيات وإرتباطها مع بعضها لا يعدّ بالنسبة لنا سنداً محكماً إزاء الروايات والأحاديث القطعية. وهذا هو نهج الأعلام فى تفسير القرآن، وتؤيده شواهد كثيرة. فالقرآن ليس على غرار التأليف البشرى بحيث يخوض فى موضوع ويتابعه إلى آخره، بل القرآن مجموعة من الآيات التى نزلت من اللّه بالتدريج وحسب الأحداث المتنوعة ولتحقيق أهداف مختلفة، فلربّما تضمّ السورة مواضيع مختلفة ومقاصد متعددة، ومن هنا لا يمكن جعل ما

قبل الآية وما بعدها دليلًا على موضوع معين، كما يمكن أن تكون جميع آيات السورة كسلسلة متصلة الحلقات، بينما لا تكون كذلك أحياناً، وعلى هذا الأساس فإنّ المشكلة تبدو محلولة، فأغلب الآيات وسط السورة قد لا تبدو مناسبة مع بدايتها ونهايتها. «۱» وإن سعى بعض المفسرين لإيجاد حالة من التناسب والإرتباط، ولعل الأمر لا يخلو من تكلّف، لأنّ جميع آيات السورة- على فرض نزولها فى مكة أو المدينة- لم تنزل دفعة واحدة، بل نزلت على ضوء بعض المقتضيات، ولربّما كان لكل آية سبب نزول. وعليه اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۵۵ فليس هنالك من مبرر لأن ترتبط جميع آيات السورة مع بعضها لتبدو كسلسلة متصلة. ولعل هناك من يقول: ما ذكر لحد الآن يختص بإرتباط السور والآيات مع بعضها البعض، إلّاأنّ الآية تتضمن خصوصية لا يمكن حلّها من خلال الشرح السابق وهى: إنّ الشرح المذكور أثبت عدم ضرورة إرتباط آيات سورة معينة، ولكن لا يثبت عدم ترابط عبارات الآية الواحدة. والآية التى نبحثها من هذا القبيل، فإن كانت العبارة «اليوم اكملت لكم» نزلت فى ولاية على عليه السلام، فارتباطها مقطوع بصدر الآية وعجزها الوارد فى بيان أحكام الحلال والحرام، وعلى هذا الأساس لا يبدو التوضيح السابق كافياً لرفع الإشكال. ولتوضيح الجواب نرى ضرورة ذكر هذه الآية (بدايتها ووسطها ونهايتها): ۱- (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذلِكُمْ فِسْقٌ ...» «۱». ۲- «الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً ...» «۲». ۳- «فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ» «۳». ومرادنا من الإتيان بالآيات الثلاث أنّ القسم الثانى- سواء كانت الآية نازلة فى على عليه السلام أم فى موضوع آخر، وسواء نزلت يوم الغدير أو عرفة- كلام مستقل وسط الآية. وإليك بعض القرائن التى تؤيد هذا المطلب: ۱- لو رفع القسم الثانى من هذه الأقسام الثلاثة، فسوف لن يكون له أى تأثير على إرتباط القسم الأول بالثالث. والخلاصة بضم ذيل الآية إلى صدرها تكون هنالك آية كاملة برفع الآية الثانية فليس هنالك من مساس بارتباط الآية، وهذه شهادة أنّ القسم المذكور اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۵۶ كلام مستقل ومنفصل (بغض النظر عن الموضوع النازل فيه) وسط الآية. ۲- تكرر مضمون هذه الآية فى سورة البقرة والأنعام والنحل، ولم يرد القسم الثانى فى هذه الآية فى السور المذكورة. ونورد هنا بعض النماذج: «إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ» «۱» . وتشتمل هذه الآية على أكثر ما ذكر فى القسم الأول والثالث من الآية المذكورة للبحث، ولكن لم يرد شىء عن القسم الثانى وهذا القسم مستقل ليس له من علاقة بما قبله وبعده. ۳- الروايات المتكفلة بسبب نزول الآيات بينت انفصال القسم الثانى عن صدر الآية وذيلها، فقالت مثلًا: «اليوم يئس ...» نزلت يوم الغدير أو عرفة وهذا دليل على استقلاليتها. وعلى هذا الأساس فإن صرحت الروايات الصحيحة عن الفريقين بأنّ هذه الآية نزلت يوم الغدير بشأن ولاية على عليه السلام فإنّ صدر وذيل الآية لا يمكنه صدنا عن الاعتقاد بمضمون الأحاديث؛ لأنّ هذا القسم كلام مستقل وارد فى موضوع ليس له من إرتباط بما قبله وبعده. ۴- إنّ تدبر مضمون الآية يرشدنا إلى أنّه لا يصدق سوى على الولاية ولا يحفظ إرتباط عبارات القسم الثانى إلّافى حالة اعتبارنا أنّ سبب نزولها هو الإمامة. فالقسم الثانى للآية يتضمّن مطلبين وهما: أنّه خلال يوم معين يئس الكفّار من التغلب على المسلمين، كما كمل فيه دين اللّه، والآن لابدّ من ملاحظة ماكان ذلك اليوم الذى شهد وقوع حادثين؟ ونورد هنا ما قيل فى ذلك اليوم أو ما يساور الذهن بشأنه: أ) يوم البعثة: قطعاً لم يقع الحادثان فى هذا اليوم؛ ذلك لأنّ الكفّار لم ييأسوا آنذاك، كما لم يكتمل الدين فضلًا عن بيان أحكامه. ب) يوم فتح مكة: هذا الاحتمال كسابقه، لأنّ فتح مكة كان فى السنة الرابعة للهجرة، والحال كانت أغلب العهود التى عقدها المسلمون مع الكفّار قائمة، وكان الكفّار يقيمون مراسمهم الجاهلية فى الحج، وعليه لم يكن اليأس مستولياً على الكفّار، كما لم يكمل الدين اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۵۷ آنذاك، ولدينا بعض الأحكام التى بينت بعد فتح مكة. ج) يوم البراءة: اليوم الذى تلى فيه على عليه السلام سورة براءة على المشركين، ورغم يأس المشركين فى شبه الجزيرة عن تحقيق أى نصر، إلّاأنّ بيان الأحكام لم يكتمل فى ذلك اليوم؛ فبعض الأحكام كالحدود والقصاص نزلت لاحقاً فى هذه السورة- المائدة- وعلينا أن نعرض يوماً وقعت فيه الحادثتان. د) يوم

عرفة: هذا ما اختاره أغلب مفسّرى العامة واستدلوا عليه ببعض الروايات؛ إلّا أننا نعتقد أنّ ذلك اليوم هو الآخر لم يستوعب الحادثتين، حيث لابدّ أن نرى هوية الكفّار الذين يئسوا من غلبة المسلمين، فإن كان المراد كفّار قريش أو عامة كفّار شبه الجزيرة، فمما لا شك فيه أنّ يأسهم كان فى يوم آخر؛ ذلك لأنّ قريش يئست يوم فتح مكة وسائر الكفّار بعد قراءة سورة براءة، لا فى يوم عرفة، وإن كان المراد الكفّار على الأرض كافّة- سواء فى الجزيرة العربية أو غيرها- فالحق لم يشعر أحد بهذا اليأس الشامل حتى الدقائق الأخيرة من عمر النبى الأكرم صلى الله عليه و آله. وبغض النظر عن ذلك، ما المراد من تكميل الدين؟ هل المقصود تعليم أحكام الحج؟ فمن الواضح أنّ الدين لا يكتمل بتعليم واجبات عمل معين. أم أنّ المراد بيان الحلال والحرام المبين فى هذه السورة (المائدة)؟ والحال تعرّف المسلمون على ضوء أقوال العامة على أغلب الأحكام كارث الكلالة والربا بعد يوم عرفة. وعليه لابدّ من الإعتراف بأنّ المراد يأس معين مصحوب بإكمال الدين، وقد حصل هذان الموضوعان بنصب الوحى فقط، ذلك لأنّ أغلب الآيات القرآنية تشهد على أنّ الكفّار كانوا يطمعون على الدوام بدين المسلمين، وكان حلمهم الأخير صدهم عن دينهم وإعادتهم إلى دين أبائهم «وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً ...» «۱» وهنالك العديد من الآيات بهذا الخصوص. إلّاأنّ أتباع الدين كانوا فى ازدياد والكفّار فى تراجع، وكان أملهم الأخير السيطرة على مقدرات المسلمين حيث لا عقب لصاحب الرسالة؛ وعليه سينهار صرح الحكومة الإسلامية عقب وفاته وتعود لهم العزة و الغلبة كما اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۵۸ كانوا فى السابق. وقد صور القرآن هذه الحقيقة نقلًا عن المشركين إذ قال: «أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ» «۱» . كانت هذه الأطروحة الأخيرة التى تحقق أمانى الكفّار، ولكن كان اليوم الذى نصب فيه وصيه من بعده قد ملأ أركان الكفر باليأس وخيبة الأمل، وإضافة إلى اليأس الذى خيم آنذاك على المشركين والكفّار فقد تجذر الإسلام واكتسب ديمومته وبقاءه، وهكذا أكمل النبى الأكرم صلى الله عليه و آله دين اللّه من خلال ترسيخه لعوامل استقراره وبقائه- أى نصب الإمام- ومن هنا يتضح معنى القسم الثانى من الآيات وإرتباطها. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۵۹

۳ هل انطلق على عليه السلام من المدينة إلى المدائن فى ليلة واحدة؟

سؤال: ورد فى بعض الأخبار أنّ أميرالمؤمنين عليّاً عليه السلام انطلق خلال ليلة واحدة بطى الأرض من المدينة إلى المدائن حين وفاة سلمان الفارسى رحمه الله فغسله ودفنه، وعاد صباحاً إلى المدينة، فهل يمكن هذا مع أنّ المسافة بين المدينة والمدائن أكثر من مئة فرسخ؟ الجواب: نعلم أنّ سرعة حركة الأجسام ليست متساوية فسرعة الفرس أقل من سرعة السيارة والقطار، وسرعة السيارة لا يمكن مقارنتها بسرعة الطائرة، وليس سرعة الطائرة بشىء إزاء سرعة حركة الأرض حول الشمس (الحركة الانتقالية) التى تبلغ ثلاثين كيلومتراً بالثانية؛ وبالتالى ليس هنالك من نسبة لمقارنة سرعة الأرض بسرعة الضوء البالغة ثلاثمئة ألف كيلومتر بالثانية. طبعاً قبيل اختراع السيارة والقطار والطائرة كان الناس لا يؤمنون بسرعة تبلغ عشرات أو مئات الفراسخ فى الساعة، ومن الواضح أنّ هذا المحال عادى لا عقلى، ومن الممكن أن يخترع فى المستقبل جهاز تبلغ سرعته سرعة حركة الأرض حول الشمس أو حركة الألكترون حول النواة المركزية للذرة أو أكبر من ذلك. وحين اتضح أنّ هذا المحال اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۶۰ ليس عقلياً، فمن المسلم به أنّ اللّه قادر بلطفه وعنايته على أن يحمل شخصاً خلال ليلة من المدينة إلى المدائن ويعيده ثانية، بل إننا لنؤمن حسب المصادر الدينية المعتبرة فى المعراج الجسمانى لرسول اللّه صلى الله عليه و آله، ونقر بذلك على قدرة اللّه المطلقة الغنية عن الحدود. وإننا لنؤمن بالكثير من المطالب التى ذكرها القرآن على أساس هذه القدرة؛ فمثلًا قبل أن تصل بلقيس ملكة سبأ إلى سليمان عليه السلام، أراد سليمان عليه السلام أن يريها معجزة ليشدّ قلبها إلى اللّه، فقال لمن حوله «قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ* قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ* قَالَ الَّذِى عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرّاً عِنْدَهُ قَالَ هذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّى» «۱». وبالطبع لا يمكن التعامل مع المعجزات

والكرامات من خلال المعايير المادية والإمكانات البشرية المحدودة؛ فالإعجاز أمر خارق للعادة وينطلق عن قدرة اللّه اللامتناهية. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۶۱

۴ هل هبط نجم على سطح دار على عليه السلام؟

سؤال: لقد سمعنا مراراً أنّ الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله أخبر أنّ نجماً سيهبط فى ليلة معينة فمن حط على سطح داره فهو زوج ابنته الزهراء عليها السلام، وأنّ ذلك النجم هبط فى تلك الليلة على سطح دار على عليه السلام، بينما نعلم أنّ النجوم تكبر الأرض بكثير، فما المراد من هذه الرواية؟ الجواب: على فرض صحة الرواية، ربّما يكون المراد هبوط شهاب صغير لا نجم وكرة سماوية، لأننا نعلم بعدم إمكانية ذلك.

۵ ما فلسفة صلح الإمام الحسن عليه السلام وقتال الإمام الحسين عليه السلام؟

سؤال: إنّ الأئمّة عليهم السلام و اولياء الدين أوصونا بالدفاع عن حقّنا قدر المستطاع وأن لا نرضخ للظلم ونواصل حياتنا بكرامة، فقد قال الإمام الحسين عليه السلام: «إنّ الدعى ابن الدعى ركز فينا بين اثنتين، بين السلة والذلة وهيهات منّا الذلة». ومن الواضح أنّ مراده من كلمة «منّا» نهج أهل بيت العصمة والطهارة. فكيف صبر أخوه الحسن عليه السلام على ممارسات معاوية الذى لا يقل فساداً عن يزيد؟ الجواب: للوقوف على نهضة الإمام الحسين عليه السلام وصلح أخيه الإمام الحسن عليه السلام لابدّ من تأمل الجوانب التاريخية كافّة وأوضاع وظروف زمانيهما، لتتضح أسرار ذلك «الصلح» وتلك «النهضة». صحيح أنّ معاوية لم يكن أحسن من يزيد، إلّاأنّ التاريخ يشهد بأنّ معاوية كان مخادعاً ومراوغاً، وكان يسعى للتغطية على أفعاله وتضليل العوام. ولعل أحد نماذج ذلك منعه تلك الهزيمة المنكرة فى صفين حين حملوا المصاحف على الرماح؛ أمّا خليفته الطائش والساذج- يزيد- فقد كان يفتقر إلى كيفية إدارة شؤون الأمّة، فضلًا عن عدم إيمانه اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۶۴ بمبادئ الإسلام، فلم يراع حتى ذلك الحد الأدنى الذى كان يراعيه معاوية. فقد كان ينتهك أحكام الدين علانية ولا يأبه بالمقدّسات ويمارس المنكرات بكل وقاحة. وفى ظل هذه الظروف تأهب عموم المسلمين للقيام والإطاحة بجهاز بنى أمية. وعلى هذا الضوء نهض الإمام الحسين عليه السلام ليفضح هذه السلالة أمام الرأى العام وليطردها من أذهان المسلمين، غير أنّ الأوضاع لم تكن كذلك على عهد معاوية. ولو كان الإمام الحسن عليه السلام فى عصر يزيد لنهض بالأمر، ولو كان الحسين عليه السلام على عهد معاوية لعقد الصلح كما يرى ذلك بعض العلماء. والدليل على ذلك أنّ الإمام الحسين عليه السلام صبر على معاوية عشر سنوات بعد أخيه ولم يشهر سيفه عليه، لكنه ما أن سمع بوفاة معاوية وخلافة يزيد حتى بدأ نهضته وأعلن قتاله منذ رفض مبايعته، ولم يستقر حتى ضحى بنفسه فى رمضاء كربلاء لإعلاء كلمة الدين والقضاء على بنى أمية. ويتضح ممّا سبق أنّ السكوت إزاء حكومة معاوية الذى كان يراعى نسبياً الحدود الإسلامية- وحفظاً لدماء المسلمين- لم يكن من مصاديق الذلة. والموضوع المهم الآخر والذى ينبغى إضافته إلى ما سبق: أنّه طبق شواهد التاريخ فإن وضع السياسة الخارجية للمسلمين على عهد معاوية كانت تقتضى ذلك الصلح؛ ذلك لأنّ امبراطور روما الشرقية كان يتابع عن كثب الإقتتال الداخلى للمسلمين ويعدّ العدة لاختراق حدود البلاد الإسلامية ثأراً لهزائمه السابقة أن تجدد القتال بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية، ولو حدث ذلك لكانت ضربة قاصمة توجه إلى الإسلام والمسلمين. حقاً أنّ تلك الظروف دفعت بالإمام المجتبى عليه السلام لعقد الصلح وإفشال مخططات الأعداء. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۶۵

۶ هل كان للإمام المجتبى عليه السلام عدّة زوجات

سؤال: لقد نسب طائفة من المؤرخين والمحدثين للإمام المجتبى عليه السلام قضية تعدد الزوجات، فذكروا أنّه كان كثير التزوج من

النساء فيتزوج الواحدة تلو الأخرى بعد طلاقها، فذهبوا على هذا الأساس إلى شهرته بين الناس بتعدد الزوجات، فهل من صحة لهذا الموضوع؟ الجواب: لما كانت دراسة الجوانب الشخصية لكل فرد تساعد على إدراك خصائص حياته وما يكتنفها من غموض، نرانا مطالبين بتسليط الضوء قبل كل شيء على الجوانب الخلقية للإمام الحسن المجتبى عليه السلام- ولو على سبيل الاختصار- لنميط اللثام عن واقع الإمام بغية ايضاح الموضوع- لقد ترعرع هذا الإمام فى أطهر وأسمى أسرة ليتربى فى أحضان الزهراء البتول عليها السلام وأمير المؤمنين على عليه السلام. فكانت له بعض الخصائص الفريدة والخصال السامية. وكان وليّاً ربانياً يستغل إمكاناته كافّة لاعانة الضعفاء والفقراء ونيل رضى اللّه. حج بيت اللّه خمساً وعشرين مرّة ماشياً رغم ما كان له من راحلة ليعيش أدب الخشوع والتواضع للّه. «۱» اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۶۶ وكان أعبد أهل زمانه، كما كان يتغير لونه إن ذكر اللّه أو يوم القيامة وما بعد الموت. وكان يرتجف كالسعفة حين يقف بين يدى اللّه ويناجى اللّه بما يكشف عن عمق خشيته وحبّه للّه الذى لا يغيب عنه أبداً «۱». هذا غيض من فيض سمو الإمام المجتبى عليه السلام والذى وردت تفاصيله فى كتب السيرة وعلى ضوء ما تقدم فلا يبدو من الصحيح التسليم بأنّ هذا الإمام الذى يتصف بكل هذه الخصال ويعيش تلك العبودية المحضة أن يشهد ذلك الإقبال على الزواج الذى يفوق الحد المعقول كما ذكر بعض المؤرخين. أبناء الإمام الحسن عليه السلام: يلزم من الزعم المذكور أن يكون للإمام العديد من الأولاد، ولم يكن الأمر كذلك، ولعل العدد الاعظم الذى ذكره المؤرخون بلغ الثلاثة والعشرين «۲». فقال اليعقوبى و كان للحسن من الولد ۸ ذكور «۳». وابن شهر آشوب «۱۳» «۴». وابن خشاب «۱۱» «۵». والطبرسى «۱۶» «۶». وبينما ذكر المرحوم الشيخ المفيد رحمه الله المعروف بدقّته فى هذه الأبحاث أنّ أبناء الإمام من البنين والبنات هم «۱۵» «۷». وقال بذلك صاحب كتاب العدد نقلًا عن المرحوم العلامة اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۶۷ المجلسى والذى يقول بتعدد زوجات الإمام عليه السلام «۱». وعليه فإنّ أكبر عدد ذكره المؤرخون لأولاد الإمام عليه السلام هو «۲۳». وهذا يدل على أن لا أساس لموضوع تعدد الزوجات المنسوب للإمام فى بعض الكتب- ولعلنا نرى بعض الأفراد ممن لهم العديد من الأولاد- دون تعدد زوجاتهم- واحتمال تعدد زوجات الإمام عليه السلام لكنهنّ عقيمات ضعيف، ولا قيمة لمثل هذه الاحتمالات فى مناقشة القضايا التاريخية. وعلى ضوء هذا العدد المذكور من الأولاد، أفلا تبدو قضية نسب مئات الزوجات للإمام عليه السلام تهمة كاذبة؟ ثم ألا تدعونا هذه الوثائق التاريخية إلى الاعتقاد بأنّ هذه الأخبار من وضع عناصر بنى أمية ممن لهم تجربة بهذا الخصوص؟ ومن هنا ينبغى علينا التحفظ فى ترويج هذه الأخبار التى تخدم أعداء أهل البيت عليهم السلام. وإضافة إلى عدم إقرار المؤرخين بتعدد زوجات الإمام عليه السلام، فليس هنالك مَن احصى أسماءهن، بينما اكتفوا بذكر طائفة محدودة، وسنشير هنا إلى كيفية زواج الإمام عليه السلام منهن. ولعل المضحك ما نسبه بعض المحدثين للإمام عليه السلام أنّه تزوج من عشرات النساء، وذكروا أنّهنّ سرن حفاة خلف جنازة الإمام عليه السلام بعد شهادته «۲». وبالطبع فإنّ خواء هذا الزعم يبدو واضحاً من خلال نظرة الإسلام لكشف المرأة عن قدمها وسط الأجانب. فلو حدث ذلك فى أجواء المدينة لتذرع به فقهاء العامة الذين يتربصون الدوائر بأهل البيت عليهم السلام. أضف إلى ذلك فإنّ عصمة الزوجية تنقطع بالطلاق، فكيف تشترك هؤلاء النسوة فى تشييع جنازة الإمام عليه السلام وقد طلقهنّ قبل وفاته؟ أفلا يدلنا هذا الأمر على أنّ تعدد زوجات الإمام عليه السلام من هذا القبيل من الأخبار؟ حل المسألة: لو افترضنا حقيقة ما نسب للإمام عليه السلام من تعدد الزوجات، فلابدّ أن نقول بأنّ مسلمى ذلك اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۶۸ العصر كانوا يشعرون بالفخر والإعتزاز من مصاهرة نبى الإسلام، ومن هنا كانوا يتبركون بتزويج بناتهم من سبطه فيكتفون بالعقود الشرعية، وعليه فهؤلاء النساء كن يفتخرن بعقدهن على الإمام عليه السلام لغرض تحقيق الهدف المذكور. والاحتمال السائد أيضاً أنّ عدد من الزوجات اللاتى نسبن إلى الإمام عليه السلام كن من النساء اللاتى لا مأوى لهن وقد كفلهن الإمام عليه السلام فتزوج بهنّ ظاهرياً بغية تفادى استحقار الآخرين لهنّ «۱». وأحد الشواهد على ذلك ما ذكره ابن الجوزى من أنّ عبداللّه بن عامر طلق زوجته، فلما انتهت عدتها تزوجها الإمام عليه السلام، وبعد مدّة أتاها لاسترداد أمانة كانت لديها، فقال له الإمام عليه السلام: لقد تزوجت مطلقتك حتى تزول خلال هذه المدّة ما بينكم من عداوة، ولك أن تتزوجها الآن «۲». اجوبة المسائل الشرعية،

ص: ۱۶۹

۷ لماذا نحارب الفساد؟

إنّ أحد شروط ظهور المهدى عليه السلام اتساع الفساد فى الأرض فلماذا نحارب الفساد؟ سؤال: ورد فى الأحاديث المتواترة «۱»: أنّ المهدى عليه السلام سيظهر ويملأ الأرض قسطاً وعدلًا بعد أن تمتلئ ظلماً وجوراً وفساداً. وعليه سيكون ظهور الإمام حين انتشار الفساد فى العالم، ومن هنا فلابدّ لنا من تمهيد السبيل لظهور الإمام عليه السلام وذلك من خلال الإسهام فى توسيع رقعة الفساد، وإلّا فإننا سنسهم فى تأخير انطلاقة نهضة ذلك المصلح الغائب! الجواب: أولًا: لابدّ من الإلتفات إلى أنّ شرط ظهور الإمام عليه السلام لا يقتصر قط على اتساع حجم اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۷۰ الفساد فى صفوف المجتمع البشرى، بل يستحق المجتمع ظهور الإمام عليه السلام إن بلغ المرحلة المطلوبة من النضج الفكرى والسمو الروحى. وقد استفاضت كتب العقائد والمذاهب بالعوامل التى تحول دون الظهور والتى تتمثل فى الاستعدادات الفكرية والروحية ولو زالت هذه العوامل لزالت أسباب الغيبة ولظهر الإمام عليه السلام. وللفيلسوف العلّامة المرحوم نصير الدين الطوسى ثلاث عبارات بهذا الشأن فى كتابه «تجريد العقائد» نوردها مع توضيح مختصر: ۱- وجوده لطف فوجود الإمام المعصوم- ظاهراً كان أم غائباً- نعمة معنوية على المجتمع البشرى ووسيلة للتقريب من طاعة اللّه وعبوديته؛ ذلك لأنّ الإمام هو الهادى إلى اللّه، كما أنّه الواسطة فى وصول الفيض الإلهى، وهداية الإمام- وإن كان غائباً- للأفراد المستحقين متواصلة وإن لم يروه ويعرفوه. ۲- وتصرفه لطف آخر وإن ظهر الإمام عليه السلام وخاض فى الإرشاد والهداية وتسلم زمام الأمور فإنّ ذلك يعدّ نعمة أخرى وهنا لا تنتفع بوجوده طائفة فحسب، بل المجتمع البشرى كافّة الذى يتمتع بوجوده بصفته مظهر العدل والقسط ومطبق الأحكام الإسلامية. ۳- وعدم ظهوره بسببنا وإن لم يمارس دوره فى شؤون المجتمع وظلّ فى غيبته فذلك لبعض الموانع التى يزرعها الناس فى طريقه، والناس هم السبب فى سلب هذه النعمة، ولو استعد الناس للحكومة العالمية- القائمة على أساس الفضيلة والأخلاق والعدل والقسط ورعاية الحقوق والأحكام الشرعية- لظهر قطعاً، وليس هنالك من توقف للفيض الالهى، بل المجتمع هو الذى يؤخر الظهور والحكومة الحقة. «۱» وعليه فاتساع الفساد وسيادة الانحراف لا يعد شرطاً منحصراً لظهور الإمام، بحيث لا نفكر سوى فيه ونسعى لنشره، بل هنالك سبيل أقرب اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۷۱ يتمثل فى التحلى بالاستعداد والأهلية لدى المجتمع. وبعبارة أخرى هنالك شرطان للزعامة هما: ۱- وجود الزعيم. ۲- إستعداد المجتمع للتفاعل مع الزعيم. والحق لو تحقق الشرط الثانى من قبل المجتمع، لتكفل اللّه بايجاد الشرط الأول. ثانياً: إنّ اتّساع الفساد فى صفوف المجتمع البشرى ليس الهدف الأصلى، بل هو عامل لظهور المهدى عليه السلام وإصلاح المجتمع؛ لأنّه حين يعم الظلم والجور الأرض ويعانى المجتمع من مختلف الانحرافات والمفاسد وتعصف به الخطوب والمحن ويعيش مختلف التجارب التى تفيد عجز الإنسان عن حل تلك المشاكل من خلال اعتماده على قوته وما يسنّه من قوانين تعجز عن إيصاله إلى العدل والاستقرار، آنذاك يعيش الاستعداد الفكرى التام للتفاعل مع مشروع الزعيم الربّانى الذى يشفيه من كل داء ويأخذ بيده إلى السعادة والفلاح. يبدو أنّه ليس هنالك من نهضة إصلاحية دون قاعدّة فكرية خصبة، وقانون «العرض والطلب» الاقتصادى سارى المفعول فى الجانب الاجتماعى، فما لم يكن لدى المجتمع طلب، لا- يبدو لأىعرض معنوى ومادى من ثمن. ولكن هل القاعدّة الفكرية والاستعداد الروحى يكفيان للنهضة الإصلاحية والعالمية التى تهدف تحقيق الحكومة العالمية على أساس العدل والقسط والقيم الأخلاقية ورعاية المقررات والأحكام الشرعية، أم أنّ هذه الأرضية الفكرية بحاجة إلى قاعدّة أخرى تحيل هذا التغيير الفكرى إلى انقلاب يزيل الموانع كافّة التى تعترض سبيل النهضة. ولا تؤيد ذلك التجارب فحسب، بل أغلب الروايات الواردة بشأن نهضة هذا المصلح العالمى تفيد صراحة أنّ ثورة آخر حجة للّهبعد التاهب الفكرى، تتطلب قوة تزول فى ظلها الموانع كافّة التى تعترض سبيل النهضة، حتى صرحت بذلك الأحاديث التى تحدثت عن الأنصار والأصحاب وعددهم، واقتران نهضة الإمام بالقوة والقدرة التامة- ومن هنا يتوجب علينا تفعيل الشرط الثانى فى إعداد الأعوان والأنصار والجند

المضحين الذين يحملون أرواحهم اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۷۲ على أكفّهم فى سبيل تحقيق الأهداف السماوية، ولا يتحقق هذا الهدف إلّامن خلال تظافر جهود جميع المصلحين، والتفانى من أجل رفد المجتمع بالأفراد الصالحين. ثالثاً: بغض النظر عمّا سبق، لابدّ أن نعين موقعنا من تلك النهضة. ومن الطبيعى أننا إن أسهمنا فى إفساد المجتمع، فسنكون من أولئك الذين ستحطمهم ثورة المهدى عليه السلام، وإن أسهمنا فى إصلاح المجتمع، فسنكون من جند الإمام عليه السلام. وعليه فلو سلّمنا بأنّ إشاعة الفساد ستمهد السبيل إلى ظهور الإمام، فالواقع أنّ ذلك الظهور سيشكل خطراً علينا. أوَليس نهضة الإمام تهدف إلى القضاء على الفساد والظلم؟ فكيف ننتفع بنهضته من خلال إشاعة الفساد؟ ونخلص ممّا سبق إلى أنّ الإسهام فى إشاعة الفساد أو السكوت عليه بغية ظهور المهدى عليه السلام لا يبدو صحيحاً. ولعل هذه النظرة والمغالطة إنّما يسوقها أولئك الذين يسعون إلى الهروب من المسؤولية ومقارفة أنواع المفاسد. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۷۳

۸ هل يتنافى نشوب حرب عالمية ثالثة مع ظهور المصلح العالمى؟

سؤال: كثُر الجدل فى الأوساط العالمية بشأن مخاطر الحرب العالمية الثالثة، وأنّ هذه الحرب إن قامت فسوف لن تبقى كائناً حياً فى العالم، وغالباً ما يرد هذا الكلام على لسان زعامات بلدان الشرق والغرب. وانطلاقاً من الإيمان بالقدرة المطلقة للّه، فهل يمكن لبعض الأفراد عديمى الإيمان أن يحيلوا الدنيا إلى تراب إرضاء لأحلامهم التوسعية، وهل يتنافى ذلك مع عقيدة المسلمين بصورة عامة والشيعة خاصة يتطلعون إلى عالمية الإسلام، ويرون أنّ المصلح الحقيقى- إمام العصر أرواحناه فداه- سيصلح هذا العالم الفاسد؟ الجواب: غالباً ما تنطوى التكهنات بشأن وقوع الحرب النووية على جانب الحدس والتخمين، وطالما كانت الأحداث السياسية خارجة عن نطاق القانون، فإنّه يتعذر التكهن قطعياً بهذا الأمر. والقدر المسلم به احتمالية وقوع الحرب العالمية الثالثة فى الظروف الراهنة، كما لا يستبعد أن تكون هذه الحرب نووية، إلّاأنّ أحداً لا يستطيع الزعم بأنّه يمكن تفادى هذه الحرب، كما لا يمكن الجزم بأنّ هذه الحرب ستكون نووية، ذلك أنّ اللّه قد يعيد زعامات اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۷۴ البلدان إلى رشدهم، فيتأملوا الأحداث فيتورعوا عن كل ما من شانه تاجيج هذه الحرب، أو يحرمون على الأقل الاستفادة من الأسلحة الذرية. وعليه ليس هنالك من منافاة بين هذه التكهنات بشأن نشوب حرب عالمية ثالثة و عقيدة عامة المسلمين وبخاصة الشيعة على ضوء المصادر الدينية المعتبرة فى انتظار المصلح العالمى الذى ينهض بهذه المهمّة من جانب اللّه فيرسى قواعد الحكومة العالمية ويملأ الأرض بالعدل بعد أن يجتث جذور الظلم؛ ذلك لأنّه حسب ما ذكرنا أنّ تلك التكهنات لا تستند إلى أساس قطعى، وهى مجرّد احتمالات تفرزها الظروف السائدة، وكما أشرنا سابقاً فإنّه لا يستبعد أن تكون الاضطرابات والإرباكات القائمة بغية تأهب عالم البشرية للانفتاح على الحكومة الربّانية، ذلك لأنّ العالم المادى سيضطر للتفاعل مع الحكومة الربّانية بعد أن يلمس عجز المدارس المادية عن إصلاح المجتمع البشرى، فضلًا عن تفاقم الأوضاع تدريجياً، وإن تحدثنا من حين لآخر عن احتمال نشوب الحرب العالمية الثالثة، فعلى أساس احتمالية هذا الأمر إن تركت مقدرات الإنسان لهذه الأجواء المادية، ولعل هذا الاحتمال كاف لسوق الإنسان لإعادة النظر فى الطريق الذى يسلكه اليوم.

۹ هل تتنافى هذه الآية مع طول عمر إمام الزمان عليه السلام؟

سؤال: قال تعالى فى الآية ۶۸ من سورة يس: «وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ» فكيف تنسجم هذه الآية مع طول عمر إمام العصر والزمان عليه السلام؟ الجواب: إنّ الآية المذكورة توضح حقيقة قانوناً إلهياً وقضية طبيعية؛ أى أنّ الإنسان بعد أن يبلغ مرحلة من مسيرته التكاملية، يعود شيئاً فشيئاً إلى فقدان قواه الواحدة بعد الأخرى والرجوع إلى يومه الأول فى العجز والضعف. ويمثل «منحنى الضعف والقدرة قانوناً عاماً لجميع الكائنات الحيّة والتى سيكون هذا مصيرها على أساس مسيرتها الطبيعية، إلّاأنّ قضية طول العمر-

رغم ثبوت إمكانها على ضوء القوانين العلمية- تنطوى على بعد استثنائى. بعبارة أخرى أنّ العمر الذى يناهز الألف سنة وأكثر للإنسان لا- يبدو محالًا طبقاً للقوانين العلمية، بدليل أنّ العلماء منهمكون ببعض المطالعات بشأن قضية إطالة عمر الإنسان ويبشروننا أنّهم سيوفقون يوماً لمضاعفة عمر الإنسان بالأساليب والطرق العلمية، وهذا بحدّ ذاته دليل على كون مسألة طول العمر ممكنة ومعقولة. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۷۶ ولكن لا- يمكن التنكر إلى أنّ لطول العمر هذا بُعداً استثنائياً، ولم يوفق لها الإنسان لحد الآن من خلال الطرق الاعتيادية، وبناء على هذا فإنّ اللّه تعالى وهب أحد صفوته طول العمر لإصلاح المجتمع البشرى وسينهض ويجعل العالم واحة للعدل والقسط. ومن الواضح أنّ الآية المذكورة الواردة بشأن عامة الأفراد لا تشمل هذا الفرد الذى يتمتع بوضع استثنائى بعيد عن القضايا العادية. والخلاصة فإنّ اللّه الذى منح ذلك الفرد مثل هذا العمر وحفظه طيلة هذه المدّة، هو الذى يحول دون آثار طول العمر من ضعف وعجز وعودة إلى الوراء، وهذا لا يتنافى قط والآية المذكورة التى تتعامل مع الأفراد العاديين.

۱۰ ما المراد ب «الغيبة الصغرى» و «الغيبة الكبرى»؟

سؤال: إننا نسمع من الخطباء ونقرأ فى الكتب الدينية أنّ لإمام الزمان عليه السلام غيبتين صغرى وكبرى، فما المراد بهاتين الغيبتين؟ ولم سميت إحداهما بالصغرى والأخرى بالكبرى؟ الجواب: توفى الإمام الحادى عشر لدى الشيعة الحسن العسكرى عليه السلام سنة ۲۶۰ ه، فانتقلت الإمامة وزعامة الأُمّة بأمر اللّه تعالى إلى ولده الموعود عليه السلام. ولم يبلغ من العمر أكثر من ست سنوات حين توفى والده، وقد غاب بإذن اللّه لأنّ أعداء الإمام عزموا على قتله مهما كان الثمن. وكان باستطاعة خواص شيعته أن يطرحوا عليه أسئلتهم ويحصلون على أجوبتها من خلال سفرائه الأربعة، واستمر هذا الوضع حتى عام ۳۲۹ ه وانتهت السفارة بوفاة السفير الرابع، فأسندت مهمّة بيان الأحكام الشرعية وشؤون الأمّة كافّة إلى كبار الفقهاء بصفتهم نواب الإمام واختتمت النيابة الخاصة المحصورة فى فرد معين. وقد بدأت الغيبة الصغرى من عام ۲۶۰ ه- وهو العام الذى توفى فيه الإمام العسكرى عليه السلام- وانتهت عام ۳۲۹ ه- وهو العام الذى توفى فيه آخر سفرائه- فيصطلح على غيبته منذ ذلك اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۷۸ اليوم لحد الآن بالغيبة الكبرى، وعلة التسمية واضحة؛ لأنّ الشيعة فى الغيبة الأولى وإن حرموا من مشاهدة الإمام، إلّاأنّ خواص الإمام كانوا يتصلون به ويعرضون عليه مختلف الأمور، بالإضافة إلى أنّها كانت قصيرة، ومن هنا يطلق على هذه الغيبة بالصغرى. ولكن بعد وفاة آخر السفراء، فقد أغلق هذا الطريق على الأمّة وأصبح الفقهاء مراجع الأمّة فى شؤونها الدينية والدنيوية، وإثر انقطاع الإتصالات الخاصة كافّة وطول مدّة زمان غيبة الإمام فقد أطلق عليها الغيبة الكبرى. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۷۹

۱۱ من هم نواب إمام الزمان «عج»؟

سؤال: يقال إنّ لولى العصر عليه السلام بعض السفراء فى الغيبة الصغرى يوصلون المستجدات والأمور الضرورية للإمام. رجاء بينوا لنا نبذة عنهم؟ الجواب: كان الإمام عليه السلام يتصل بالأمّة فى غيبته الصغرى من خلال سفرائه الأربعة و يقضى أغلب حاجاتهم عن طريق وكلائه. وهم: ۱- عثمان بن سعيد العمرى من قبيلة بنى عمرو بن عامر. كان من أتباع الأئمّة منذ الحادية عشرة فصحب الإمامين الهادى والعسكرى عليهما السلام، كما كان الوكيل الخاص للإمام العسكرى عليه السلام. كان ثقة الإمام عليه السلام وخلفه ولده محمد بن عثمان، حتى قال فيه عليه السلام: «العمرى وابنه ثقتان فما أدّيا إليك عنّى فعنى يؤدّيان وما قالاه لك فعنى يقولان، فاسمع لهما واطعهما فهما الثقتان المأمونان». وكان الإمام العسكرى عليه السلام قلّما يأذن لأحد برؤية المهدى عليه السلام، وكان العمرى ممن رآه كراراً فى داره. ومن أراد الوقوف على سيرته فليراجع اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۸۰ كتب الرجال «۱»، وبالطبع لا يوجد تاريخ دقيق لوفاته «۲». ۲- محمد بن عثمان بن سعيد، وهو ابن السفير الأول والذى يعدّ السفير الثانى ووكيل الإمام عليه السلام حيث أدرك الإمام العسكرى عليه السلام وكما ورد فى الحديث السابق فإنّه وأباه ثقتا الإمام. وكانت مدّة سفارته أطول وأوسع وكان يوصل

رسائل الشيعة دائماً إلى الإمام عليه السلام ويأتيهم بالأجوبة التحريرية، وتوفى عام ۳۰۴ أو ۳۰۵ ه «۳». ۳- حسين بن روح الذى اشتهر فى زمانه بالعقل والدراية، وكان من مقرّبى سفير الإمام الثانى محمد بن عثمان؛ وقد فوض إليه مهمّة السفارة وتوفى عام ۳۲۶ ه «۴». ۴- على بن محمد السمرى وهو آخر سفراء الإمام عليه السلام حيث كتب له الإمام كتاباً صرح فيه أنّه آخر سفرائه وليس له نصب أحد بعده! توفى فى النصف من شعبان عام ۳۲۹ ه وأغلقت السفارة بوفاته لتبدأ الغيبة الكبرى، «۵» ومنذ ذلك الحين كان الإمام عليه السلام يفند أى زعم بالنيابة الخاصة. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۸۱

۱۲ فلسفة غيبة المهدى عليه السلام

سؤال: نعلم أنّ المهدى- الحجّة بن الحسن العسكرى عليه السلام- غاب عن الأنظار عام ۲۶۰ ه وقد مرّت لحد الآن ألف سنة على هذه الغيبة؛ والذى نريد أن نعرفه: ما فلسفة هذه الغيبة الطويلة؟ الجواب: لابدّ من الإلتفات بادئ الأمر إلى أنّ غيبة الإمام عن أنظارنا لا تعنى أنّه يعيش فى عالم آخر غير عالمنا، أو تبدل وجوده الجسمى إلى وجود غير مرئى كأمواج الأثير؛ بل معنى غيبته أنّه يعيش بين الناس وأنّهم يرونه، لكنهم لا يعرفونه، وهو يعيش عيشة طبيعية. أمّا لماذا طالت غيبته وما فلسفة ذلك؟ فلابدّ من القول: هنالك اختلاف كلى بين مشروع الإمام ومشروع الأنبياء وسائر الأوصياء، فمشروعه ليس تشريعياً، بل مشروعه إجرائى للعالم كافّة؛ بمعنى له مهمّة تطبيق جميع المبادئ الإسلامية فى العالم وبسط العدل والقسط بين صفوفه. صحيح أنّ الأنبياء والأوصياء نفذوا جانباً من هذا المشروع، إلّاأنّ هذه القضية لم تتخذ بعداً عالمياً وشمولياً بفعل غياب الاستعداد عن أغلب ابناء العالم. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۸۲ ومن الواضح أنّ تطبيق هذا المشروع الثورى العالمى الذى يهدف إلى بسط العدل والقسط وإشاعة الحق إنّما يتطلب بعض الشرائط والمقدمات التى لا تتحقق سوى من خلال تقادم الزمان وتكاملها من جميع الجوانب، ونشير إليها هنا وهى: ۱- الاستعداد الروحى لابدّ أن يكون المجتمع البشرى متعطشاً لتطبيق المبادئ المذكورة، وما لم يكن لدى الناس «طلب» فسوف لن يكون هنالك أى تأثير لأىمشروع مادى ومعنوى. وبالطبع فإنّ قانون العرض والطلب لا يقتصر على الصعيد الاقتصادى، بل هو نافذ فى المجالات الاجتماعية والسياسية. طبعاً إنّ تقادم الزمان وفشل القوانين المادية وظهور الأزمات العالمية الخانقة واتجاه البشرية نحو الحرب سيتعب البشرية ويفهمها هذه الحقيقة حيث أنّ القوانين المادية والمنظمات التى يصطلح عليها بالدولية ليست عاجزة عن حل مشاكلها ومعاناتها وبسط العدل والقسط فى ربوع العالم فحسب، بل إنّ هذا التعب واليأس سيعدّها للتفاعل مع الثورة الشاملة، ونعلم أنّ هذا الموضوع بحاجة إلى وقت لتثبت التجارب المريرة عجز الأنظمة المادية والمدارس البشرية كافّة فى بسط العدل وإحقاق الحق وإرساء قواعد الأمن والإستقرار، وبالتالى سيظهر لدى البشرية هذا الطلب إثر ذلك الياس والإحباط لتحقيق الأهداف الربّانية ويتمهد السبيل لخوض ثورة عالمية من قبل رجل ربانى «۱». ۲- تكامل العلوم والثقافات البشرية من جانب آخر هنالك حاجة ماسة لرقى العلوم والثقافات الاجتماعية بغية قيام حكومة عالمية على أساس العدل والقسط؛ وهذا لا يتحقق دون التقدم الفكرى وتقادم الزمان. حيث اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۸۳ يتعذر انبثاق الحكومة العالمية التى يسود العدل والقانون فيها أنحاء العالم كافّة وتتمتع البشرية فيها بالامتيازات الإسلامية الفردية والاجتماعية كافّة دون وجود ثقافة تقدمية فى جميع الشؤون الإنسانية، وهذا بدوره يتطلب مزيداً من الوقت. ۳- تكامل وسائل الإتصالات وتتطلب هذه الحكومة أيضاً وسائل إتصالات متكاملة ليمكن من خلالها اطلاع المجتمعات على المقررات والمبادئ الإنسانية من خلال عدّة طرق وبأقصى مدّة زمنية؛ وهذا ما لا يتحقق دون رقى العجلة الصناعية ومرور الزمان. ۴- استقطاب الطاقات البشرية بغض النظر عن كل ما سبق فإنّ النهوض بهذا الهدف والتخطيط لهذه الثورة يتطلب طاقات بشرية فاعلة، تشكل فى الواقع جيش الثورة العالمية، كما أنّ تشكيل هكذا جيش وظهور هؤلاء الأفراد المضحين إنّما يتوقف أيضاً على تقادم الزمان. ولعل ما ورد فى الروايات بشأن فلسفة طول مدة غيبة الإمام فى اختبار الناس وتمحيصهم إشارة إلى هذا الأمر؛ ذلك لأنّ الامتحان على ضوء المنطق الإسلامى لا يعنى كشف الأمور الخفية على غرار الامتحانات العادية، بل المراد منه إعداد الأفراد وخلق الصفات السامية لديهم «۱».

وبالتالى فإنّ هـذه العوامل الأربعة «۲» بحاجـة إلى مرور زمان مديـد وتطور فى كافّة مرافق الحياة واسـتعداد روحى وفكرى لدى الناس بغيـة قبول الحكومـة العالمية القائمة على أساس الحق والعدالة؛ ومن ثم ينفذ هذا المشـروع من قبل الإمام المهدى عليه السـلام والحال يمكنه أن اجوبة المسائل الشـرعية، ص: ۱۸۴ يعيش بصورة طبيعيـة حتى يأذن له اللّه بممارسـة الثورة العالميـة؟ وهناأن نقول إنّ الإمام يعيش بصورة طبيعيـة كسائر الناس، لكنه يتمتع بعمر طويل، والفرق بينه وبين جميع الأئمّـة عليهم السـلام، أنّه حين كان يأفل نجم إمام يبزغ نجم آخر، بينما ليس الأمر كـذلك بالنسـبة للمهـدى عليه السـلام، فهو آخر الأوصـياء والمـدخر لتطبيق المشـروع. وعليه لابـدّ أن يعيش بصورة مجهولـة حتى ينهض بهذه المهمّة. طبعاً ما ذكرناه كان بشأن فلسـفة غيبة الإمام «عج» وعلة معيشـته بصورة مجهولة، وأمّا منـافع غيبـة الإمـام وكيف يسـتفيد منه النـاس فهـذا موضوع آخر خـارج البحث و خـارج عن تطـاق السؤال المـذكور. اجوبـة المسائل الشرعية، ص: ۱۸۵

۱۳ هل يشبه دعاء الندبة عقائد الكيسانية؟!

سؤال: قرأنا فى كتاب أنّ فى دعاء الندبـة عبارات لا تنسـجم مع عقائـد الشـيعة الإماميـة وتشـبه عقائـد الفرق الكيسانيـة. وإليك العبارة الواردة فى الكتـاب: أشـير فى دعـاء الندبـة إلى هـذه المسألـة حيث يسأل: «ليت شـعرى اين اسـتقر بك النوى، بل أى أرض تقلك أو ثرى؟ أبرضوى أم ذى طوى ...؟». لا أدرى لماذا يبحث هذا الدعاء الذى يقرأ اليوم فى أغلب المحافل الدينية ويخاطب فيه إمام الزمان «و قـد شـاع كثيراً فى السـنوات الاخيرة و شـكلت حلقات خاصـة لهـذا الامر» فلماذا يطلب المهـدى فى ذى طوى ورضوى الـذى يعتبر موضوع محمـد بن الحنفية (إمام زمان الفرقة الكيسانية) حيث تعتقد هذه الفرقة أنّه غاب عن الأنظار فى هذا الجبل وسـيظهر منه فيندبه أتباعه ويتضـرعون عند هذا الجبل ليقوم بالأمر. وبغض النظر عن عدم إرتباط قضـية المهدى عليه السلام بهذا الجبل سواء فى حياته أو غيبته الصـغرى أو الكبرى أو ما بعد الظهور، فإنّ غيبته ليست بمعنى لجوئه إلى مكان معين، بل له حضور فى كل مكان ونحن الذين لا نتعرف عليه، وبناء على ذلك فالسؤال عن مكانه الخفى لا ينسـجم ظاهراً مع غيبة المهدى الموعود عليه السلام لدى الإمامية والمطالعة الدقيقـة لمتن دعاء الندبـة الـذى يـذكر ائمتنا صـراحة و حسب ترتيب اسـمائهم، و بعدالامير عليه السـلام والحديث عن اجوبة المسائل الشـرعية، ص: ۱۸۶ فضـائله ومنـاقبه يخـاطب فجأة ودون واسـطة الامام الغائب، فيلـح فى طرح هـذا السؤال. على كل حال نطرح هـذا السؤال كمطلب علمى فقـط و ليس حكمـاً قطعيـاً. الجواب: إنّ دعاء الندبـة حقّاً من الأدعيـة العميقـة والساميـة. فهو غايـة فى الفصاحة والبلاغة من حيث المضـمون فلابدّ من القول أنّه دعاء علمى وثورى وعقائدى وسياسـى وفى نفس الوقت مفعم بالأحاسـيس المرهفة، فإن أُدركت مفاهيمه يمكن أن تلهم الأمّـة مقومات المواجهـة الاجتماعيـة ومناهضة الظلم (طبعاً بشـرط الإدراك، لا بصـيغة التحذير). فقد استهل الدعاء بالإشارة إلى فلسفة بعثة الأنبياء، ومن ثم إشارة عابرة إلى سيرتهم واختلاف درجاتهم، مروراً إلى فلسفة بعثة الأنبياء، ومن ثم إشارة عابرة إلى سـيرتهم واختلاف درجاتهم، مروراً بالتركيز على نبى الإسلام صلى الله عليه و آله وعظم منزلته، إلى الإسهاب فى إمامـة وصـى النبى صـلى الله عليه و آله على عليه السـلام على ضوء الأدلـة القاطعـة والروايـات والآيات المتفق عليها من قبل الفرق الإسلامية كافّة، كما وردت الإشارة إلى أسباب قيام جماعة من الأمّة ضد أهل البيت عليهم السلام وبالتالى ما تعرضوا له من قتل ونفى ودعوة الأئمّـة الواحـد تلو الآخر، بحيث تشـد القلوب نحو نهضـة المهدى عليه السـلام، ومن ثم يبدأ خطاب الإمام عليه السـلام بسـياق يفيض بالحب والحنان والعواطف الإنسانية، ويختتم الدعاء بشـرح المشـروع الإصـلاحى والثورى للإمام عليه السلام وشىء من التضرع والاسـتغاثة. هذا من حيث مضامين الدعاء. أمّا ما تصوره البعض من أنّ هذا الدعاء يشـبه عقائد الكيسانية فمرفوض تماماً. وهنا لابدّ من تسـليط الضوء على بعض خصائص الفرقـة الكيسانية، ومن ثم نرد من مضـمون الدعاء على التصور السابق: «الكيسانية»: كما وردت فى بعض كتب العقائد والمذاهب، كانت فرقة شـيعية إمامية، اعتقدت بامامة محمد بن الحنفية بعد الإمام الحسـين عليه السلام، وقيل سموا بالكيسانية نسـبة لأحد أنصار هذه الفرقة ويدعى «كيسان» الذى كان يزعم حبّ على عليه السـلام، وقيل إنّ كيسان أحد اجوبة المسائل

الشرعية، ص: ۱۸۷ ألقاب المختار بن أبى عبيدة أحد أتباع هذه الفرقة. ورغم تفرع هذه الفرقة، إلّاأنّ الطائفة المشهورة منها تعتقد بأنّ محمد بن الحنفية حى الآن ويعيش فى جبل «رضوى» أطراف المدينة، وهو المهدى الموعود. وأنشد شاعرهم «كثير» بهذا الشأن: ألا إنّ الأئمّة من قريشٍ وُلاةُ الحق أربعة سواءُ علىٌّ والثلاثة من بنيه هم الأسباط ليس بهم خفاءُ وسبط لا يذوق الموت حتى يقود الخيل يقدمها الولاءُ يُغيّب لا يُرى فيهم زماناً برضوى عنده عسل وماءُ أشار الشاعر فى أبياته إلى على عليه السلام وأبنائه الثلاثة، ثم أشار إلى غيبة محمد الحنفية فى جبل «رصوى». طبعاً أتباع هذه الفرقة اليوم قلائل، وغالباً ما نعثر على أسمائهم فى كتب تاريخ الأديان. ونعود الآن إلى أصل الموضوع: فدعاء الندبة يفند عقائد الكيسانية وينسجم تماماً مع عقائد الشيعة الإمامية: ۱- نقرأ فى ثلاث عبارات من دعاء الندبة بشأن نسب المهدى «عج»: «وابن خديجة الغراء» و «ابن فاطمة الكبرى» و «جدته الصديقة الكبرى فاطمة بنت محمد». فهو ابن خديجة وفاطمة عليها السلام. والحال ليست هنالك من نسبة لمحمد بن الحنفية بخديجة وفاطمة بنت النبى صلى الله عليه و آله، فأمّه «خولة الحنفية بنت جعفر بن قيس، ولا رابطة لها بخديجة أو فاطمة الزهراء عليها السلام». وعليه فمن العجيب أن يُشبّه دعاء الندبة بعقائد الكيسانية، ولو فرضنا الشبهة لكلمة «رضوى»- وليس من شأنها إثارة شبهة كما سترى- فإنّ هذه العبارات الثلاث يمكنها آزالة أيّة شبهة. ۲- ورد فى هذا الدعاء بعد عبارة ابن أبناء الحسين «صالح بعد صالح وصادق بعد صادق، أين السبيل بعد السبيل، أين الخيرة بعد الخيرة، أين الشموس الطالعة، أين الأقمار المنيرة، أين الأنجم الزاهرة، أين أعلام الدين وقواعد العلم، أين بقية اللّه ...؟». اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۸۸ فهذه العبارات تقول صراحة إنّ بعد الإمام الحسين عليه السلام عدّة أئمّة سينهض الواحد تلو الآخر لإصلاح الأمّة والدعوة إلى اللّه وبسط العلم والمعرفة حتى يصل آخر حجة ليخاطب بصيغة المفرد. فهل هناك من شبه بعقائد الكيسانية، الذين لا يرون لولد الحسين عليه السلام من مقام ولا يعترفون بامام بعد محمد بن الحنفية؟ أوَليسَ من العجب أن يقال انقطع الموضوع بعد ذكر ولاية على عليه السلام وأغمض عن الأئمّة واقتصر الكلام على المهدى وهذا ينسجم مع عقائد الكيسانية! أو لا تكفى هذه العبارات العشر المتسلسلة سائر الأئمّة كونها لا تصرح بأسماء الأئمّة عليهم السلام؟ وهل عشر عبارات قليلة فى ردّ عقائد الكيسانية؟! ۳- إننا نخاطب ولى العصر فى هذا الدعاء قائلين: «بنفسى أنت من مغيب لم يخل منّا، بنفسى أنت من نازح ما نزح عنّا» فنراه بيننا وقريب منّا، وهذا يشير إلى أنّ غيبته ليست من قبيل وجود لا مرئى وغائب عن الأنظار فى مكان معين، بل يتردد بصورة غير معروفة فى الأوساط دون أن يكون له مكان ثابت. ۴- اتضح ممّا ذكرنا أنّ فقرات هذا الدعاء تفند الواحدة تلو الأخرى العقائد الخرافية للفرقة الكيسانية، وتنطبق تماماً على عقائد الشيعة الإمامية. ولا تبقى سوى كلمة «رضوى» فى إحدى عبارات الدعاء والتى تتضح من خلال الرجوع إلى المصادر الإسلامية (لابدّ من التأمل). توضيح ذلك: كتب صاحب معجم البلدان ياقوت الحموى: إنّ «رضوى ... جبل فى أطراف المدينة ورضوى (على وزن رجبى) منسوب إليه، وقال النبى الأكرم صلى الله عليه و آله بشأن هذا الجبل: رضوى جبل رضى اللّه عنه. ثم قال بعد أن ذكر سائر الجبال المقدسة: قال عرام بن أصبع السلمى: رضوى جبل يبعد مسيرة يوم عن ينبع وسبعة منازل عن المدينة وقد أخبرنى من سار إلى هذا الجبل أنّ فيه ماءً كثيراً ونخيلًا وهذا هو الجبل الذى تعتقد الكيسانية: أنّ محمد بن الحنفية مقيم فيه وهو حى». وأمّا «ذى طوى» الذى ورد بعد جبل رضوى فى دعاء الندبة، فأحد الجبال الواقعة أطراف مكة على طريق «تنعيم» ويبعد فرسخاً عن مكة وترى اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۸۹ منه بيوت مكة. وجاء فى الخبر عن الإمام الباقر عليه السلام: أنّ القائم عليه السلام يرد مكة عن طريق ذى طوى فيجتمع عند الكعبة بصحبه بعدد جنود بدر ومن هنالك يبدأ نهضته. ونستنتج ممّا سبق أنّ رضوى جبل مقدّس وورد فى أحاديث النبى الأكرم صلى الله عليه و آله: «وقدسية أرض أو جبل أو الحجر الأسود مثلًا بسبب الأحداث المهمّة التى شهدها طيلة التاريخ ويرتبط بتضحيات أولياء اللّه هناك». وعليه فإنّ جبل رضوى ورد فى أحاديث النبى صلى الله عليه و آله قبل أن يرد فى عقائد الكيسانية. بل لعل اختيار الكيسانية لهذا الجبل بغية إضفاء القدسية على عقائدهم الباطلة. وعليه فإن وردت كلمة رضوى فى دعاء الندبة فلابدّ من إعادتها إلى جذورها الأصلية فى أحاديث النبى صلى الله عليه و آله لا عقيدة الكيسانية. والشاهد الآخر على هذا الكلام ذكر جبل «ذى طوى» القريب من مكة؛ فليس هنالك من علاقة لذى

طوى بعقائد الكيسانية، وبغض النظر عمّا سبق فإنّ كلمة «أم غيرها» الواردة فى دعاء الندبة دليل على أن ليس للمهدى «عج» من موضع خاص خلافاً لعقائد الكيسانية ويتردد على بقاع العالم كافّة وعلى غرار جدّه النبى صلى الله عليه و آله الذى كان يتردد أحياناً على جبل النور وغار حراء، وأحياناً أخرى عند الكعبة وبين المسلمين فى مكة والمدينة؛ فالمهدى عليه السلام أحياناً هنا وهناك وأخرى بيننا. وأخيراً نأمل فى المستقبل ممن يحاول إثارة مثل هذه الشبهات فى أن يبدى حسن نيّته بالرجوع إلى المختصين بهذا الشأن ممن بذلوا فيه جهودهم فإن لم يتلقوا منهم الاجابات الشافية، فلهم أن يثيروها بكل حرية، ولكن إن سمعوا أجوبتها فلا يمسّوا الرأى العام. وهنا تجدر الإشارة إلى طبع كتيب هوجم فيه سند الدعاء ومتنه وهذا ما يثير الدهشة. فقد أورد صاحب الكتيب بعض الإشكالات بأسلوب مستهجن لا يبدو أى منها صحيحاً، وحيث لا تتطلب بعض الأبحاث العلمية فإننا نكتفى باستعراض نماذج منها. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۹۰ الإشكال الأول على نص دعاء الندبة: لم ورد فى الدعاء بشأن إبراهيم عليه السلام: «وسألك لسان صدق فى الآخرين فأجبته وجعلت ذلك علياً» ثم أشكل بأنّ العبارة جعلت ذلك علياً ولا تنسجم قط مع العبارة السابقة (وكأنّ المستشكل تصور أنّ المراد به على عليه السلام). إلّا أنّ معنى العبارتين يبدو واضحاً تماماً من خلال القرآن؛ فالقرآن يفيد أن إبراهيم سأل اللَّه تعالى: «وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ» «۱». وقال فى موضع آخر بشأن إبراهيم وإسحاق ويعقوب: «وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّاً» «۲» والعبارة الواردة فى الدعاء تتضمن هاتين الآيتين. فما العيب فى هذا الاقتباس؟ وهل هنالك من مجال للإشكال؟ الإشكال الآخر على نص الدعاء: العبارة: «ثم جعلت أجر محمد صلواتك عليه وآله مودّتهم فى كتابك فقلت لا أسألكم عليه اجراً إلّاالمودة فى القربى»، تتناقض مع ما ورد فى القرآن «قُلْ لاأَسأَلُكُم عَلَيهِ أجراً» «۳». والطريف أن العبارة القادمة فى الدعاء ردت على هذا الإشكال بالآية: «وقلت: «مَا سَأَلْتُكُمْ مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ»» «۴» ؛ ذلك لأنّ مودة أهل البيت عليهم السلام وسيلة لكسب علومهم ومعارفهم وهداهم. فالواقع أنّ النبى صلى الله عليه و آله لم يسأل الناس أجراً على الرسالة وما سأله فنفعه لهم. وخلاصة القول إنّ متن الدعاء فصيح ولا- محل لهذه الإشكالات. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۹۱

۱۴ الإسلام والشفاعة

سؤال: هل فى الإسلام شفاعة أم لا؟ إن كانت هناك شفاعة فكيف سبيلها إلى اللَّه؟ فلعل الشفاعة نوع من الواسطة! ونتيجتها الحصول على موقع دون استحقاق. الجواب: هنالك شفاعة فى الإسلام وهى من المفاهيم الإسلامية المسلّمة، ويعلم كل من لديه أدنى معرفة بالقرآن والسنّة بقطعية الشفاعة لمن يستحقها ولا مجال للشك والريب فيها. وقبل الخوض فى الأدلة النقلية على الشفاعة، لابدّ من توضيح حقيقتها ليعلم فرقها عن الواسطة. فالشفاعة لغة تعنى ضم شىء لآخر، واصطلاحاً بمعنى مساعدة أولياء اللَّه (الأنبياء والأئمة والصلحاء) لانقاذ الأفراد الذين ارتكبوا الأخطاء طيلة حياتهم. وبالطبع فإنّ المساعدة لانقاذ المذنبين لها صورتان: إحداهما تشبه الواسطة التى تدعو إلى الظلم، والأخرى درس وتهذيب ونافذة أمل ووسيلة تكامل. فإن كان الفرد المشمول بالشفاعة يفتقر لأىأهلية واستحقاق فهذا نوع من الظلم وتشجيع على الخطيئة وممارسة الجريمة. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۹۲ وهذه شفاعة مرفوضة والأمل بهذه الشفاعة يدفع بالأفراد إلى عدم التورع عن ارتكاب أيّة جناية، ومن المسلم به أنّ الآيات لا تنشد مثل هذه الشفاعة التى يدينها العقل والمنطق. أما إن شمل بعض المذنبين بشفاعة الشفعاء يوم القيامة لإيمانهم باللَّه وعلاقتهم بأوليائه، فإنّ هذه الشفاعة لا تنطوى على أى ظلم، بل هى عين العدل ووسيلة تربوية وعودة الأفراد المذنبين عن حالة التذبذب. وتوضيح ذلك: إنّ شفاعة أولياء اللَّه كما يصرح القرآن تتوقف على إذن اللَّه وليس لأحد من شفاعة دون إذن اللَّه تعالى. ومن هنا يتضح أنّ إذن اللَّه سبحانه ليس اعتباطاً، وهذا الإذن يشمل من يستحق العفو والصفح، وإن قارف بعض الذنوب فإنّها لا تصل إلى حدّ الطغيان والتجبر، وإن ضعفت علاقته باللَّه فهى لم تنقطع. وعليه فالبشارة بالشفاعة بهذا المعنى تحذير للأفراد الذين يقارفون أحياناً بعض المعاصى بالعودة إلى ذاتهم والكفّ بأسرع وقت عن ممارساتهم وديمومة علاقتهم بربّهم وعدم الابتعاد عن قبس الشفاعة، وإلّا فليس هنالك من سبيل للنجاة. ولا يخفى تأثير هذا

الشعور فی عودة الأفراد إلی الطریق المستقیم وإعادة النظر فی أعمالهم الخاطئة، فهو بمثابة الأمل فی إضاءة الحیاة ممّا علق بها من ظلام. وقد دلت التجربة علی أنّ نافذة الأمل إن فتحت بوجه المجرمین وشعروا بالأمل أو النجاة إن هم أعادوا النظر فی أعمالهم الخاطئة فإنّ أغلبهم سوف یقلع عمّا هو علیه ویعود إلی رشده وصوابه. ولعلنا نلمس ذلک فی قوانین العقوبات العالمیة التی تتضمن قوانین العفو عن السجناء وکبار المجرمین المحکومین بالسجن المؤبد، وسرّ ذلک فسح المجال أمام الآخرین للکفّ عن أخطائهم، ولولا هذا الأمل لما کان هناک ما یدعو هؤلاء الأفراد للاقلاع عن الجریمة. فالشفاعة بالنسبة للأفراد المستحقین لا تعدو کونها بارقة أمل بغیة إعادة النظر فی الحیاة الدینیة والأخلاقیة، وتختص بأولئک الذین أبقوا علی علاقتهم باللّه وأولیائه، بینما لا تشمل هذه الشفاعة أولئک الذین أدبروا عن اللّه وأفنوا أعمارهم فی مقارفة الذنوب والمعاصی. ویمکن بیان الفارق بین هذین الصنفین بالمثال التالی: أفرض أنّ جنوداً أُمروا اجوبة المسائل الشرعیة، ص: ۱۹۳ بفتح قلعة علی سفح جبل حیث تحظی هذه القلعة بأهمیّة فی حفظ بلدهم من العدوان الخارجی، وقد زودهم آمر ماهر بکل الوسائل التی یحتاجونها فی الصعود إلی الجبل وفتح القلعة فأمرهم بالصعود. فکانت هنالک فئة من الجنود استقرت عند بدایة الجبل ولم تطع الأوامر، وأخری إمتثلت الأمر وباشرت الصعود فکان فیها بعض الأفراد الضعاف الذین یتوقفون فی بعض المواقع ویصعب علیهم بمفردهم تجاوز بعض النقاط الصعبة، فما کان من هذا الآمر إلّاأن مدّ ید العون لأولئک الضعاف وأخذ بأیدیهم لیعبروا تلک النقاط الصعبة. فهذه المساعدّة والمعونة شفاعة نحو الأفراد السائرین علی الطریق، ولا مانع من أن یعلن الآمر قبل الصعود بأنّه سیقف إلی جانبهم فی المواقع الصعبة حتی یحققوا الهدف. فهذا الإعلان المسبق یبعث الأمل فی نفوسهم نحو تحقیق الهدف. فهل الشفاعة بقصد إنقاذ الأفراد حثّ علی الذنب ونوع من الظلم! القرآن والشفاعة: یمکن تقسیم الآیات الواردة فی الشفاعة إلی ثلاث طوائف: ۱- الآیات النافیة للشفاعة مثل: «وَاتَّقُوا یَوْماً لَاتَجْزِی نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَیْئاً وَلَا یُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا یُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ یُنصَرُونَ» «۱». ۲- الآیات التی تقتصر بالشفاعة علی اللّه تعالی: «مَا لَکُمْ مِنْ دُونِهِ مِن وَلِیٍّ وَلَا شَفِیعٍ ...» «۲». ۳- الآیات التی تصرح بوجود الشفعاء الذین یشفعون بإذن اللّه تعالی: «مَنْ ذَا الَّذِی یَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ...» «۳» . و «یَوْمَئِذٍ لَاتَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِیَ اجوبة المسائل الشرعیة، ص: ۱۹۴ لَهُ قَوْلًا» «۱» . فهذه الآیات تثبت وجود الشفعاء یوم القیامة الذین یشفعون بإذن اللّه للمذنبین وأنّ اللّه سیقبل شفاعتهم «۲». وهکذا یتضح موقف من یشکل أو ینفی الشفاعة علی ضوء الآیات القرآنیة الواردة فی الشفاعة. الآیات النافیة للشفاعة: یتضح الهدف من الطائفة الأُولی من الآیات التی تنفی الشفاعة من خلال الأخذ بنظر الاعتبار العقائد الخرافیة السائدة لدی الوثنیین بشأن شفاعة الأصنام؛ حیث کان یزعم أولئک أنّ الأصنام شفعاؤهم عند اللّه: «وَیَقُولُونَ هؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ» «۳». وأغلب الآیات التی تنفی أساس الشفاعة ترتبط بهذا النوع الذی کان یؤمن به عرب الجاهلیة. ومن هنا حین نقل القرآن فی الآیة ۴۳ و ۴۴ من سورة الزمر شفاعة الأوثان فندها وذکر الشفاعة للّه: «أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ ...* قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِیعاً ...». أمّا هدف سائر الآیات التی تنفی حسب الظاهر الشفاعة فهو إدانة التصورات الباطلة للیهود؛ لأنّ هؤلاء کانوا یتصورون أنّهم سینالون شفاعة أخیارهم لأنّهم کانوا أنبیاء ومهما ارتکبوا من ذنوب. وکانوا یتصورون بإمکانهم فداء ذنوبهم، علی غرار سلوکهم فی الدنیا عن طریق الرشوة والهدیة لتزویر الحقیقة وتغییر رأی القاضی. فالقرآن الکریم یفند هذا الزعم لیعلن عدم وجود الواسطة والشفاعة والفداء یوم القیامة ولیس هنالک ما ینجی الإنسان سوی عمله فیقول: « «وَاتَّقُوا یَوْماً لَاتَجْزِی نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَیْئاً وَلَا یُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا یُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ یُنصَرُونَ» «۴» . وعلیه اجوبة المسائل الشرعیة، ص: ۱۹۵ فآیات الطائفة الأولی والثانیة ناظرة لعقائد الجاهلیة والیهود بقرینة ما قبلها وما بعدها من الآیات، وهی منفصلة عن الطائفة الثالثة التی تثبت الشفاعة إجمالًا. ولیست هنالک من منافاة بین تلک الطائفة من الآیات (الطائفة الثانیة) التی تعتبر الشفاعة من اللّه تعالی والطائفة الثالثة التی تشیر إلی وجود الشفعاء الذین یشفعون بإذن اللّه تعالی لأنّ الشفاعة أساساً من اللّه وللآخرین بإذنه. اجوبة المسائل الشرعیة، ص: ۱۹۷

۱۵ هل استدل أمیر المؤمنین علیه السلام علی خلافته بحدیث الغدیر؟

سؤال: كلّنا نعلم أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أعلن يوم الغدير خلافة أمير المؤمنين عليه السلام وأوجب على جميع المسلمين طاعته، وهنا يرد هذا السؤال: إن كان الأمر كذلك فلماذا لم يستدل الإمام بهذا الحديث على إثبات إمامته؟ الجواب: خلافاً لفرض السؤال فإنّ الإمام استدل بهذا الحديث فى أكثر من موقع على خلافته، فكان يذكره كلّما سنحت الفرصة حتى رسخه فى قلوب الناس. ولم يقتصر ذلك على الإمام، بل استدل بحديث الغدير الزهراء عليها السلام والحسن والحسين عليهما السلام وكبار المسلمين مثل، عبداللَّه بن جعفر وعمار بن ياسر والأصبغ بن نباتة وقيس بن سعد وعمر بن عبدالعزيز والخليفة العباسى المأمون وحتى الخصوم كعمرو بن العاص و ... وعليه فالاستدلال بحديث الغدير كان منذ عهد الإمام عليه السلام وما تلاه. ونشير هنا إلى بعض الاستدلالات: ۱- تحدّث الإمام عليه السلام يوم الشورى (التى عينها الخليفة الثانى وكانت بالشكل الذى لا تكون الخلافة من نصيب على، حين مال عبدالرحمن بن عوف إلى عثمان، عن بطلان رأى اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۹۸ الشورى فقال: أقول ما لا يسع أحد انكاره حتى قال: ناشدتكم اللَّه هل فيكم من قال فيه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «من كنتُ مولاه فهذا على مولاه، اللّهم وال من والاه وانصر من نصره ليبلغ الشاهد الغائب» «۱» طبعاً لا يقتصر استدلال الإمام بحديث الغدير على هذه الواقعة. ۲- ذات يوم خطب الناس بالكوفة وقال: ناشدتكم اللَّه من شهد يوم الغدير وسمع مقالة النبى صلى الله عليه و آله فليشهد. فنهض ثلاثون وشهدوا أنّهم سمعوه من رسول اللَّه صلى الله عليه و آله. وهنا لابدّ من الإلتفات إلى أنّ ذلك اليوم كان بعد خمس و عشرين سنة من يوم الغدير. بالإضافة إلى أنّ بعض الصحابة لم يكونوا فى الكوفة أو توفوا قبل ذلك، ولعل البعض تحفظ عن الشهادة لبعض الأسباب وإلّا لكان العدد أكثر من ذلك. وقد ذكر المرحوم العلّامة الأمينى فى كتابه «الغدير» مصادر هذا الحديث فمن أرادها فليراجع (كتاب الغدير) «۲». ۳- اجتمع على عهد عثمان مئتان- من المهاجرين والأنصار- فى مسجد النبى وتحدثوا فى عدّة أمور، حتى بلغوا فضائل قريش وسوابق المهاجرين، وكان كل يفتخر ببعض رجالات قريش. وكان على عليه السلام يسمع ولا يتكلم. فأقبل الناس عليه وسألوه أن يتكلّم. فخطب وتحدث عن قرابته من رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ثم قال: إنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال: عهد اللَّه إلىَّ أمراً وأخشى أن يكذبنى بعض الناس، ألا إنّ اللَّه أمرنى بالابلاغ: أيّها الناس: أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثم أخذ بيدى وقال: «من كنت مولاه فهذا على مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» فهل سمعتم ذلك. قالوا: بلى. فقام سلمان وسأل رسول اللَّه: كيف ولايةُ على علينا؟ فقال صلى الله عليه و آله: «ولاؤه كولائى من كنت أولى به من نفسه فعلى اولى به من نفسه» «۳». ۴- واستدلت الزهراء عليها السلام بالحديث حين دافعت عن حقّها فى ذلك اليوم التاريخى، ثم اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۱۹۹ قالت لصحابة النبى: أنسيتم يوم الغدير حين قال النبى صلى الله عليه و آله لعلىّ: «من كنت مولاه فهذا على مولاه»؟ «۱» ۵- لما عزم الحسن بن على عليه السلام على صلح معاوية خطب الناس وقال: ان اللَّه اكرمنا أهل البيت بالاسلام و طهرنا من الرجس ثم قال: ناشدتكم اللَّه هل سمعتم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال لعلى: انت منى كهارون من موسى. كما سمع المسلمون و رأوا انه اخذ بيد على عليه السلام يوم الغدير و قال: من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه و عاد من عاداه «۲». ۶- خطب الحسين عليه السلام حين خطب الصحابة فى مكة فقال ناشدتكم اللَّه هل سمعتم ما قال النبى لعلى يوم الغدير و نصبه للإمامة وقال: ليشهد الحاضر الغائب. فقالوا: بلى. اضف الى ذلك فقد استدل بهذا الحديث على خلافة الامام طائفة من صحابة النبى صلى الله عليه و آله مثل عمار بن ياسر و زيد بن ارقم و عبداللَّه بن جعفر والاصبغ بن نباته وغيرهم «۳». اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۰۰

القسم الرابع القيامة والمعاد

۱ لِمَ يعاقب اللَّه عباده؟

سؤال: لِمَ يعذب اللَّه المذنبين فى جهنم رغم غناه المطلق وقاهريته، وما الهدف من هذا العذاب فى الآخرة؟ الجواب: أولًا: لابدّ من

الإلتفات إلى أنّ الثواب والعقاب يوم القيامة على ضوء الآيات والروايات نتيجة قطعية لأعمالنا الدنيوية وسنلمس هذه النتيجة شئنا أم أبينا. على غرار أعمال البشر فى هذا العالم التى تنطوى على سلسلة من الملازمات الضرورية، مثلًا الشخص الذى يدمن المخدرات لابدّ أن يعيش المعاناة طيلة حياته، كما لابدّ أن يعانى مدمن الخمر من بعض الأمراض التى تصيب قلبه وكبده، وهكذا فإنّ لأعمالنا الصالحة والطالحة آثاراً ولوازمَ ستنكشف فى ذلك اليوم، وعليه فإنّ جانباً مهمّاً من الثواب والعقاب وليد أعمالنا وأثر مباشر لممارساتنا وليس لنا حق الإعتراض، ولو أسّسنا حياتنا على أُسس صحيحة وسليمة فسوف لن نشهد أيّة نتيجة مريرة، وكما لا تتنافى نتائج أعمالنا فى هذا العالم مع غنى اللّه ورحمته، فإنّ نتائج أعمالنا ستكون كذلك يوم القيامة. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۰۴ ثانياً: إنّ الثواب والعقاب يوم الجزاء ضامن تطبيق التعاليم السماوية وينطوى على بعد تربوى، فاللّه تعالى بوعده ووعيده الحق دعى عباده لأفعال الخير وحذرهم من أفعال الشر. ولن يكون لهذا الوعد من فاعلية إلّاحين يكون حتمياً، ولو احتمل عدم الوقوع لفقد دوره التربوى، وسوف لن يكون هنالك من مسوغ لأن يحتمل الفرد بعض التكاليف الثقيلة ويبادر إلى الخيرات أو يمتنع عن أكثر القبائح. فالثواب والعقاب الالهى يمكنه ضمان اجراء احكام السماء و تعاليمها حين تكون وعود قطعية تأبى الخلف و دون ان يتسلل إليها أىنوع من احتمال التخلف و ان اللّه منزه عن عدم العمل بوعده. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۰۵

۲ هل القيامة قيامة جميع الأمم فى يوم واحد؟

سؤال: نعلم أنّ قروناً كثيرة مرّت على البشرية وانقرضت عدّة أقوام وأُمم، فهل من شاهد على قيام قيامتهم، أم أنّ قيامة الجميع واحدة، والخلاصة هل قيامة الأُمم كافّة فى يوم واحد، أم أنّ لكلٍ قيامته؟ الجواب: هنالك عدّة آيات تشير إلى أنّ قيامة الجميع فى يوم واحد. وإليك بعض نماذج الآيات: «إِنْ كُلُّ مَنْ فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِى الرَّحْمنِ عَبْداً* لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّاً* وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً» «۱». ويقول أيضاً: «يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمنِ وَفْداً* وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْداً» «۲» بالإضافة إلى سائر الآيات. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۰۷

۳ كيف سيكون موقف الجهال يوم القيامة؟

سؤال: كيف سيكون مصير الأشخاص الذين يعيشون فى بعض المناطق الأوربية والأمريكية ولم يسمعوا منذ ولدوا سوى عقائد آبائهم، وليس لديهم أى علم بما وراء بلدانهم؟ الجواب: طبعاً هؤلاء الأفراد سوف لا يعذرون إن كانت لهم فرصة للتحقيق عن الدين الحق وقصّروا فى استغلالها، نعم يعذرون إن لم تكن لديهم فرصة، أو سعوا قدر استطاعتهم للتعرف على الدين الحق لكنهم لم يبلغوه، أى أنّ اللّه سوف لن يعاقبهم إلّاأنّهم مكلّفون بالعمل بما علموا من حقائق، مثلًا لابدّ أن يعملوا على أساس ما يشهد به عقلهم من وجود اللّه، وقبح الظلم وحسن العدل وسوء الفساد والانحراف الأخلاقى. وعادة ما يطلق على هؤلاء الأفراد «المستضعفون» وللمفسرين عدّة أبحاث بشأن هذه الطائفة، كما وردت عدّة روايات بهذا الشأن، فمن أراد المزيد فليراجع المصادر «۱».

۴ هل يمكن أن يكون اليوم الواحد خمسين ألف سنة؟

سؤال: هل صحيح ما يقال إنّ يوم القيامة خمسين الف سنة؟ كيف يكون اليوم الواحد خمسين ألف سنة؟ الجواب: لابدّ من الإلتفات إلى أنّ الليل والنهار والسنة لا يقتصر على مقدار الزمان فى الظروف الفعلية لسكان الأرض، بل هنالك فارق كبير بالنسبة لهذا الزمان فى العوالم الأخرى مثلًا فى «عطارد» أقرب السيارات للشمس فإنّ السنة فيه بمقدار ثمان وثمانين يوماً لدينا (أى أنّ عطارد تدور حول الأرض مرّة كل ثمان و ثمانين يوماً) وفى «الزهرة» المجاورة للأرض فإنّ السنة فيها تعدل مئة وخمسة وعشرين يوماً. وفى كوكب «نبتون» ثامن سيارة لمنظومتنا الشمسية فإنّ السنة فيه تعدل سنتنا بمئتين وتسع وأربعين مرّة، وهنالك فارق كبير حتى فى قطبنا الشمالى

والجنوبى فى الليل والنهار مع سائر المناطق، وكل يوم وليل تقريباً ستة أشهر، والليل والنهار فى القمر خمسة عشر يوماً تقريباً. وعلى هذا الأساس لا يستبعد أن تكون الأوضاع فى ظل ظروف القيامة بحيث اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۱۰ يكون اليوم بمقدار خمسين ألف سنة كما فى حسابنا الزمنى، كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم. فالمستفاد من الآيات أنّ تغييراً جذرياً يصيب الكون يوم القيامة «يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ...» «۱». اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۱۱

۵ المعاد الجسمانى والروحانى «۱»

سؤال: لم يرفض الفقهاء «المعاد» و «المعراج» الروحى بينما قال بذلك بعض قدماء الفلاسفة وأقاموا عليه الأدلة والبراهين؟ الجواب: طبعاً ليس مراد من ينكر المعاد الروحى اقتصاره على الجسمانى، بل المراد المعاد الروحى والجسمى، أى ستعود الروح والجسم يوم القيامة وتذوقان الثواب والعقاب ونتائج الأعمال. وقد اعتبر هذا الأمر من المسلمات لدى الفلاسفة المتأخرين. وهنالك عدّة آيات صرحت بالمعاد الجسمى الذى ورد شرحه فى الكتب العقائدية، ومن تلك الآيات أواخر سورة يس التى بيّنت الموضوع بعدّة طرق. أمّا بشأن انكار المعراج الجسمانى فلابدّ من الإلتفات إلى أنّ هذه النظرية كانت على أساس فرضية (بطليموس) فى الأفلاك، حيث كان يعتقد بأنّ الأفلاك التسعة كطبقات البصل بعضها فوق بعض تأبى الاجتياز ويستحيل فيها الشق، ومن هنا فقد اعتقدوا باستحالة اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۱۲ عبورها بهذا البدن المادى، ومن الطبيعى أن تبطل هذه العقيدة على ضوء بطلان الفرقية المذكورة وظهور النظريات الجديدة.

۶ هل يؤجر المفكرون والمخترعون يوم القيامة؟

سؤال: هنالك جهود جبارة بذلها بعض العلماء والمفكرين، فالعالم (فاديسون) اكتشف الكهرباء و (غاليلو) التلسكوب وقضايا مهمّة فى الهيئة و (غوتمبرك) الطباعة فأسدوا خدمات جليلة للبشرية فهل يؤجرون عليها يوم القيامة، أم لا أجر لهم كونهم ليسوا مسلمين؟ الجواب: قبل أن نبيّن رأى الإسلام بهذا الخصوص، لا بأس فى أن نشير إلى بعض الآراء بهذا الشأن: ۱- يرى البعض جقّ الأجر لكل عمل يعود بالنفع على المجتمع، ولا فرق فى ذلك بين الموحد والمشرك والمسلم وغير المسلم، وأنّ اللَّه لا يفرّق بين عباده بهذا الشان. فهؤلاء يقولون: ليس للإيمان باللَّه ورسالة خاتم الأنبياء تأثير فى العمل، والعمل الصالح يعود بالنفع على المجتمع دائماً سواء صدر من مسلم أم مشرك. ۲- بالمقابل هناك طائفة أخرى تنفى أدنى أجر لهذه الأعمال وإن كانت بنيّة صافية لأنّها لا تنطلق من عقائد سليمة، وعليه فليست هنالك من قيمة لهذه الأعمال. ولكن يبدو الرأيين اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۱۴ المتقابلين غير صحيحين، وهنالك الرأى الثالث المنطقى وهو: لكل عمل صالح بعدان: ۱- بعد شخصى ونفعى يعود لنفس الإنسان. ۲- بعد اجتماعى يعود نفعه على عامة الناس. فإن كان هدف المخترعين الذين بذلوا ويبذلون جبارة للتوصل إلى اختراع معين، هو الحصول على شهرة بين الناس أو الحصول على عائدات مادية إزاء الاختراع، فقد حصلوا على ما يرومون وحققوا هدفهم، ولا داعى لأن ينتظروا أجراً يوم القيامة، ذلك لأنّهم بهذا الهدف لم ينشدوا رضى اللَّه وخدمة المجتمع، بل كانت الشهرة والمادة هما الدافع من وراء ذلك الجهد وقد ظفروا بهما- أمّا إن كان الدافع فى تلك الأنشطة العلمية والجهود الفكرية والخدمات الاجتماعية هو القيام ببعض المنجزات فى سبيل رفاهية عباد اللَّه والقضاء على الصعوبات التى تواجههم فى حياتهم والتخفيف من أعبائهم، فمما لا شك فيه أنّ لهم أجرهم وثوابهم يوم القيامة، والعدل الإلهى يقتضى إثابتهم. وقد ورد فى الأخبار أنّ حاتم الطائى سيؤجر يوم القيامة رغم أنّه كان وثنياً ولم يؤمن بالأديان السماوية، كونه يرعى المحروم ويغيث المحتاج ويُقرء الضيف. «۱» طبعاً هنالك عدّة طرق تمكننا من الوقوف على نيّة المخترع لنعلم هل كان الدافع الذى يقف وراء أنشطته مادياً وشخصياً أم معنوياً وإنسانياً. فالعلماء الذين إذا اقترح عليهم العمل فى مصانع إنتاج الأسلحة الجرثومية والإبادة الجماعية مقابل دخل أكثر من دخلهم، إن عملوا فى صناعة الأدوية، فلبوا الاقتراح، فإنّ مثل

هؤلاء الأفراد سوف لن يؤجروا عند اللّه مهما اكتشفوا واخترعوا، ذلك لأنّهم يفتقرون إلى الدوافع الربّانية والإنسانية وأمّا إن ضحّوا بتلك الإغراءات المالية وواصلوا أعمالهم خدمة للمجتمع فسوف يؤجرون ويثابون.

القسم الخامس فلسفة الأحكام والمسائل الفقهية

۱ هل يحق لنا السؤال عن فلسفة الأحكام؟

إن كان لنا مثل هذا الحق فهل له حدود؟ يعتبر بحث فلسفة الأحكام والمقررات الشرعية الإسلامية من أهم الأبحاث المطروحة اليوم وتشكل القسم الأعظم من أسئلتنا وأجوبتنا. فكل شخص يسأل نفسه لماذا أصلى وأحج بيت اللّه، لماذا الربا محرم فى الإسلام، ما فلسفة حرمة لحم الخنزير، لماذا يجيز الإسلام تعدد الزوجات، وما علة استعمال الأوانى الذهبية والفضية و ...؟ لقد طرح هذا البحث سابقاً فى مجلة المدرسة الإسلامية وكتب بعض الأعلام عدّة أبحاث رائعة ومفيدة بهذا الشأن، ويعتقد البعض أنّه لا ينبغى البحث عن فلسفة الأحكام، بينما يرى البعض الآخر العكس وأنّ هنالك ضرورة فى إدراك فلسفة الأحكام. وأمّا رأينا إن لم تستغربوا صحة الرأيين السابقين. فإننا نمتلك ولا نمتلك هذا الحق، أى أنّ استدلال كل طائفة صحيح ومقبول فى قسم معين لا بصورة كلية. توضيح ذلك: تشير مطالعة المتون الإسلامية- القرآن وأحاديث النبى الأكرم صلى الله عليه و آله والأئمّة الأطهار عليهم السلام- وكلمات الصحابة إلى أنّ بحث فلسفة الأحكام كان سائداً بينهم فى عصرهم، ولابدّ أن يكون كذلك. ذلك لأنّهم يرون الأسلوب القرآنى أسلوباً منطقياً واستدلالياً فيعطون لأنفسهم الحق فى التحرى عن فلسفة الأحكام. والإسلام يتحدث عن اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۱۸ اللّه الوجود المطلق واللامتناهى من حيث العلم والقدرة والغنى عن كل ما سواه، وكل أفعاله تستند إلى حكمة معينة- علمنا أم لم نعلم- ولا يشوبها أى عبث ولغو ولهو وقد بعث الأنبياء لدعوة الناس إلى الحق والعدل- ولعل هذه الصورة التى يقدمها الإسلام تشجعنا على تحرى فلسفة الأحكام والأسرار الدخيلة فى مصيرنا وسعادتنا. وبالطبع فإننا نخطىء أن تصورنا اقتصار أسلوب القرآن على الاستدلال فى «أصول الدين» والقضايا العقائدية دون «فروع الدين» و «المسائل العلمية» فنحن نرى القرآن يردف تشريع الصوم بالقول: «لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ» «۱» فيذكر فلسفة الصوم على أنّها التقوى من الذنب والتى تحصل فى ظل تربية النفس من تلك الرياضة الإسلامية. ويقول بشأن المسافرين المعفوين من الصوم: «يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ» «۲» فيذكر فلسفة ذلك بنفى العسر والحرج والمشقة. ويقول بشأن تحريم القمار والخمر: «إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِى الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنْ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ» «۳» . ويقول بشأن التعفف عن النظر إلى الأجنبية: «ذَلِكَ أزكى لَهُم» «۴». وبشأن عدم دخول المشركين إلى المسجد الحرام: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ...» «۵». وبشأن الفيىء (بعض أموال بيت المال) وعلة اختصاصه ببيت المال وصرفه فى موارد عامة: «كَىْ لَايَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ» «۶» . وهكذا سائر الأمور التى لا مجال لذكرها. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۱۹ كما تشير السنّة إلى أنّ النبى الأكرم صلى الله عليه و آله والأئمّة الأطهار عليهم السلام كانوا يخوضون فى ذكر أسرار وفلسفة الأحكام بادىء الأمر أو بعد السؤال، وكتاب علل الشرائع للمحدث المرحوم الصدوق- كما يبدو من اسمه- مجموعة من هذه الأخبار. وعليه فحين ترى القرآن والأئمّة الذين يخوضون فى أكثر من موقع فى بيان فلسفة الأحكام، فإنّ ذلك دليلًا على منحنا الحق فى الخوض فى هذه الأمور. ونخلص إلى هنا فى حقنا بالسؤال عن أسرار الأحكام على ضوء القرآن والسنّة وروايات الأئمّة عليهم السلام. ولو تصور أن ذكر فلسفة الأحكام يمكن أن تحد من أهميتها وصرامتها وعموميتها فإنّ ذلك التصور خاطىء، بل بالعكس فإنّ إشباع تطلعات عقل الإنسان وروحه تجعل تلك الأحكام جزءاً من ضروریاته واحتياجاته لا بصفتها أحكام تعبدية جافّة. ومن جانب آخر فإننا نعلم بأنّ معلوماتنا محدودة مهما تقادم الزمان، فنحن لا نعلم كل شىء، ولو كنّا نعلم لتوقفت قافلة العلم، وعدم علمنا هذا هو الذى يدفع العلماء لحث الجهود بغية كشف المجهولات. ونعلم أنّ

الأحكام الشرعية تصدر من علم اللّه اللامتناهى، من ذلك المبدأ المنفتح على حقائق الوجود كافّة وسيان عنده الماضى والمستقبل والغيب والشهود. وعلى هذا الأساس فهل يسعنا توقع إدراك فلسفة الأحكام كافّة؟ فإن كان الأمر كذلك فما الحاجة إلى تشريع الأنبياء للأحكام؟ وهل نعلم بكل أسرار الوجود والقوانين التى تحكمه؟ والأحكام التشريعية ليست منفصلة عن حقائق الخلق والتكوين، فمعلوماتنا فى المجالين محدودة. ونستنتج من البحثين: إنّنا نستطيع إدراك الفلسفة الإلهيّة فى كل عصر وزمان على ضوء ما لدينا من معلومات. ومفهوم ذلك إننا لا نستطيع تعليق طاعة الأحكام الشرعية على إدراك فلسفتها، ذلك لأننا نكون قد زعمنا عدم محدودية علمنا وجعلناه بمصاف علم اللّه وهذا ما لا ينسجم مع أىّ منطق. وزبدة الكلام: البحث عن فلسفة الأحكام شىء وطاعة هذه الأحكام شىء آخر ولا- يتوقف الثانى على الأول أبداً. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۲۰ وإننا نبحث فى فلسفة الأحكام لنقف على آثارها وأهميتها، لا لنرى هل ينبغى العمل بها أم لا؟ فالقضية أشبه بالطبيب الحاذق الذى يقدم بعض الايضاحات لأدوية معينة، لنقبل عليها ونتفاعل معها، لأنّ استعمالها مشروط بذلك التوضيح، ذلك لأنّه ينبغى أن نكون أطباء أيضاً. جدير بالذكر أنّ المراد من دراسة أسرار الأحكام أن تحوك بعض الخيالات لتفسير بعض الأحكام الشرعية وتزعم أنّ هذه هى فلسفة وأسرار هذا الحكم أو ذاك، كأن نعتبر الصلاة مثلًا رياضة بدنية وحركات سويدية والأذان وسيلة لتقوية الحبال الصوتية والصوم كنظام لإضعاف البدن والحج وسيلة لمساعدة البدو والركوع والسجود رياضة للعمود الفقرى! كلا- ليس المراد ذلك؛ ذلك لأنّ هذه الخزعبلات المضحكة لا تشدّ أحداً إلى الأحكام، بل تدفع لفقدانها قيمتها واعتبارها. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۲۱

۲ كيف نتعامل مع فلسفة الأحكام

يفيد منطق القرآن الكريم ونهج الأئمّة الأطهار عليهم السلام أنّ لكل مسلم الحق فى تحرى أسرار وفلسفة الأحكام. إلّاأنّ هذا لا يعنى أن نعرض بعض الأمور التى تساور أذهاننا كفلسفة لحكم دون أيّة ضابطة ودليل. ذلك أنّ الكلام العبثى فى الواقع عبارة جافة ومقيتة. إذن كيف نتعامل مع هذه القضية؟ ما يجدر ذكره أنّ إمتثال الأحكام الشرعية كما نعلم لا يضيف شيئاً إلى جلال اللّه وكبريائه ولا تحط المعصية من عظمته، كما قال أمير المؤمنين على عليه السلام: «لا تضرّه معصية من عصاه ولا تنفعه طاعة من اطاعه». فهو مطلق الوجود، وكل ما لدينا منه، وهو الغنى عن كل شىء، وكل ما يأتينا من خزائنه وبمقدار معين كما يراه: «وَإِنْ مِنْ شَىْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ» «۱» فهل يسع القطرة أن تضيف شيئاً إلى البحر، أم هل يسع مرآة صغيرة إفاضة الضوء على الشمس. وعليه فإن كانت هنالك من فائدة فى هذه الأحكام فهى لنا. ومن جانب آخر لسنا جسماً فقط ليكون كل حكم من اللّه لتربية أجسامنا وصحتنا، ولا روحاً فقط ليكون الهدف المعنوى هو فلسفة تشريعها. بل نحن جسم وروح والأحكام تتعامل معهما. وعليه فنحن نتحرّى الفوائد الطبية أو الموانع الاقتصادية والمادية فى اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۲۲ الأحكام الشرعية ونرى حتى الصلاة والدعاء والمناجاة كوسيلة لتسكين آلامنا الروحية واضطراباتنا ومعاناتنا ومن يبحث عن شىء آخر فهو على خطأ، كما يخطىء ذلك الذى يتصور حتى استحباب لبس الثياب النظيفة وتقليم الأظافر وإزالة آثار العنكبوت وعدم الشرب من الآنية المكسورة يتعلق بالآثار الأخلاقية والمعنوية والروحية، بل بعض الأحكام الإسلامية شرعت لأمور أخلاقية وتكامل روحى، وبعضها الآخر لنظم الحياة المادية، وأغلبها تنطوى على البعدين. نعود الآن لأصل الموضوع لنرى الضابطة التى ينبغى اعتمادها فى التعامل مع فلسفة الأحكام. فالأحكام الشرعية تقسم إلى أربعة: ۱- الأحكام الواضحة فلسفتها للجميع منذ بعثة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله وكلّ أدرك بعضها حسب علمه، وقد تقننت بغية إمتثالها من قبل الجميع، كحرمة الكذب والخيانة والتهمة وقتل النفس والسرقة والظلم والاحتكار والتطفيف فى الميزان والأمر بالعدالة والصدق وإعانة الضعفاء والعمل والمثابرة وبر الوالدين والإحسان إلى الجار وما شابه ذلك، والتى يدرك فلسفتها كل فرد بغض النظر عن معلوماته. ۲- الأحكام التى لم تتضح فلسفتها للناس- وأحياناً لعلمائهم آنذاك- وقد أشير إليها فى القرآن أو كلمات الأئمّة، مثلًا ربّما لا يعلم الناس آنذاك الفلسفة الثلاثية الأبعاد (الأخلاقية والاجتماعية والصحية) للصوم لذلك أشار

القرآن إلى تأثيره التربوى والأخلاقى فقال: «لَعَلّكُم تَتَّقُونَ» «۱» وأشار الإمام الصادق عليه السلام إلى تأثيره الاجتماعى فقال: «ليستوى به الفقير والغنى» وقال النبى صلى الله عليه و آله: «صوموا تصحوا». ونظير هذه الأحكام كثير ممّا وردت الإشارة إلى أسرارها فى متون الآيات وأحاديث النبى صلى الله عليه و آله والأئمّة عليهم السلام، وكما أشرنا سابقاً هناك كتاب بهذا الخصوص «علل الشرائع» لأحد كبار المحدثين «الشيخ الصدوق»، كما ذكر المحدث المعروف «الشيخ الحر العاملى» فى بداية كل فصل من كتابه وسائل الشيعة فلسفة بعض الأحكام. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۲۳ ولكن لابدّ من الإلتفات إلى أنّ ذكر هذه الأسرار والمنافع استناداً لتناسبه مع المستوى الفكرى للناس ليس بمعنى انحصار تلك الفلسفة فى ما ذكر ولا يمنع من استثارة الفكر لإدراك المزيد. ۳- الأحكام التى تنكشف فلسفتها بفعل التقدم والرقى البشرى ومرور الزمان ويسعنا اعتبارها دليلًا على عظمة وأصالة هذه الأحكام السماوية. مثلًا الآثار البدنية والروحية والاجتماعية الضارة للمشروبات الكحولية إلى جانب تأثيرها على الجينات والجنين والتى كشفها اليوم العلم، أو الاختلالات العصبية والوفيات الناشئة من جلسات القمار، أو الأخطار التى يفرزها التقسيم غير العادل للثروات، والاضرار الاقتصادية والأخلاقية للربا والتى أحصتها المصادر ذات الصلة. ولكن لابدّ من الإلتفات إلى موضوع فى غاية الأهميّة وهو أنّ أى إفراط وأحكام خاطئة وضيق أفق ورؤى كاذبة والأهم من كل ذلك تحميل القوانين المسلمة بعض الفرضيات غير المبرهنة علمياً، إنّما يبعدنا فراسخ عن الحقيقة ويقودنا إلى متاهات كبيرة بدل تعريفنا بأسرار وفلسفة الأحكام. وعليه فما لم يبرهن العلم على ويكسبه صيغة حسية لا ينبغى جعله أساساً فى توضيح فلسفة الأحكام. ۴- الطائفة الأخيرة من الأحكام التى لم تكن واضحة منذ بدايتها، كما لم ترد إشارة إليها فى المتون الإسلامية ولم تظفر بأسرارها لحدّ الآن ونماذج ذلك عدد ركعات الصلاة وحد نصاب موارد الزكاة التسعة وبعض مناسك الحج. هل ستميط الأجيال القادمة اللثام عنها بتقدم العلم والمعرفة؟ هل كلف آخر أوصياء النبى الأكرم صلى الله عليه و آله بتوضيحها وتفسيرها؟ هل لهذه الأحكام بعد انضباطى؟ هل هى أسرار لا يسع حتى العلم فى المستقبل سبر أغوارها؟ ... ليس لدينا أى علم بذلك؛ وكل ما نعلمه أنّ الطائفة الرابعة من الأحكام وعلى غرار سابقاتها واجبة التنفيذ ... فهى تستند جميعاً إلى مصدر واحد. وأدلة إمتثالها ثابتة بالأدلة القطعية. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۲۵

۳ لماذا نقلد فى المسائل الدينية؟

يفتح الإنسان عينه على هذا العالم ولا يعلم شيئاً، فيضطر إلى الاستفادة من تجارب الآخرين ويغترف من علومهم ومعارفهم، ذلك لأنّه بحاجة إلى هذا العلم فى مسيرته الشائكة فى هذه الحياة. ولعل الحياة تقوم على أساس محورين؛ العلم والعمل، والعمل يحتاج إلى العلم، وعليه فالخطوة الأولى تبدأ بالعلم. وهنا يستمد الإنسان من إحدى غرائزه والتى تكشف له طريق الكمال والسعادة وهى غريزة «الاقتباس» و «التقليد» يتعلم من والديه شيئاً فشيئاً النطق وآداب الجلوس والقيام ويطوى كل يوم مرحلة من مراحل الحياة وينفتح كل يوم على العلوم والمعارف وأفكار الآخرين ليتعرف على موجودات هذا العالم ويقف على وظائفه. لكن لابدّ من الإلتفات إلى أنّ التقليد لأفكار الآخرين بصورة كلية ليس صحيحاً، بل للتقليد أقسام هى: ۱- تقليد الجاهل للجاهل من الواضح أنّ هذا التقليد بغض النظر عن عدم إيصاله الإنسان إلى السعادة، فهو يهوى به إلى البؤس والشقاء، والمؤسف أنّ فى مجتمعنا العديد من الأفراد الذين يقلدون سائر الأُمم فى أخلاقها بصورة عمياء. فهم يقلدونهم فى إرتداء الثياب وتناول الأطعمة وتسمية الأولاد اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۲۶ و ... بالإضافة إلى اتباعهم فى إشاعة الفواحش والمنكرات وأسلوب التفكير والإعتقاد تحت مسميات شتى. وقد وردت عدّة آيات فى ذمّ هذا النوع من التقليد، ومنها ما قاله الوثنيون لرسلهم: «إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ» «۱». ۲- تقليد العالم للجاهل وواضح أنّ هذا القسم أسوأ من سابقه وأخطر، ذلك لأنّ العالم يجب أن ينطلق من علمه ليعمل بوظيفته وهذا أقبح تقليد بأن يتخلى العالم عن علمه ويتبع الآخرين. ۳- تقليد العالم للعالم طبعاً لا ينبغى أن يقلد العالم آخر مثله فى العلم وينبغى عليه العمل بعلمه، ومن هنا ذكر الفقهاء، إن بلغ العالم الاجتهاد يعمل باجتهاده. ولذلك يكتبون فى إجازات الاجتهاد «يحرم عليه التقليد»

ولابـدّ أن يعمل حسب رأيه، وبالطبع هذا لا يتنافى مع اسـتشارته لسائر العلماء فى المسائل العلميهٔ، بل المراد اسـتقلاليهٔ العالم فى القرار وعدم الاستسـلام لآراء الآخرين دون تريث. ۴- تقليـد الجاهل للعالم هذا القسم من التقليد ما تقتضـيه الفطرهٔ والعقل والمنطق السـليم، وعلى أسـاس هـذا العقـل والمنطـق تـذهب إلى المعمـار فى بنـاء عمـارهٔ وإلى الخيـاط لخياطـهٔ الملابس وإلى الطـبيب حيـن المرض. والخلاصهٔ فإنّ العقل والمنطق والفطرهٔ يرشدنا إلى كل مختص بمجاله. وهذا هو المنطق الذى يدعونا للرجوع إلى الفقهاء لتقليدهم فى الأحكام الشـرعيهٔ. الفقهاء الـذين أجهدوا أنفسـهم لسـنوات فى كسب العلوم والمعارف حتى نالوا مرتبهٔ الاجتهاد، أى أصـبحت لديهم القدرهٔ على اسـتنباط الأحكام الشرعيهٔ وتزويد الناس بها. وهم الفقهاء المنصبون من قبل أئمّهٔ الدين بغيهٔ ضمان سعادهٔ الناس وفلاحهم. اجوبهٔ المسائل الشرعيهٔ، ص: ۲۲۷ جدير بالذكر، للعلوم البشريهٔ عدّهٔ فروع، وربّما ينبغ العالم فى فروع دون أن يعلم شيئاً عن فرع آخر، وعليه لابدّ له من الرجوع فى ذلك الفرع إلى المختص به. فالطبيب أو المهندس البارع فى تخصصه، ربّما يرد منطقهٔ ويبحث عن زقاق فلا يجـده فينبغى أن يسأل الآخرين ليـدلّوه عليه. أو مثلًا، يمرض شـخص مختص بعلم الفلك، فلابـدّ له من مراجعهٔ الطبيب، كما يجب عليه إمتثال أوامر الطبيب دون نقاش. ويتضح مما سبق عليهٔ ضـرورهٔ تبعيهٔ الناس للمجتهد، ذلك لأنّ المجتهد متخصص فى عدّهٔ علوم أساسـيهٔ فى الاجتهاد والفقاههٔ من قبيل الصـرف والنحو واللغهٔ والكلام والمنطق والتفسـير والرجال والدرايهٔ والحديث والأصول والفقه. ولعلك ترى كتاباً صـغيراً يسـمى (الرسالهٔ العمليهٔ) ولا تدرى أنّ هذه الرسالهٔ حصـيلهٔ عمر الفقيه وقد سطرها بجهود جبارهٔ ومعاناهٔ شاقهٔ ووضـعها تحت تصـرف الأمّهٔ. فالاجتهاد ليس قضـيهٔ سـهلهٔ، بل الاجتهاد يعنى المعرفهٔ بالأحكام السماويهٔ كافّهٔ ذات التأثير المباشر على الحياهٔ الفرديهٔ والاجتماعيهٔ. الشـيخ مرتضـى الأنصارى رحمه الله الذى يعتبر أحد العظماء ومن مفاخر مراجع مدرسهٔ الإسلاميهٔ يقول فى كتـابه (الرسائـل) بشـأن الاجتهـاد: «رزقنـا اللَّه الاجتهـاد الـذى هو أشـدّ من طول الجهاد». يـذكر أنّ تقليـد المجتهـد يختص بالفروع لا الأـصول، بعبارهٔ أخرى لابـدّ أن يقف المكلّف بنفسه على دليل معرفـهٔ اللَّه سـبحانه والنبى الأكرم صـلى الله عليه و آله لأنّها من أصول الـدين، ولكن بعـد قبول هـذه الأصول على أساس الـدليل والمنطق يأتى دور الفروع وعليه أن يرجع إلى المتخصصـين بالعلوم الدينيهٔ، حيث يتعذر عليه إدراك المصادر الدينيهٔ كالقرآن والحديث وسائر المصادر. كما أنّ تقليد المجتهدين لا يصح فى المسائل الإسلاميهٔ القطعيـهٔ كوجوب الصـلاهٔ والحـج والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وحرمهٔ الكذب والخيانهٔ وشـرب الخمر والقمار، ذلك لأنّها من الأمور المعلومـهٔ للجميع ولا تحتاج إلى تقليـد، وعليه فالتقليـد يقتصـر على الأحكام الفرعيـهٔ غير القطعيهٔ. اجوبهٔ المسائل الشـرعيهٔ، ص: ۲۲۹

۴ لماذا نعبد اللَّه ما فلسفهٔ الصلاهٔ والصوم والحج؟

سؤال: لم نعبـد اللَّه ونعلم أنّ اللَّه ليس بحاجـهٔ إلى عبادهٔ أحد؟ إنّه غنى عن الجميع، والجميع محتاج إليه، ولو احتاج لعبادتنا فإنّ ذلك لا ينسـجم مع مقام اللَّه. الجواب: يمكن الاجابـهٔ عن هـذا السؤال بصورتين «إجماليهٔ» و «مفصـلهٔ». الاجابهٔ المجملهٔ: إن كان الهدف من عبادتنا تلبيـهٔ حاجـهٔ للَّهوإيصال نفع إليه، يرد السؤال المـذكور فى أنّ اللَّه وجود مطلق ولا متناهٍ ومنزّه من كل نقص وحاجهٔ، فما حاجته لعبادتنا؛ ولكن إن كان الهدف من عبادته تكاملنا، فسيكون أمره بالعبادهٔ لطف ورحمهٔ وإرشاد إلى الكمال والسعادهٔ. الاجابهٔ المفصلهٔ: لكـل عبـادهٔ وعمـل يهـدف رضـى اللَّه سلسـلهٔ من الآثار الفرديـهٔ والاجتماعيـهٔ القيمـهٔ، وهى فى الواقع أعظم وسـيلهٔ تربويـهٔ وأخلاقيـهٔ، للأسـباب التاليهٔ: أولًا: إنّ العبادهٔ تثير لدى الإنسان الشـعور بالشـكر والتقدير، فشـكره للنعم التى زوده بها اجوبهٔ المسائل الشـرعيهٔ، ص: ۲۳۰ اللَّه دليل جـدارته بما أفيض عليه من ألطاف. ثانياً: إنّ العبادهٔ والخضوع للَّهأساس تكامل الإنسان الروحى، فأى تكامل أسـمى من أن ترتبط روحنا بالكمال المطلق «اللَّه» وتسـتلهم قـدرته اللامتناهيـهٔ فى القيام بوظائف العبوديـهٔ فتؤهله لمناجاهٔ اللَّه. وتظهر هـذه المزايا التى أشـرنا إليهـا باختصـار فى العبادات كافّهٔ التى تتمّ بصورهٔ صـحيحهٔ، مع العلم أنّ لكل عبادهٔ كالصـلاهٔ والصوم والحـج و ... آثارها وميزاتها الخاصهٔ بها، ونشـير هنا إلى بعض أسرار هذه العبادات على نحو الاختصار لتتضح لنا فائدهٔ هذه العبادات والتى لا يحتاجها اللَّه.

أسرار الصلاة: ۱- الصلاة توجب ذكر اللّه إنّ ذكر اللّه أفضل وسيلة للسيطرة على الغرائز الجامحة والحيلولة دون روح الطغيان. فالمصلى يذكر اللّه دائماً؛ اللّه العليم بكل صغيرة وكبيرة، والعليم بكل ما يساور أذهاننا ويخطر على قلوبنا، وإنّ أقل ما يفعله هذا الذكر اعادة الاعتدال إلى اهوائنا وتطلعاتنا، كما أنّ الغفلة عن ذكر اللّه وتناسى ثوابه وعقابه توجب ظلمة العقل والتفكير. فالإنسان الغافل لا يفكر فى عاقبة أفعاله ولا يعرف من حدود لارضاء غرائزه الجامحة ورغباته، والصلاة هى التى تذكره خمس مرّات يومياً باللّه وتدفع عنه ظلمة الغفلة. حقاً إنّ ذكر اللّه أفضل السبل للسيطرة على غرائز الإنسان المتجذرة فى أعماقه فيعيده إلى رشده وصوابه، ومن هنا يعرض القرآن لأحد أسرار ذكر اللّه فيقول: «أَقِمِ الصَّلاةَ لِتِذكرِى» «۱». ۲- الابتعاد عن المعصية إنّ المصلى مضطر لاجتناب أغلب المعاصى بغية صحّة صلاته وقبولها، فمثلًا أحد شرائط الصلاة إباحة الوسائل المستعملة فى الصلاة من قبيل ماء الوضوء والغسل والثياب اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۳۱ والمكان، وهذا يدفعه لمجانبة الحرام والجد فى كسب الحلال، ذلك لأنّه من الصعف أن يتقيد الإنسان بحلّية ما له صلة بالصلاة ويهمل الأمور الأخرى وهذا ما أشارت له الآية الشريفة «إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحشاءِ وَالمُنكَرِ» «۱» . سيما إن إلتفت المصلى إلى أنّ شرط قبول الصلاة التزام المصلى بأداء الزكاة والحقوق الشرعية واجتناب الغيبة والكبر والحسد وشرب الخمر، واستحضار النيّة والتوجه إلى اللّه. ومن هنا شبّه رسول اللّه صلى الله عليه و آله الصلاة بعين الماء التى يغتسل منها الإنسان كل يوم خمس مرّات فهل يبقى عليه شىء من الدرن. وهكذا من يصلى كل يوم خمس مرّات يطهر قلبه من الرجس والدرن. ۳- النظافة والصحة يعمد المصلى إلى الوضوء عدّة مرّات كل يوم وأحياناً الغسل، وعليه سيكون بالتالى فرداً نظيفاً بعيداً عن كل وساخة. وعليه فالصلاة عامل مساعد للأمور الصحية. ۴- الانضباط والدقّة لكل صلاة وقت معين، وعلى المصلى أن يأتى بصلاته فى تلك الأوقات، ومن هنا فإنّ هذه الشعيرة الإسلامية تساعد على الإنضباط والدقّة فى الوقت. خاصة أنّ المصلى ينبغى أن ينهض لصلاة الصبح قبل طلوع الشمس، فهو يستهل يومه بنشاط فضلًا عن الهواء الطلق والنقى الذى يستنشقه. ولا تقتصر الآثار التربوية الفردية للصلاة فى ما ذكر، وليس ذلك إلّا غيض من فيض أسرار هذه العبادة العظيمة. الأسرار الاجتماعية للصلاة: إنّ الصلاة فى الأوقات المعيّنة نموذج لوحدة الأمّة الإسلامية ولحمتها؛ ذلك لأنّ المسلمين كافّة يستقبلون القبلة فى أوقات معينة وبآداب خاصة، وهذا بدوره يكشف عن اتحاد الأمّة بفضل تلك الشعيرة. وعلل هذه الوحدة تتضح أكثر فى صلاة الجماعة وانتظام اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۳۲ صفوفها، ولسنا بحاجة لتوضيح أهميّة هذا الاتحاد المعنوى. ورغم عدم إقتصار الأسرار والفوائد الاجتماعية والتربوية للصلاة على ما ذكر، إلّاأنّ ذلك يكفى لبيان عظمة أسرار هذه الفريضة. قبسات من أسرار الصوم: الصوم أحد الفرائض الإسلامية، ولعل أحد آثاره التربوية أنّه يضع حدّاً «لحكومة العادة والشهوة» على الإنسان وينقذه من عبوديته للرغبات النفسانية. فأخطر وأسوأ الحكومات حكومة الرغبة السيئة وعبودية النفس، ولعل أبسط رغبة- كإدمان التدخين- يسىء إلى عزّة النفس فضلًا عن سائر الرغبات. والإنسان الحر من لا تحكمه آية عادة شاذة، ويقمع بإرادته كل نوع من هذه العادات، ومثل هذه الحرية والإرادة بحاجة إلى صمود ومقاومة إنّما يفرزها الصوم. وبغض النظر عن ذلك فإنّ الصوم إحياء للعواطف الإنسانية. فالفرد الثرى الذى يقضى عامه على الموائد الغناء ولا يعلم بالجائع الذى يعيش سنته جائعاً كالصائم، إنّما يتذكر هذا الفرد حين صومه وجوعه طيلة النهار فيدرك وضعه، وبالتالى تتفعل عواطفه الإنسانية فيفكر فى ردم هذه الهوة وإعانة الفقراء والضعفاء. حقاً أنّ صوم شهر رمضان أحد ملامح المساواة والاتحاد؛ ذلك لأنّ جميع الطبقات- بما فيها الغنى والفقير- تولى ظهرها لرغباتها وغرائزها طيلة هذا الشهر الشريف. فلسفة الحج: العبادة العظيمة الأخرى «الحج»، والحج شعيرة اجتماعية تؤدّى فى أيّام معينة وأماكن معينة من السنة. ويغض النظر عن ترسيخ هذه العبادة لعلاقة العبد بربّه، فإنّها يمكن أن تعود على المجتمع الإسلامى بمختلف المنافع، وذلك لأنّه: أولًا: إنّ هذه العبادة تبدأ بتجرّد تام من خلال ارتداء قطعتين متواضعتين من القماش اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۳۳ لتفعل مساواة العباد عند اللّه، ولعل هذا أعظم حلم إنسانى فى أن يأتى اليوم الذى تزول فيه عوامل التفاضل الكاذبة من قبيل العِرق واللون واللغة والثروة ويعيش فيه الجميع حالة المساواة أمام اللّه سبحانه. فالحج يسوق المؤمنين للتخلى عن الإمتيازات الاجتماعية ويشعرهم أنّها ليست وسيلة للتفاضل. ثانياً: إنّ ذلك الاجتماع العظيم الذى يعدّ أعضائه الممثلين الحقيقيين

للشعوب الإسلامية يعتبر مؤتمراً سنوياً لمسلمى العالم والذى يعقد كل سنة فى هذه الأرض المباركة. والإسلام ليس سلسلة من القوانين الأخلاقية والسنن التربوية التى لا تنشد سوى إصلاح روح الآخرين لينأى بنفسه بعيداً عن المؤتمرات والتجمعات السنوية والاجتماعات الاسبوعية واليومية للأحزاب السياسة ودعوته لتشكيل هذا المؤتمر السنوى فى هذه الأرض الطيبة. وبالطبع فإنّ هذا المؤتمر سينضوى تحته الأحزاب والحركات السياسة العالمية، غاية الأمر أنّ الزعماء السياسيين التفتوا أخيراً إلى أهميّة هذه الموضوعات، بينما سبقهم الإسلام أربعة عشر قرناً حين خطط لمثل هذه المؤتمرات. والمفكرون الذين يحضرون الاجتماع المذكور يسعهم الاطلاع على آخر التطورات التى يشهدها العالم الإسلامى، فيتدارسوا كيفية تحسين أوضاع المسلمين وتطهير البلاد الاسلامية من العناصر المناهضة للحرية والاستقلال و بالتالى رقيهم فى المجالات كافّة. وليت شعرى أى اجتماع أفضل من أن يكون أعظم حلقة وصل لمسلمى العالم كافّة بحيث يطلع زعماء الدين على أوضاع الأمّة الإسلامية لمعالجة مشاكلها ومواجهة المؤامرات التى تحاك ضدّها. لا شك فى أنّ هذا المؤتمر يمكنه أن يلعب دوراً فى خدمة الوضع الاقتصادى والثقافى للمسلمين؛ ذلك لأنّ المفكرين والمختصين يمكنهم- بعد أداء فريضة الحج- الجلوس فى موقع هادىء لتبادل الآراء وطرح الخطط اللازمة بشأن الأمور الاقتصادية والثقافية الإسلامية. إنّ مؤتمر الحج كان وما زال ملهماً لأغلب الحركات التحررية والنهضات اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۳۴ العظيمة التى قام بها أبناء الإسلام؛ ذلك لأنّ نطفة أغلب الثورات الإسلامية التى هدفت إلى الاطاحة بحكومات الظلم إنّما عُقدت فى رحم أيّام الحج. كانت هذه قبسات من أسرار الحج، وما زال الوقت مبكراً لأن يقف العالم على أسرار الحج وأهميّته كما قال أحد الأعلام. ونستنتج ممّا سبق أنّ لكل الشعائر الإسلامية أسراراً تعود مباشرة على الإنسان الذى يأتى بها أو المجتمع الذى يعيش فيه. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۳۵

۵ لماذا يجب تقليد الأعلم؟

سؤال: ورد فى الرسائل العملية وجوب تقليد الأعلم، فما منشأ هذا الحكم؟ الجواب: موضوع تقليد الأعلم من المسائل المعروفة بين مشهور الفقهاء وقد ذكروا له عدّة أدلة، إليك بعض نماذجها الواضحة. فتقليد الجاهل للعالم ناشىء من السيرة العقلائية العالمية، بمعنى رجوع الأفراد فى الأُمم كافّة إلى الآخرين من أصحاب الاختصاص فى المسائل التى لا يحيطون بها علماً؛ مثلًا، الأفراد الذين ليس لديهم علم بالأمور الطبية إن مرضوا كان عليهم الرجوع إلى الطبيب، والأفراد الذين لا يجيدون فن العمارة إنّما يرجعون إلى المهندس المعمارى فى بناء العمارات. ومن الطبيعى إن برز خلاف فى وجهات النظر بين متخصصين، كأن يعتقد طبيب بعلاج معين لمرض ما ويعتقد طبيب آخر بعلاج آخر لنفس المرض، فمن المعلوم أنّ المريض إنّما يتبع الطبيب الذى يتمتع بالمزيد من المعلومات الطبية وعمق التجربة مقارنة بغيره، وبالتالى الأعلم من غيره. وهذا أسلوب منطقى اتفقت عليه الشعوب كافّة. وهذا أحد أدلة لزوم تقليد الأعلم، كما اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۳۶ ذكر الفقهاء أدلة أخرى لا مجال لذكرها.

۶ لما نورد أذكار الصلاة بالعربية؟

سؤال: لماذا يجب أن نؤدّى الصلاة بالعربية والحال لكل أمّة لغتها التى تستطيع بها مناجاة اللّه، إلّا يتنافى هذا الأمر مع عالمية الإسلام؟ الجواب: يبدو أنّ أداء الصلاة بالعربية أحد ملامح عالمية الإسلام، ذلك لأنّ الجماعة التى تنتظم فى صف واحد وتعمل فى جبهة واحدة لابدّ لها من لغة موحدة تتفاهم بها؛ أى لابدّ أن تكون لهم «لغة عامة» بالإضافة إلى لغتهم الأُم، ولا تتمّ وحدة الجماعة دون ذلك. ويرى بعض المفكّرين أنّ البشرية لن تذوق السعادة ما لم ينتظم العالم كبلد، ولتفعيل هذا الموضوع طرحت بعض المشاريع ومنها اقتراح لغة عالمية- والخلاصة فإنّ أداء الصلاة بلغة واحدة من قبل جميع المسلمين هو رمز وحدة المسلمين ولحمتهم، وبالنظر إلى أنّ اللغة العربية باعتراف المعنيين أوسع وأشمل اللغات فإنّ المسلمين كافّة يمكنهم اعتبارها اللغة العالمية والوسيلة المتحدة للتفاهم، أضف إلى ذلك فإنّ أداء الصلاة بصيغة معينة يصونها من التحريف ومن حشوها بالخرافات والمطالب الجوفاء، ومن هنا

يتوجب على كل مسلم اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۳۸ التعرف على هذه اللغة قدر استطاعته، ليعلم ماذا يناجى ربّه. وخلاصة الكلام كما تعتبر مسألة التوحيد إحدى أسس الأصول الدينية فإنّ الصلاة باتّجاه قبلة واحدة وفى أوقات معينة وبلغة موحدة، نموذج لهذه الوحدة. ولو تأملنا مؤتمر الحج وتلك الجماعة الكبيرة التى تصرخ مع بعضها رغم اختلاف السنتها وألوانها «اللّه أكبر» لوقفنا على عمق هذه الشعيرة، ولك أن تتصور مدى الفوضى والهرج والمرج لو نطق بها كل فرد حسب لغته. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۳۹

۷ لماذا يجب علينا استقبال القبلة عند الصلاة؟

سؤال: لماذا يجب علينا استقبال القبلة عند الصلاة بينما نحن نعلم أنّ اللّه فى كل مكان؟ الجواب: استقبال القبلة فى الصلاة لا يعنى أنّ اللّه يوجد فى مكان معين، فقد صرّح بذلك القرآن ضمن الآيات المتعلقة بالقبلة «وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ» «۱» والآية «قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ» «۲» ؛ بل كون الإنسان جسماً ومن خصائصه الاتجاه نحو جهة معينة عند الصلاة، مع ذلك سعى الإسلام لتوظيف هذه المسألة لصالح هذه العبادة (الصلاة)، فنحن نعلم أنّ الكعبة أقدم مركز توحيدى، والبيت الذى بناه إبراهيم الخليل عليه السلام بطل التوحيد وشدّت إليه الأنبياء والأولياء كافّة، فالتوجه إلى هذا المركز التوحيدى توجه للّه- صحيح أنّه ليس للّهمكان، إلّاأنّ من يقف أمام هذا المركز فهو أقرب إلى اللّه من عدّة جهات وكأنّه يرى نفسه حاضرة عنده. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۴۰ إضافة إلى ذلك فإنّ توجه مسلمى العالم كافّة إلى هذا المكان المقدّس خمس مرّات يومياً يرسخ فى نفوسهم روح الوحدة والإلفة ويربط الشرق الإسلامى بغربه ويبرز عظمة المسلمين، وبالتالى يعكس جوهر التعاليم الإسلامية بصيغة وحدة هدف وعقيدة.

۸ لِمَ نصلى الصلوات الخمس فى ثلاثة أوقات؟

سؤال: لم نجمع بين الظهرين والعشائين، بينما لكل صلاة وقت معين، وكان أولياء الدين يأتون بكل صلاة فى وقتها، أى فى خمسة أوقات؟ الجواب: لا ريب ولا شك فى أنّ إقامة الصلوة فى خمسة أوقات وأداء كل صلاة فى وقت الفضيلة كانت منهج النبى الأكرم صلى الله عليه و آله والأئمّة الأطهار عليهم السلام وعامة المسلمين الأوائل، فكانوا غالباً ما يصلون فى خمسة أوقات. لا نقاش فى هذا الأمر، ولكن هل «التفريق» بين الصلوات- كما يقول بذلك أغلب علماء العامة- واجب أم مستحب كسائر المستحبات التى يكون فيها الإنسان مخيّراً بين الإتيان بها أو تركها ويعتقد علماء الشيعة وعلى ضوء الأحاديث الواردة بشأن فعل النبى صلى الله عليه و آله وروايات الأئمّة عليهم السلام وتبعاً لظواهر القرآن أنّ التفريق بين الصلوات مستحب وكانوا يوصون الآخرين بالتفريق بين الصلوات فإنّ أداء كل صلاة فى وقت فضيلتها مستحب وهو أفضل، مع ذلك يمكن ترك هذا المستحب، وهذا هو معنى المستحب. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۴۲ وبالطبع فإنّ الجمع بين الصلوات لا يعنى أننا نصلى الواحدة فى وقت الأخرى مثلًا لو جمعنا العشائين، فهذا لا يعنى أننا أدّينا العشاء فى غير وقتها، بل أدّينا الصلاتين فى وقتهما المشترك؛ ذلك لأنّ وقت الصلاتين منذ أول الغروب إلى منتصف الليل (سوى أنّ أول الغروب بمقدار ثلاث ركعات يختص بصلاة المغرب، ومن الأخير بمقدار أربع ركعات يختص بصلاة العشاء وسائر الأوقات مشتركة بين الصلاتين) فإن صلّينا العشاء مع المغرب- أى أول الليل- أو أخرنا المغرب إلى آخر الليل مع العشاء فإنّنا نكون بذلك قد صلّينا المغرب والعشاء فى وقتهما، ولكن يستحب للمصلى أن يأتى بصلاة المغرب أول الليل وصلاة العشاء بعد زوال الشفق، وإن لم يلتزم بهذا الشرط فقد ترك مستحبّاً. لماذا يجوز الجمع بين الصلاتين؟ دليلنا على جواز الجمع بين الصلوات، الروايات الواردة عن الإمام الصادق عليه السلام «۱». ولكن ينبغى الإلتفات إلى أنّ نقل هذه الأحاديث والروايات لا يقتصر على محدثى الشيعة، بل روى محدّثو العامة أحاديث جواز الجمع- حتى بدون عذر- عن النبى صلى الله عليه و آله واسندوا أكثر من عشر روايات إلى ابن عباس ومعاذ بن جبل وعبداللّه بن مسعود وعبداللّه بن عمر، نكتفى هنا بالإشارة إلى بعضها: ۱- روى احمد بن حنبل عن ابن عباس «صلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله الظهر والعصر جميعا والمغرب والعشاء جميعاً من غير خوف ولا سفر» «۲». ۲- كما روى عن طريق جابر

بن زيد قال: «صلّيتُ مع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله الظهر والعصر والمغرب والعشاء جميعاً» كما روى هذا الحديث عن ابن عباس بعبارات مختلفة. ۳- وروى فى كتابه عن عبداللَّه الشقيق أنّ ابن عباس خطب الناس حتى ظهرت النجوم فنهض رجل من بنى تميم وقال: الصلاة الصلاة. فقال له ابن عباس: أنا أعرف بسنّة اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۴۳ النبى صلى الله عليه و آله، فقد رأيت النبى صلى الله عليه و آله وقد جمع الظهرين والعشائين. قال الراوى: أصابنى الشك فسألت أبا هريرة فصدق ما رواه ابن عباس «۱». ۴- أفرد المحدّث المعروف مسلم بن الحجاج القشرى المتوفى سنة ۲۶۱ ه فى صحيحه باباً أسماه «جمع الصلاة فى الحضر» وذكر أربع روايات أسند ثلاثاً منها لابن عباس وأخرى لمعاذ بن جبل. «۲» ومضمون هذه الروايات مشابه لما أوردنا، بالإضافة إلى هذه النقطة أنّ الراوى سأل عن علة الجمع، فأجاب «أراد أن لا يحرج أمّته». وورد هذا التعليل فى روايات الشيعة وكذلك ما روى عن الإمام الصادق عليه السلام فى هذا الباب «۳». ۵- لا يقتصر رواة هذه المسألة (الجمع بين الصلاتين) على ابن عباس ومعاذ بن جبل، بل روى «الطبرانى» عن «عبداللَّه بن مسعود» أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله جمع الظهرين والعشائين حتى لا يحرج أمّته «۴»: كما روى ذلك عن عبداللَّه بن عمر وقال: صلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله جمعاً من غير سفر حتى لا يحرج أمّته «۵». هذه طائفة من الأحاديث التى رواها العامة فى مصادرهم والتى تفيد أنّ التفريق بين الصلوات أمر مستحب، ولو شعرنا بأنّ مراعاة هذا الاستحباب يقدح بأصل أداء الفريضة سنتركه بأمر رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ونجمع بينهما. ولعل الأوضاع السائدة اليوم فى أغلب المناطق تشير إلى حرج من جرّاء الالتزام بهذا الاستحباب، وربّما يؤدّى ذلك إلى استثقال البعض للصلاة. واستناداً إلى سنّة النبى صلى الله عليه و آله يمكن مراعاة «الأهم» وترك مسألة التفريق، وهذا ما عليه الآن أغلب فقهاء العامة، إلّاأنّهم يتحفظون عن ابداء آرائهم مراعاة لبعض الأمور «۶». اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۴۵

۹ كيف تصدّ الصلاةُ الإنسانَ عن الذنب؟

سؤال: أحد آثار الصلاة على ضوء القرآن أنّها تصدّ الإنسان عن المعاصى حيث قال تعالى: «وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ» «۱» مع ذلك يلاحظ أغلب المصلين الذين يقارفون الفحشاء ولم تؤثر الصلاة على أقوالهم وأفعالهم، فكيف تفسرون الآية؟ الجواب: لابدّ من الإلتفات إلى أنّ العامل الأساسى الذى يصدّ الإنسان عن الفاحشة والمنكر هو الإيمان وذكر اللَّه. فالإنسان الغافل لا يفكر فى عاقبة أفعاله ولا يرى من حدود لارضاء رغباته وغرائزه. وبالعكس فإنّ الذكر يحول دون طغياننا وانتهاكنا للحدود، فاللَّه يعلم بكل صغيرة وكبيرة تصدر منّا. فذكر اللَّه هو العامل الطبيعى والفاعل الذى يسيطر على غرائزنا وتطلعاتنا اللامشروعة، وهكذا ذكر مقام أولياء اللَّه والعقاب والثواب. فالقرآن الكريم يصف أولياء اللَّه اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۴۶ بالقول: «رِجَالٌ لَّاتُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ» «۱» وبالطبع فإنّ الغفلة عن اللَّه توجب ظلمة العقل والوجدان. قال أمير المؤمنين عليه السلام بشأن الذكر: «إنّ اللَّه جعل الذكر جلاءً للقلوب، تسمع به بعد الوقرة وتبصر به بعد العشوة وتنقاد به بعد المعاندة» «۲» . فالإمام عليه السلام يعتبر الغفلة نوعاً من صمم القلوب وعمادها والتى توجب معاداة الإنسان للحق وتمرده عليه، بينما يرى الذكر نور البصيرة ووعى القلوب الذى يكبح الغريزة ويصدها عن الطغيان. وبناءً على هذا فإنّ الغافل عن اللَّه وثوابه وعقابه كالأعمى والأصم الذى يركب الفرس، فمما لا شك فيه أنّ الفرس سيرمى به وسط الوديان والمتاهات، أمّا أصحاب الذكر فهم يرون نتائج أعمالهم فيستمعون الحق ويجانبون الباطل. وقد أوصى الإمام الباقر عليه السلام أحد أصحابه فقال: «ذكر اللَّه على كل حال وهو أن يذكر اللَّه عند المعصية يهم بها فيحول ذكر اللَّه بينه وبين المعصية» «۳». وقال الأصبغ بن نباتة قال أمير المؤمنين على عليه السلام: «أذكر اللَّه فى موضعين، عند المصيبة وعند المعصية فإنّ ذكر اللَّه يحول بين الإنسان وبين المعصية». طبعا ذكر اللَّه على درجات، فأحياناً يبلغ الذكر مرحلة يحصن الإنسان من كل معصية فيصبح ارتكاب الذنب محالًا عادياً، ويتصف هؤلاء الأفراد بقلوب واعية ونفوس طيبة وبصائر عالية وآذان صاغية وأرواح طائعة، ولعل أغلب الناس يحرزون متوسط الذكر، فمثلًا هنالك بعض الأفراد الذين يرتكبون بعض المعاصى لكنهم لا

يسفكون دماً أو يأكلون مال يتيم أو ينتهكون عرض أحد؛ لأنهم يعلمون عذاب اللَّه الأليم على هذه المعاصى فلديهم مقاومة لمثل هذه المعاصى. وأحياناً يكون ذكر اللَّه على درجة من الضعف بحيث لا يحجز اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۴۷ الإنسان عن كثير من المعاصى. حيث يكون الذكر مجرّد أرضية لترك الذنب، إلّاأنّها سرعان ما تزول بفعل بعض العوامل القوية. الصلاة وسيلة الذكر: إنّ أحد أسرار الصلاة أنّها تذكر الإنسان باللَّه، وهذا ما صرّح به القرآن الكريم حين قال «وأَقِمْ الصَّلاةَ لِتذِكرِى» «۱» . طبعا لما كانت الصلاة عبادة ولابدّ من الإتيان بها بقصد القربة فهى توجب ذكر اللَّه. وبغض النظر عن ذلك فإنّ المصلى يتلفظ بأذكار كلها تدعو إلى ذكر اللَّه؛ فمثلًا نقرأ سورة الفاتحة فى الصلاة التى تتضمن حمد اللَّه وبيان صفاته وأفعاله، ومن ثم طلبات عباده، وسائر أذكار الصلاة على هذا المنوال. والأثر الذى تتركه الصلاة فى أرواحنا وقلوبنا هو تقوية روح الإيمان والتوجه إلى اللَّه، ولهذا التوجه بالطبع درجات وهو لا- يعدو أكثر من أرضية لدى الأفراد الذين لا يتورعون عن الذنوب وليس علّة تامة. بعبارة أخرى مراد القرآن من قوله: «إِنَّ الصّلاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشاءِ وَالمُنكَرِ» «۲» ليس عصمة جميع المصلين من الفاحشة، بل المراد أنّ الصلاة توجب ذكر اللَّه والتوجه إلى مقام الربوبية والأثر الطبيعى لمثل هذا التوجه حث الإنسان على الطاعة وترك المعصية، ولكن ربّما كانت هنالك بعض العوامل التى تقضى على ذلك الأثر بسبب ضعف التوجه إلى اللَّه. «۳» والخلاصة لو كانت الصلاة صلاة حقيقية لحالت دون الفواحش والمنكرات، وكلّما كانت الصلاة أكمل كان تأثيرها أعظم. وناهيك عما سبق فإنّ الصلاة تصد المصلّى عملياً عن أغلب الذنوب، كما تخلق لديه الأرضية لترك الذنوب، لأنّ المصلّى مضطر لاجتناب معظم الذنوب بغية قبول صلاته، فأحد اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۴۸ شرائط الصلاة مثلًا اباحة ماء الوضوء ولباس المصلى ومكان الصلاة، وهذا ما يؤدّى به بالتدريج لتفادى الذنب وترك الكسب الحرام، فقلّما نجد من يتقيد بحلية الصلاة ومقارفة حرمة ما. والشاهد على ذلك أنّ تاركى الصلاة إنّما يتركون سائر الفرائض كالصوم والحج والزكاة ولا- يميزون بين الحلال والحرام والطاهر والنجس «۱». والخلاصة فإنّ للصلاة أثر تربوى- سواء كان قوياً أم ضعيفاً- فى المصلين، والذى يعتمد على كيفية الالتزام بالصلاة والمحافظة على أدائها وروحها. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۴۹

۱۰ ما علّية صلاة الآيات؟

سؤال: لماذا تجب صلاة الآيات عند الخسوف والكسوف والزلزلة والصاعقة وشدّة الرياح والأصوات السماوية الرهيبة؟ الجواب: هنالك أمران لتشريع صلاة الآيات حين الكسوف والخسوف: ۱- يرى الإنسان أنّ للشمس والقمر والمنظومة الشمسية نظاماً عجيباً، فالشمس تبعث بأشعتها إلى الاحياء كافّة لتنمو وتتكامل، والقمر يضىء لنا الليل ويحصى لنا الزمان بحركته المنتظمة؛ الأمر الذى جعل الإنسان البسيط يعتقد بحكومة هذين الكوكبين لعالم النباتات والجمادات والكائنات الحية، ومن هنا ظهرت عبادة الشمس والقمر، حيث اعتقد البعض أنّ الحاكمية المطلقة للشمس والقمر بدل حاكمية اللَّه. وقد وجه بطل التوحيد إبراهيم الخليل عليه السلام أشدّ صفعة لعقيدة هؤلاء من خلال إثباته لانقياد هذه الكرات للقوانين التى تحكم الوجود «۱» واستدل على كونها مخلوقة من خلال افولها (غروبها) وخفائها عن الأنظار، والكسوف والخسوف علامة أخرى على مخلوقيتها اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۵۰ ومحدوديتها إزاء الخالق، وتفيد أنّها لا تملك أيّة استقلالية فى ارسالها لأشعتها، وبالتالى هنالك من يسيرها ويسيطر عليها. وعليه فالكسوف والخسوف أفضل دليل على مخلوقية ومحدودية الشمس والقمر إزاء الإرادة المطلقة التى تحكم عالم الوجود. وحين نواجه ظاهرة الخسوف والكسوف- الظاهرة التى ترشدنا إلى الإذعان بانقياد هذه الأجرام إلى الإرادة القاهرة، كما ترسخ لدينا الاعتراف بالخالق المهيمن على كل شىء- يثار لدينا حسن الإيمان فنصلّى صلاة الآيات ونسجد للَّهونعرب عن خضوعنا الباطنى. على غرار بطل التوحيد إبراهيم عليه السلام الذى خلص إلى ذات النتيجة بعد افول تلك الأجرام والتى نخلص إليها فى الكسوف والخسوف فقال: «إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّموَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ» «۱». ۲- أضف إلى ذلك حين تستجد بعض الأوضاع المخيفة والمفاجئة فى السماء، فإنّ بعض الناس يلجأون إلى سلسلة من الأمور الخرافية ويرون أنّ هذه الأعمال مؤثرة فى رفع هذه الحادثة، والإسلام بتشريعه

لصلاة الآيات حين الخسوف والكسوف إنّما يصد الناس عن هذه الإنحرافات ويلفت انتباههم إلى المصدر الذى تستند إليه الحوادث والظواهر كافّة، بالإضافة إلى أنّها تمنح الإنسان الأمن والهدوء والسكينة إزاء هذه الحوادث.

۱۱ لِمَ يجب على المرأة ستر بدنها عند الصلاة؟

سؤال: لِمَ يجب على المرأة ستر بدنها عند الصلاة واللَّه عالم بالسر والعلن لكل موجود؟ الجواب: لا شك فى أنّ اللَّه عالم بكل شىء والغيب والشهود لديه سيان، إلّاأنّ الإنسان يرى نفسه حين العبادة بين يدى اللَّه ويناجيه ويتضرع إليه، وعليه لابدّ أن يرتدى أحسن الثياب ومن الواضح أنّ الثوب التام الكامل- أى ثوب العفة والحشمة يعكس جوهرها- هو أنسب لباس عند العبادة. حتى بالنسبة للرجال فإنّ الصلاة بالبدن العريان لا تبطل ولكنّها تنأى به بعيداً عن الخضوع والتواضع للَّهبل الأفضل بالإضافة إلى ستر الواجب أن يصلى بلباس يفيد الاحترام والخضوع، فمثلًا ليس من الصواب الصلاة بالملابس لداخلية ومن الأفضل أن يرتدى بعض الثياب رغم كفايتها.

۱۲ ما علّة نجاسة المشروبات الكحولية؟

سؤال: لم اعتبر الفقهاء فى رسائلهم، المشروبات الكحولية نجسة، والحال أنّ الكحول مضاد للتعفن ويقضى على المكروبات، فما حكمة كونه نجسة؟ الجواب: إنّ ما حكم الإسلام بنجاسته ينطوى على عدّة عوامل: الطائفة الأولى الأشياء النجسة ذاتاً ومصدر العديد من الأمراض- كالبول والدم و ...- فأوجب الإسلام اجتنابها. الطائفة الثانية: الأشياء غير النجسة ظاهرياً، لكنّها نجسة معنوياً، فعدّها الإسلام غير طاهرة- كالكفّار- فربّما يكون الكافر طاهر ونظيف ظاهرياً، ولكن كما قيل فى جواب السؤال السابع عشر حيث له عقائد منحرفة فهو ملوث روحياً ولا يطهر هذا التلوث مهما تنظف ظاهرياً- وقد حكم الإسلام بنجاسته لحفظ عقائد المسلمين ليحول دون الاختلاط به فيحافظون على طهارتهم الروحية، ولو لم يحكم بنجاسته واذن بالارتباطات كافّة به اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۵۴ لتأثر العديد من الأفراد الضعاف بأفكاره وعقائده «۱». أضف إلى ذلك فإنّ الاختلاط التام به يدعو إلى تغلغله فى المجتمعات الإسلامية وتتسع الخطط الاستعمارية، أمّا الاختلاط المحدود فلم ينه عنه الإسلام واذن بالانفتاح التجارى والعلمى على هذه الطائفة. الطائفة الثالثة: الموضوعات التى لا تتضمن ما سبق لكنها أساس سلسلة من المفاسد الاجتماعية والفردية كالمشروبات الكحولية صحيح أنّ الكحول مضاد للتعفن، إلّاأنّ شرب هذا الكحول يؤدّى إلى العديد من الاختلالات. ولذلك حكم الإسلام بنجاسته ليحول بالتالى دون استعماله من قبل الناس. فالإنسان المسلم إن عَلِم بنجاسة شىء سعى إلى الابتعاد عنه، ومن الواضح أنّ لهذا الأمر تأثير عميق فى عدم التلوث بالمشروبات الكحولية، وهذا بحدّ ذاته حرب شعواء على المشروبات الكحولية «۲». اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۵۵

۱۳ ما الفارق بين العرق والبول؟

سؤال: «البول» و «عرق البدن» كلاهما مواد زائدة، فَلِمَ كان أحدهما نجساً والآخر طاهراً، مع العلم أنّ تركيبهما الكيميائى متشابه؟ الجواب: لابدّ من الإلتفات إلى أنّ البول والعرق متشابهان من حيث التركيب الكيميائى، إلّاأنّهما يختلفان فى عدّة أمور، وهذا الاختلاف يمكن أن يؤدّى إلى اختلافهما فى الحكم، لأنّه كما سنرى أنّ البول يحتوى على بعض المواد السامة التى لا وجود لها فى العرق. توضيح ذلك: يتركب البول من المواد الآتية: ۱- اليوريا ۲- حامض اليوريك ۳- الأورات ۴- الأوروبيلين ۵- حامض الهايبوريك ۶- الاروكرم والأوروبيلين وكلاهما من ألوان البول ۷- المواد المعدنية و «الكلوكوز» فى مرض السكر. ويتركب العرق من المواد الآتية: ۱- اليوريا ۲- حامض اليوريك ۳- الأورات ۴- المواد المعدنية؛ وعليه فالمواد اللونية اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۵۶ وحامض الهايبوريك وكلاهما سام ودرجة سمية فيهما عالية نسبياً ليسا موجودين فى التركيب الكيميائى للعرق، والعرق يخرج

من مسامات الجلد والتبخر مباشرة وهذا التبخر يمنع نشوء المكروبات على سطح البدن، بينما تبقى مختلف المكروبات فى البول. ومن هنا يمكن فهم حكم الشريعة بنجاسة البول وطهارة العرق. لأنّه؛ أولًا: يقتصر وجود المواد السامة على البول، ولا وجود لها فى العرق. ثانياً: مقدار اليوريا فى البول أضعاف ما هو عليه فى العرق والذى يحتوى على مواد سامة. ثالثاً: حيث يتبخر العرق فلا يترك مجالًا للمكروبات على الجسم. رابعاً: تركيبات البول تعدل عشرة أضعاف تركيبات العرق غلظة، ونعلم أنّ هذا الفارق يمكن أن يجعل أحدهما ضارّاً والآخر خالياً من الضرر. وبغض النظر عمّا سبق فإنّ اجتناب العرق أمر فى غاية الصعوبة ويوجب العديد من المعاناة، وليس البول كذلك.

۱۴ ما فلسفة غسل الميت وغسل مسّ الأموات؟

سؤال: ما فلسفة غسل الأموات وغسل مسّ الأموات؟ لم أمر الشرع بغسل من يموت، ومن لمسه قبل الغسل وجب عليه الغسل؟ الجوب: كما ذكرنا كراراً أنّ فلسفة بعض الأحكام الإسلامية ليست واضحة لنا، ولكن بمرور الزمان وتكامل العقل البشرى وتقدم العلوم فإنّ فلسفة العديد من الأحكام ستتضح، وربّما تتضح مستقبلًا فلسفة البعض منها. وأمّا بشأن السؤال فيمكن القول: إنّ أحد أسرار غسل مسّ الميت هو احترام الميت لدى جميع الشعوب على غرار احترامه حين كان على قيد الحياة. ورغم أنّ الإسلام أبطل العديد من الممارسات الإنحرافية للأقوام السابقة إزاء الموتى، لكنّه يعتقد بضرورة رعاية حرمة الأموات بما فيها غسلهم وتكفينهم ودفنهم؛ وعلى هذا الضوء فإنّ موضوع غسل الميت وسائر التشريفات نوع من رعاية حرمة الموتى. بعبارة أخرى إنّ الإسلام ينظر بإكبار إلى الإنسان ويسعى لرفع قيمته بمختلف الوسائل، اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۵۸ بحيث لم يتخلّ عنه حتى بعد حياته، فشرع بعض القوانين التى لا تسمح لأحد بإنتهاك حرمة الميت المسلم، بل لا تسمح بالتجاوز على قبره. أضف إلى ذلك حيث يرى الإسلام أنّ الموت ليس نهاية الحياة، بل نافذة على عالم آخر والنزول فى عالم آخر والنزول جوار الرحمة الإلهيّة، فقد أمر بنظافة وطهارة الموتى وارتدائهم الثياب المتواضعة الطاهرة وتوسد التراب، ليكون هذا العمل رمز بقاء الحياة الحقيقية وامتدادها «هذه فلسفة غسل الميت». غسل مسّ الميت: لابد من ذكر بعض الامور قبل ان نخوض فى أصل الجواب: ۱- عادة ما تثار عواطف وأحاسيس قرابة الميت اثر فقدهم لفرد من أفراد الاسرة العزيز عليهم و عليه فلا يسعهم رؤية قطع ارتباطهم به فجأة. وهؤلاء يفعل أنسهم وحيهم له يرومون حتى بعد الموت تقبيله واخذه باحضانهم الحنونة. ۲- و هذه النقطة واضحة ايضاً فى ان بدن الافراد الميتين يكون ملوثا بانواع المكروبات اثر المرض أو التسمم و فقدان القوة الدفاعية، والاقتراب منه يستيطن عدة مخاطر من الناحية الصحية. ۳- لم ينبر الاسلام قط لمواجهة و منافحة احاسيس الانسان و عواطفه، او يتجاهل نزعاته العطبيعية، بل يوجد تلك العواطف والاحاسيس ضمن مسيرة خاصة. وبالالتفات الى هذه الامور يمكن الاستنتاج: ان الاسلام و بغية الحيلولة دون تلوث كافة الافراد- سيما المتبقين للميت- بانواع المكروبات والاصابة بمختلف الامراض التى يمكن ان تنتقل عدواها إليه من الجسد الخالى من الروح و فى نفس الوقت بتحريم مس الميت لم يتصد لعواطفهم واحاسيسهم المستثارة فقد اورد مشكلة قانونية؛ فقد أمر بالغسل كل من يمس بدن الميت او يتصل بجسده بأى نحو من الانحاء. لاشك ان هذا القانون رغم حده من تماس الاحياء بالاموات و حال دون اصابتهم بانواع الامراض المحتملة، لكنه لم يتجاهل اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۵۹ عواطفهم واحاسيسهم، وكلما تعطل هذا المشكل القانونى المؤثر فى عدم حدوث التماس فان «غسل مس الميت» سيكون أفضل وأبسط اسلوب غسل لدفع المكروبات المحتملة. قد يشكل البعض ان غسل مس الميت ان اوجد مشكلة قانونية و بغية الحيلولة دون الاصابة بالامراض، فلم لايوجب مس بدن الميت بعد غسله والاتصال به الغسل؟ و يبدو ان هذا الاشكال سطحياً و الرد على ذلك واضح، لأن غسل الميت بالماء المخلوط بالسدر والماء المخلوط بالكافور و بالماء الخالص عنصر مؤثر ضد التعفن وتنظيف الميت و على الاقل سوف تنعدم الاخطار المحتملة قبل الغسل لمدة معينة. و من البديهى فى هذه الحالة انهم سيدفنون الميت بعد مدة من الاتيان بالمراسم المذكورة و سينتفى احتمال بروز الميكروبات الجديدة و انتقالها للانسان. و ما قيل فى

غسل الاموات و غسل مس الميت جانب من فلسفة هذه الاحكام؛ و لعل هنالك العديد من النقاط الخفية علينا لحد الان. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۶۱

۱۵ لماذا يحرم أبناء الزنا من بعض المناصب؟

سؤال: إننا نعلم بأنّ الأبناء الذين يولدون من علاقات غير شرعية ليس لهم أى ذنب، مع ذلك ذمّت بعض الروايات الإسلامية هؤلاء وحجرت عليهم بعض المناصب الاجتماعية المهمّة كالقضاء وإمامة الجماعة والفتوى و ... فكيف يتعرض شخص لكل هذا الذم وهو لم يرتكب أى ذنب ولمجرّد كون والديه آثمين! أضف إلى ذلك فإنّ البعض يقول إنّ هؤلاء الأفراد لا يدخلون الجنّة ولا ينعمون بالسعادة، فهل هذا الكلام صحيح، رغم إننا نعلم بأنّ اللّه حكيم ولا يحاسب أحداً بذنب آخر «ولا تزر وازرة وزر أخرى ؟ الجواب: نورد بعض النقاط المهمّة فى البحث قبل الخوض فى الجواب: ۱- لما كانت الروابط اللامشروعة تقضى على العلاقات الحقوقية والقضايا المالية للأب والابن، فإنّ جذور النسبة والعواطف العائلية التى تشكل أساس المجتمع تصاب بالشلل؛ فالزانية لا تعلم بالرجل الذى عقد نطفته فى رحمها، وبالتالى لا يعرف الولد من هو أبوه، اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۶۲ ناهيك عن عشرات المفاسد الأخلاقية والنفسية والاجتماعية والتربوية والعائلية والمالية والعاطفية التى يفرزها الزنا، كل ذلك يدعو الأنبياء والمشرعين بما فيهم المشرع البشرى إلى تحريم الأعمال المنافية للعفة وخطر العلاقات الجنسية الشاذة. ۲- هنالك عدّة ضوابط لتنظيم عملية الزواج الشرعى، وعليه فالعلاقات اللامشروعة تعدّ «مخالفة للقانون» و «انتهاكاً لحرمة إنسانية الإنسان» ولذلك يشعر الآثمون بنوع من الاضطراب والقلق الذى يفرزه العمل الفاحش، ولو لم يحيه هذا الشعور لاندفع نحو التمرد العلنى وتجاوز القوانين. ۳- إنّ الأبناء وعلى ضوء قانون الوراثة يرثون القضايا النقية والفكرية لآبائهم وأُمهاتهم، فكما يرثون خصائصهم البدنية من قبيل لون العين والشعر والوجه، فإنّهم يرثون خصائصهم الشخصية مثل: الغضب والحدة والمرونة والطغيان وما إلى ذلك. والواقع أنّ الوراثة أساس مستقبل الأفراد والصانعة لجانب مهم من شخصيتهم وإعدادهم لمصيرهم. والذى نخلص إليه ممّا سبق أنّ أبناء الزنا غالباً ما يرثون روح الطغيان والتمرد على القانون والعصيان عن آبائهم وأمهاتهم ليكونوا أكثر استعداداً من غيرهم لمقارفة الجريمة وممارسة العدوان، ولذلك فإنّ سوء التعليم الفردى أو الوسط الشاذ يكفى لإثارة روح العدوان لديهم وتجسيدها على أرض الواقع. أمّا بشأن حرمانهم من المناصب الاجتماعية، فإضافة إلى ما قيل سابقاً بخصوص وضعهم الروحى، فالأمر لا يعدو كونه احتياطاً منطقياً بهدف حفظ المصالح الاجتماعية، إلى جانب كون الإسلام يولى أهمية فائقة للتصدى لهذه المناصب الحساسة، ومن هنا لا يسمح بشغل هذه المناصب لمن يتصف ببعض نقاط الضعف والسوابق السيئة. ولكن لا ينبغى أن يفهم ممّا سبق أنّ مجرّد كون الفرد ابن زنا فذلك يعنى حرمانه من السعادة وتعذر انفتاحه على التربية الإسلامية الصحيحة. فابن الزنا كسائر الأفراد يمتلك الإرادة فى اختيار الطريق، كما يستطيع تنمية جانب الفضيلة فى نفسه فيكتب اسمه فى اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۶۳ الجنان. فهذا الفرد ليس شرير ومنحرف بالفطرة ولا يسعه الرفع من شأنه، بل كما قال الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ ولد الزنا يستعمل إن عمل خيراً جزى به وإن عمل شراً جُزى به». وعليه فالذم الذى ساقه الإسلام بشأن ابن الزنا إنّما يهدف إلى تحذيره من صعوبة وخطورة موقفه ويرشده إلى ضرورة الإلتفات إلى نفسه وبذل الجهود لتجاوز الأزمة والوصول إلى شاطىء الأمان والسعادة، لا أنّ عوامل التعليم والتربية لا تجدى معه نفعاً وأنّه لا محالة من أهل النار. بعبارة أخرى إنّ الأولاد الذين ينحدرون من علاقات شاذة على غرار الأطفال الذين يولدون من آباء مرضى مصابين بالسل وما شابه ذلك، فمثل هؤلاء الأطفال أكثر عرضة للاصابة بهذه الأمراض، وعليه لابدّ لهم من المبادرة إلى علاجها، وأبناء الزنا يمتلكون عادة شيئاً من الاستعداد لانتهاك حرمة القانون ومقارفة الذنب والمعصية فإن غاب التعليم الصحيح والتربية وضعفت لديهم الإرادة والعزم سقطوا فى وادى الجريمة. وعلى هذا فإنّ المصلحة العامة تقتضى اتخاذ بعض الإجراءات الإحترازية بما فيها التحفظ عن منحهم بعض المناصب الخطيرة. وأمّا ما تصوره البعض من أنّ أبناء الزنا سوف لن يذوقوا طعم السعادة فهو تصور خاطىء، بل هم كسائر

الأفراد باستطاعتهم أن يكونوا سعداء أو أشقياء. والجدير بالذكر أنّ أبناء الزنا إن صمدوا إزاء الذنوب والمعاصى كان لهم مقام أرفع من نظرائهم، ذلك لأنّهم جهدوا أنفسهم أكثر وأشمل. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۶۵

۱۶ أضرار لحم الخنزير

سؤال: ما هى الأضرار الكامنة فى لحكم الخنزير ليحرِّمه الإسلام، مع العلم أنّ المسيحيين يحبّونه حبّاً جمّاً؟ الجواب: ثبت اليوم أنّ لحم الخنزير أخطر ممّا كان يتصور، فهنالك الأخطار الأخلاقية (عن طريق الهورمونات) والأخطار الصحيّة. ونشير هنا إلى أحد أضراره الصحيّة حيث يؤدّى إلى الإصابة بالمرض المعروف وما نذكره هنا ترجمة لمقالة مصدر علمى أمريكى ارسلت لنا من قبل الدكتور محمد غفرانى. *** مرض خطيرنا شيء من لحم الخنزير: فقد تسلّمت المنظمات الطبية عدّة تقارير من الأطباء بشأن المرض المعروف «تريشينوزيس» والخطير فهو مرض طفيلى ناشيء من دودة صغيرة شعرية الشكل. وهذه اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۶۶ الدودة تقضى دورة حياتها فى جسد الخنزير وسائر الحيوانات، ولعل كل من تناول لحم خنزير مصاب كان عرضة للإصابة بهذا المرض، إلّاأنّ حساسية الإنسان بهذا الخصوص كبيرة- على سبيل المثال، لو تناول الدب لحم الخنزير فإنّه يصاب بالمرض بسرعة، كما يصاب به من تناول لحم الدب- وعادة ما يصاب الإنسان. إن تناول لحم خنزير ليس بناضج (ولا يسع أحد الزعم أنّه تناول لحم خنزير مطبوخ بصورة تامة) ذلك لأنّه يلاحظ الآن بعض الإصابات إثر تناول اللحم المطبوخ بالوسائل الحديثة وقد إشار إلى ذلك صاحب المقالة. وتفيد بعض الدراسات أنّ فئة صغيرة من بين ۲۵ مليون شخص مصابون بهذا المرض الطفيلى بدت عليهم الأعراض، بنحو بارز بصورة كامراض سريرية بينما بقى مجهولًا لدى الاطباء كثر من الف اصابة! كما خمن ان ۲۵ مليون حالة مرضية من قبل المرضى الذين ثبت هذا الطفيلى فى عضلات بدنهم ان ۱۶۰۰۰ فقط بينت حالاتهم المرضية بصورة واضحة فى العيادات، بحيث توفى منهم خمسة بالمئة بسبب شدة التلوث. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۶۷

۱۷ ما علّة نجاسة الكافر؟

سؤال: ما فلسفة حكم الإسلام بنجاسة أتباع سائر الأديان «الكفّار» وعدم جواز الاختلاط المسلمين بهم (والحال ربّما يكونون أكثر مراعاة للنظافة والأمور الصحية من سائر المسلمين)؟ طبعاً لابدّ استبعاد أنّ الاختلاط بهم ربما يؤدّى إلى الانحراف الفكرى لبعض المسلمين، فالإسلام دين الواعين لا- المغفلين!. الجواب: صحيح أنّ الإسلام دين الواعين لا- المغفلين، لكن إن كان المراد أنّه دين جماعة معينة فليس الأمر كذلك، بل هو دين للجميع؛ وإن كان المراد أنّ الواعين أكثر انفتاحاً على التعاليم الإسلامية فذلك صحيح أيضاً، إلّاأنّ ذلك لا يعنى إهمال القوانين الإسلامية للأفراد من ذوى الاطلاع المحدود وعدم الإلتفات إلى أوضاعهم. وكما أشرنا سابقاً فإنّ نجاسة الكفّار قطعاً نجاسة معنوية وباطنية؛ لا تظهر آثارها على أجسامهم، وأحد فوائد ذلك حفظ عقائد أغلب المسلمين من جراء الاختلاط وما يسببه من انحراف وضلال فكرى، وليس فى هذا الأمر من جديد فأغلب المصلحين يوصون عامة اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۶۸ الأفراد بالابتعاد عن الاختلاط بالمنحرفين والضالين، غاية ما هنالك أنّ الإسلام بيّن هذا الموضوع بصيغة الحكم بنجاسة الكفّار، من جانب آخر نرى أنّ الإسلام أذن بإقامة العلاقات الاقتصادية والتجارية معهم على ضوء بعض الشروط، لكنه لم يسمح بالجلوس معهم على مائدة، بالتالى أراد الاستفادة من منافعهم والحذر من أضرارهم الأخلاقية والعقائدية من جرّاء الاختلاط بهم. طبعاً نحن لا- نقول إنّ الواعين من المسلمين يمكنهم الاختلاط بهم، كلا- فليس فى الأحكام الإسلامية من استثناء وهى عامة، وعموميتها سبب حفظها، وإلّا لزعم كل فرد أنّه مطلع ولا يرى من ضرر فى اختلاطه بالكفّار فينتهك حرمة الأحكام الشرعية (لابدّ من التامل). وبغض النظر عمّا سبق فإنّ أغلب الكفّار لا يتورعون عن النجاسات كالدم ولحم الخنزير والمشروبات الكحولية، وعليه فحياتهم بالتالى مجموعة نجاسات، وبغية تفادى هذه النجاسات عدهم الإسلام نجساً ليتحفظ المسلمون عن الإختلاط بهم حفظاً لهم من

النجاسة. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۶۹

۱۸ لماذا الجزية؟

سؤال: المراد من بعثة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله إرشاد الناس وهدايتهم،، إلّاأننا نرى بعض المقررات الإسلامية التى لا تنسجم مع الهدف الأصلى للدين- الإرشاد إلى الصراط المستقيم- من قبيل فرض الجزية على اليهود والنصارى، والحال الجزية قضية مادية، ثم كيف يشجعهم الإسلام على البقاء على معتقداتهم وأديانهم المحرفة؟ الجواب: إنّ أحد امتيازات الإسلام عدم إكراهه الغير على اعتناقه، كما ورد ذلك فى الآية ۲۵۶ من سورة البقرة «لااكْرَاهَ فِى الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَىِّ». وسرّ ذلك واضح فى أنّ الإسلام انطلق فى دعوته منذ اليوم الأول على أساس المنطق والدليل والبرهان ومحاربة الوهم والخرافة، وسلاحه عرض الحقيقة وايقاظ الراى العام، فما حاجته للإكراه وهو يمتلك ذلك السلاح الذى استقطبه الواعون من الأفراد؟ والواقع أنّ العقيدة والإيمان الحقيقى يتطلب مقدمات وأُسساً معينة ما لم تحصل فى ظلّ الإدراك والبصيرة والاختيار، فمن المحال أن يشق الإيمان سبيله إلى القلب، ولو فرض اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۷۰ بالقوّة لما استقر فى القلب، ولما تجاوز اللسان، وبالتالى ليس لهذا الإيمان من قيمة فى الإسلام. فالإسلام يستقطب الأفراد الأوفياء لمبادئه المقدّسة ولا يتخلون عنها أبداً، وهذا الإيمان لا يفرزه إلّاالمنطق والدليل. أمّا الجزية فهى ضرائب سنوية يدفعها أهل الكتاب للدولة الإسلامية، وسبب فرض هذه الضرائب أنّ بلدانهم تدار من قبل المسلمين، أو أنّهم يعيشون كأقلية فى المجتمع الإسلامى، والدولة الإسلامية مسؤولة عن توفير الأمن والدعم والحماية لهم، ومن هنا ينبغى جباية الضرائب من كل فرد لم يقر بالإسلام لتصرف فى سبيل رفاهه وحفظ ماله وعرضه وحياته، ناهيك عن عدم اشتراك هؤلاء الأفراد فى المعارك التى يخوضها المسلمون ضد أعدائهم. وتفيد الشواهد التاريخية أنّ الأموال التى كانت تجبى من أهل الذمّة لم تؤخذ بالقوة والاكراه واليك نماذج من ذلك: ۱- إنّ «عبادة بن الصامت» حين دعى المصريين والأقباط إلى الإسلام كان يخيّرهم بين اعتناق الإسلام أو دفع الجزية ويؤمنهم على أموالهم وأعراضهم والدفاع عنهم تجاه الأعداء. ۲- حين انتصر المسلمون على الروم انيرى أهل حمص لدفع الجزية ثم أراد المسلمون فسخ عقدهم مع نصارى حمص بموافقة الطرفين، وعرضوا عليهم إعادة ما استلموه منهم من أموال. فرد عليهم أهل حمص بأنّهم لا يرضون بفسخ العقد بعد أن لمسوا عدالتهم وتقواهم التى لا يمتلكها الروم، وأعربوا عن استعدادهم للقتال إلى جانب المسلمين. ۳- إنّ مقدار الجزية التى عينها رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بالنسبة لنصارى نجران توضح حقيقة الموضوع، حيث تقرر أن يدفعوا سنوياً ثلاثة آلاف «حلّة» وقيمة كل حلّة أربعون درهماً خلال دفعتين، ألفان فى شهر صفر وألف فى رجب، كما صالح رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أهل «أذرح» على أن يدفعوا مئة دينار سنوياً. حقاً إنّ هذه الأموال لا تبدو كثيرة إزاء حفظ أموالهم وأعراضهم وأرواحهم. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۷۱

۱۹ ثياب الإحرام

سؤال: لماذا يجب أن تكون ثياب الإحرام متواضعة وغير مخيطة؟ الجواب: مراسم الحج من العبادات الجماعية التى ينبغى أن تتمّ فى ظلّ تجرّد تام، ولذلك اكتفى بقطعتين من القماش ونهى عن ارتداء الثياب المتعارفة التى تعكس الامتياز والاختلاف، وهكذا يتجسد ذلك اليوم الذى تتطلع إليه البشرية فى طرح عوامل الامتياز الفارغة كافّة. بعبارة أخرى الحج أروع مظاهر مساواة الناس أمام اللَّه، ومن هنا كان لابدّ من التخلى عن الثياب المدعاة للتفاخر لتسود المساواة الجميع.

۲۰ لماذا تتلف لحوم الأضحيات؟

سؤال: ما القصد من الذبح فى عيد الأضحى بأرض منى رغم عدم الاستفادة الصحيحة من هذه الأضحيات ودفنها فى التراب؟ الجواب:

نعلم أنّ أحد مناسك الحج نحر الأضحية فى العاشر من ذى الحجة، وهذه فريضة إسلامية صريحة، واحد أسرارها احياء تلك التضحية العظيمة التى قدمها بطل التوحيد إبراهيم الخليل عليه السلام. فقد أمر اللَّه نبيّه إبراهيم عليه السلام أن يذبح ولده فى منى قربة إلى اللَّه تعالى- طبعاً كان ذلك الأمر امتحاناً ويهدف إلى إثبات جدارة ذلك الولى الربانى، ولذلك حين إمتثل الأمر أمره اللَّه سبحانه بذبح كبش بدلًا من ولده. وقد اثبت استعداده لامتثال الأمر وطاعة اللَّه. أنّ روح الطاعة والتضحية لديه فى ظلّ الإيمان كانت أقوى حتى من عواطف الأبوة. وحجاج بيت اللَّه الحرام إنّما يستحضرون إخلاص إبراهيم وتضحيته ورسوخ إيمانه بذبحهم فى منى، وهكذا يعلم أحدهم الآخر دروس التضحية والإخلاص بهذا العمل، وكأنّهم يقولون عملياً: ولى اللَّه من يضحى بكل اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۷۴ شىء فى سبيل اللَّه، كما فعل ذلك العبد الصالح، وهذا قبس من أسرار الذبح فى منى. والآن لابدّ أن نرى رأى الإسلام بهذه الأضاحى، وما وظيفة المسلمين بهذا الخصوص؟ للجواب عن هذا السؤال، نرى من الضرورى الرجوع إلى القرآن، حيث تضمّنت سورة الحج آية تأمر جميع من كان فى منى يوم الأضحى بالذبح فقالت: «وَأَطْعِمُوا البائِسَ الفَقيرَ» «۱» ، وفى آية أخرى «فَكُلُوا مِنْها وَأَطْعِمُوا القانِعَ وَالمُعْتَرَّ» «۲». وأوصت الرسائل العملية حجاج بيت اللَّه الحرام بجعل لحم الشاة ثلاثة أقسام: قسم لهم وآخر للمؤمنين وثالث للمحتاجين. وتفيد هذه التعليمات أنّ المراد من ذبح الحيوانات بالإضافة إلى سلسلة الفوائد المعنوية المذكورة سابقاً، هو أن يكون هنالك استهلاك صحيح لهذه الذبائح وأن لا يفعل ما يؤدّى إلى الاسراف والتبذير. واليوم وظيفة الحجاج والدول الإسلامية اتخاذ بعض التدابير للاستفادة الصحيحة من هذه اللحوم، وهذه الوظيفة الإسلامية تنسجم مع سائر الأهداف. فلابدّ من إنشاء برادات مجهزة بدلًا من دفنها تحت التراب ليتمّ الاستفادة منها كما بين القرآن الكريم. ففى السنوات السابقة التى لم يكن الحجاج بهذا العدد، كانت اللحوم تستهلك بصورة صحيحة، وعليه لما تطورت اليوم وسائل النقل والمواصلات، فلابدّ من توظيف بعض الوسائل الحديثة للحيلولة دون اتلاف هذه اللحوم والأخذ بنظر الاعتبار الأهداف الإسلامية وأن تمنع أنواع التبذير والاسراف كافّة، وإن كان هنالك من تقصير فإنّما يتحمل مسؤوليته المسلمون. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۷۵

۲۱ لماذا كانت قراءة «الكتب الضالة» حرام؟!

سؤال: إنّ الإسلام دين العلم والمعرفة، فلماذا يُحرّم بعض الكتب «كتب الضلال»؟ الجواب: نعلم أنّ الإسلام دين العلم والمعرفة، ويحث هذا الدين السماوى الناس على كسب العلوم والمعارف، ويعتبر رقى الفرد والمجتمع مرهوناً بالعلم والمعرفة، ولكن فى نفس الوقت يركز الإسلام على نقطة أساسية وهى، كما ينبغى حفظ المجتمع من الأخطار المادية كالأمراض المعدية، فلابدّ من حفظه من عوامل الانحراف الفكرى والمعنوى. والأفراد فى المدنية المعاصرة أحرار فى اعتناق أيّة عقيدة وفكر منحرف ما لم يخل بالنظام المادى للمجتمع، غير أنّ القضية ليست كذلك فى الإسلام، حيث يسعى الإسلام لخلق مجتمع يحث الخطى نحو التكامل المعنوى والأخلاقى. وعلى هذا الأساس يتضح سبب حظر الإسلام لقراءة كتب الضلال التى تمس العقيدة والخلق الأصيل. فلو كانت قراءة هذه الكتب سياحة للجميع فما الضمان لعدم الانحراف الفكرى والأخلاقى؟ اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۷۶ ومن هنا لم يسمح الإسلام بتداول ونشر كتب الضلال فى الأوساط العامة، بكل حرية و تطالع من قبل عامة الناس مع ذلك وعلى ضوء تبنى هذا الدين للعلم والمعرفة، فإنّ الإسلام لم يحظر مطالعة هذه الكتب على العلماء الذين يمتلكون القدرة على تمييز الحق من الباطل. وليس للعلماء حق مطالعة هذه الكتب فحسب، بل يجب عليهم مطالعتها ليتعرفوا على منطق الخصوم كما ورد فى هذه الكتب فيهبوا لتفنيده بالطرق الصحيحة، والتاريخ الإسلامى حافل بالعديد من الاحتجاجات بين علماء الدين وخصومهم من غير المسلمين، وقد خاض بعض الأعلام فى جمع هذه المناظرات من قبيل صاحب كتاب «الاحتجاج» «۱»، وهذا دليل على أنّ حرمة كتب الضلال فى الإسلام ليست بمعنى قتل حرية الفكر ومناهضة العلم؛ حيث كان أئمّة الدين يعتمدون المنطق والبحث الحر فى الردّ على العقائد الخاطئة، لا من خلال خلق الارهاب الفكرى والعقائدى. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۷۷

۲۲ لماذا لا يمكن اعطاء القرآن لغير المسلم؟

سؤال: بما أنّ كتابنا السماوى القرآن هادى الأُمم ونبراس المجتمعات البشرية، وعليه لابدّ أن ينفتح عليه كافّة الناس- المسلم وغير المسلم- ليستضيئوا بتعاليمه ويهتدوا إلى الحق، إلّا أنّ الكتب الفقهية تشير إلى عدم إمكانية إهدائه للكافر أو تزويده بنسخة منه. الجواب: إن كان الهدف من تزويد غير المسلم بالقرآن يتمثل فى هدايته إلى الإسلام والتعرف على تعاليمه فلا مانع من ذلك، بينما يحظر ذلك ما لم يتضمن الهدف المذكور، ذلك لأنّ أعظم شهادة على أحقية الإسلام والمعجزة الخالدة لنبى الإسلام هو القرآن بصفته الوثيقة الحيّة التى تبعث بأشعتها إلى جميع العصور، وإنّ إحدى طرق الانتفاع به فى أن يطبع بطبعة لطيفة وتوزع فى أنحاء العالم ليتعرف الباحثون عن حقيقة الإسلام من خلال الآيات القرآنية؛ وهذا بحد ذاته شهادة قيمة على مضامين هذا الكتاب الغنى عن الزمان والمكان ويستقطب المجتمعات البشرية. وقد أوصى القرآن الكريم رسول اللّه صلى الله عليه و آله أن استجاره مشرك حتى أثناء القتال بأن يأمنه اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۷۸ حتى يسمع كلام اللّه وإن أراد العودة وجب عليه إعادته «۱». ومن هنا يتوجب على كل فرد مراعاة حرمة القرآن، وإن احتمل انتهاك حرمته من غير المسلم فليس له أن يعطيه، وإن كان عنده وجب علينا السعى لاستعادته منه. ويبدو أنّ رأى الفقهاء من عدم اعطاء القرآن للكافر على هذا الأساس، لا على أساس أنّه يمكن هدايته. وخلاصة القول لابدّ من استنقاذ القرآن من متناول الأيدى الأثيمة، اللّهم إلّاأنّ احتمل هدايتهم ففى هذه الحالة يمكن تزويدهم بالقرآن الكريم. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۷۹

۲۳ علة التصعب فى إثبات بعض الجرائم

سؤال: لماذا تجب أربع شهادات فى الزنا؟ إلّايدعو هذا إلى ازدياد الأعمال المنافية للعفة على ضوء التصعب فى إثبات الجرم؟ وبغض النظر عن ذلك، لماذا أُلغيت هنا هذه القاعدّة «اقرار العقلاء على أنفسهم جائز» فإن اعترف شخص بالزنا ثلاث مرّات فلا يقبل منه حتى يأتى بالرابعة؟ الجواب: للقانون الإسلامى صورة خاصة بشأن عقوبة الزنا حيث تضمن بعض الأمور؛ يعنى أنّه جعل عقوبة هذه الأفعال شديدة وثقيلة، فمن جانب تبدأ بالجلد والنفى وفى بعض الحالات بالاعدام، ومن جانب آخر تصعب فى طريقة إثبات هذه الجريمة حتى جعل شهود الزنا ضعف شهود سائر الجرائم، كما لم يكتف باقرار الشخص لمرّة واحدة وضم هذين الأمرين لبعضهما- تشديد العقوبة والتصعب فى إثبات الجريمة- أضفى وضعاً خاصاً على هذا القانون الجزائى، بمعنى تحلى هذا القانون بتأثيره النفسى فى الحيلولة دون ارتكاب الأفراد لهذا النوع من الخطايا، وفى نفس الوقت لا يشمل الكثير من الأفراد عملياً. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۸۰ بعبارة أخرى إنّ المراد من وضع هذه القوانين، منع الأفراد من ارتكاب هذه الجريمة، لا إعدامهم والقضاء عليهم. وهذا الأثر يترتب على ثقل نوع العقوبة، ذلك أنّ مرتكب الجريمة يتصور العقوبة الصارمة فتأخذه حالة من الخوف والخشية لما يحتمل من عقاب؛ الأمر الذى يحول دون ارتكابه للذنب. وغالباً ما نرى تعيين بعض العقوبات الشديدة كالإعدام لارتكاب بعض كبار الذنوب- من قبيل بيع المخدرات- ورغم أنّ هذه العقوبات خاصة بظروف معينة، إلّاأنّ احتمال توفر شرائطه يلعب دوراً كبيراً فى روح مرتكبى الجريمة. والخلاصة فإنّ القوانين الجزائية الإسلامية شرعت بالشكل الذى تسهم فى الحيلولة دون ارتكاب الجريمة، وتبعد الكثير فى نفس الوقت عن الشمول بها. وعلى هذا الأساس فإن تنفيذ عقوبة الإعدام فى موضع معين تترك آثارها على أفكار سائر المرتكبين، ذلك أنّ مجرّد احتمال تنفيذ هذه العقوبة بهم يوماً كافٍ لهم.

۲۴ لماذا يذبح الحيوان على أساس بعض الشرائط؟

سؤال: هنالك بعض الشرائط التى ذكرتها الشريعة عند الذبح مثل قطع الأوداج والبسملة بحيث تحرم لحومها دون الإتيان بهذه

الشرائط، بينما يستهلك أغلب الناس هذه اللحوم دون الإلتفات إلى ذلك ولا يشكون من شيء، رجاءً بيّنوا لنا تأثير هذه الشرائط؟ الجواب: يبدو أنّ الشريعة أرادت أن تكفّل ثلاثة أمور بهذه الشرائط: الأول: الابتعاد عن ديدن الوثنيين الذين يذبحون باسم أوثانهم، ومن هنا عدت البسملة إحدى خططها للقضاء على جذور الوثنية. الثاني: اكتشف الطب المعاصر العديد من الأضرار للتغذى على الدم استناداً لبقاء الدم على الذبيحة الخارج منها وبغض النظر عن ذلك فإنّ الدم ملىء دائماً بأنواع المكروبات وثبت بالتجربة أنّ التغذى على الدم يخلق ملكات خبيثة عند الإنسان، ومنها ضعف العاطفة والظلم وقسوة القلب. الثالث: الإسراع فى إماتة الحيوان وإبعاده عن التعذيب والذى لا ينسجم مع الروح اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۸۲ الإنسانية. وهذا العمل لا يتسنى إلّامن خلال قطع الأوداج الأربعة. هذه خلاصة للأمور الثلاثة التى تضمن بشرائط الذبح الإسلامى.

۲۵ فلسفة الختان

سؤال: ما فلسفة الختان من الناحية الصحية؟ الجواب: الجواب عن هذا السؤال واضح للأسباب التالية: ۱- غالباً ما يلاحظ التعفن والالتهاب بين الغشاء ورأس العضو التناسلى لدى الأفراد الذين لا يختتنون، فالختان يزيل هذا الالتهاب. ۲- تفيد الاحصاءات الطبية أنّ نسبة الإصابة بسرطان العضو التناسلى أكثر لدى الأفراد الذين لا يختتنون. طبعاً ينبغى الدقّة فى عملية الختان بالنسبة للأطفال الرضع حيث ربّما يؤدّى إلى جرح رأس العضو ممّا يؤدى إلى احتمالية ضيق الفتحة فى منتهى المجارى البولية.

۲۶ فسلفة المحلّل

سؤال: لماذا يحتاج الرجل إذا طلق زوجته ثلاثاً إلى المحلّل؟ الجواب: اتفق علماء الإسلام تبعاً للقرآن على أنّ الرجل إن طلق زوجته ثلاثاً لا يجوز الزواج بها ثانية إلّابعد أن ينكحها رجل آخر. وإلّا فالزوجة حرام عليه ما لم تتمّ هذه العملية. وتبدو فلسفة هذا الشرط واضحة، ذلك لأنّ الأسلام أراد أن يحد من ظاهرة الطلاق بهذا الشرط، وأن لا يتخذ الطرفان هذا الأمر كألعوبة (يطلق بعضهما الآخر متى شاءا ويعودا إلى الزواج متى شاءا) لأنّه: أولًا: حيث يريد الرجل التطليقة الثالثة فلربّما ينصرف عنها إن علم بأنّه إن أراد الزواج منها وجب أن تنكح زوجاً غيره، فالأمل لا ينفك عن الزوج والزوجة فى الرجوع، غير أنّ هذا الأمل يزول فى التطليقة الثالثة. ولعل هذا الأمر هو الذى حال دون اقدام الكثير من الأزواج على التطليقة الثالثة. ثانياً: من شأن قضية المحلّل أن تستثير عواطف الرجل وتحرك غيرته وشهامته بحيث اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۸۶ يبعد عن ذهنه شبح الطلاق، ذلك لأنّ غيرة الرجل لا تسمح له بأن ينكح زوجته التى قضى معها عمراً، أحد غيره، وعليه فالإسلام أراد بهذا التشريع (المحلّل) الابقاء على عش الحياة الزوجية دافئاً وبعيداً عمّا يعكر صفوه، وبالتالى الحيلولة دون وقوع الطلاق. ولابدّ فى الختام من ذكر هذه النقطة وهى: إنّ الزواج من شخص آخر ربّما يدفع أحياناً بالمرأة لتفعيل رغبتها بزوجها الأول، لا تظفر بالرفاهية والدعة التى عاشتها فى بيت زوجها الأول، وهكذا فهى دائمة المقارنة بين الزوج الأول والثانى، الأمر الذى يشبعها حسرة وندامة وحنيناً إلى زوجها الأول. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۸۷

۲۷ المخاطر الجسمية والنفسية للشذوذ الجنسى نظرية عالم نفس حاذق بهذا الشأن

سؤال: هل الإستمناء مضر؟ الجواب: رغم سعى بعض المغفلين من الأطباء والسذج من علماء النفس إلى إظهار عملية «الإستمناء» المشؤومة بالعملية الخالية من الضرر، إلّاأنّ العديد من الرسائل التى وصلتنا من المصابين بهذه الممارسة إضافة إلى الشواهد الحسية والخارجية، تفيد أنّ هذه الآراء الجوفاء تهدف إلى استغفال الشباب والتنكر للحقائق الملموسة. ونذكر هنا مقالة تخصصية مقتبسة من مجلة العلم العدد ۱۳ لعالم النفس المشهور «الدكتور جهرازى» لتكون الجواب الشافى لهذا السؤال. يواجه الشباب بعض المسائل الغامضة ومنها «المسألة الجنسية» فى الواقع فى هذه المرحلة من السن التى تتبلور فيها الغرائز الجنسية، ويكتشف الشاب حقيقة هذه

الغريزة بعد اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۸۸ جولة من البحث، فإنّ أى إثارة من شأنها اشعال غريزة الشهوة لديه. وفى السابق كان الشبان وعلى ضوء «التربية الدينية والآداب والالتزامات الاجتماعية» يلتزمون بمبادىء تجعلهم يسيطرون على هذه الغريزة الجنسية. أمّا اليوم «۱» فهنالك أثر كبير للصور الخليعة فى الأزقة والشوارع والبيوت والإعلانات الدعائية ومشاهدة الأفلام والمجلات والصحف وبعض المشاهد السينمائية والتلفزيونية والقصص المسهمة فى إثارة هذه الغريزة، وبالتالى إصابت الشباب بطغيان الغريزة الجنسية؛ الأمر الذى أدّى فى خاتمه المطاف إلى حصول حالة الإنزال فى النوم والتى تبعث اللذة، فساقت الشباب إلى مصيبة الإستمناء. ويعتقد بعض الأطباء وعلماء النفس بأنّ الإستمناء أمر طبيعى وحاجة لدى الإنسان والحيوان، إلّاأنّ هؤلاء غفلوا عن الأضرار التى يستبطنها هذا العمل إن تكرر خلال بضعة أسابيع، وتنعكس مخاطره على الصعيدين الجسمى والنفسى وللأسف فإنّ هذه الممارسة تتشدد بالتدريج وحيث تكون متيسرة للشاب فهى تسوقه إلى التعود عليها ليمارسها عدّة مرّات خلال مدّة قصيرة. العواقب الخطيرة للإستمناء: تفيد أغلب الدراسات التى حصلت فى السنوات الأخيرة، ولا سيما التحقيقات التى أجريناها على أكثر من ألف شاب، أنّ موضوع الإستمناء لا ينبغى أن يعد مسألة بسيطة (لابدّ من الدقّة) ولابدّ من ذكر فسلجة الغدد الجنسية قبل ايضاح هذا المطلب: فأحد علامات البلوغ خروج المنى من خلايا غدد الخصيتين. ولكل قطرة منى ملايين البيوض الذكرية «اسبرما توزئيد» ومايع لزج خاص يترشح من تلك الغدد ويرد كيس المنى الواقع خلف المثانة بواسطة مجرى المنى. فيمتلىء كيس المنى ويمتص البدن مقداراً منه يكون مؤثراً فى نمو قامة الشاب ومثيراً لغرائزه الجنسية؛ ولكن ينبغى إخلاء معظمه بغية الانجاب. وبالنسبة للشبّان الذين لا يشهدون إثارات جنسية بفعل التزامهم الدينى فحين يمتلىء اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۸۹ كيس المنى إنّما يخرج عادة بصيغة احتلام عند النوم فيعيش حالة الاتزان البيولوجيكى، وعليه فليس هنالك قلق عليهم. وأمّا الشباب الذين يتعرضون إلى الإثارات الجنسية ويعيشون حالة من الحرمان فيتصورون أنّ الطريق الوحيد أمامهم هو الإستمناء، وحيث يشعرون عقب هذه العملية بنوع من الهدوء فعادة ما يكررون هذه الممارسة؛ فإن تكررت ومورست لأكثر من مرّة فى الأسبوع تظهر حالة من الاختلال النفسى والجنسى لدى هؤلاء الشبّان. وتوضيح ذلك: حين تشبع الغريزة الجنسية بصورة طبيعية من خلال الزواج، فإنّ الإثارات الجنسية التى تحصل من اللمس والمشاهدة تنعكس على الدماغ فتخلق حالة من تفعيل الغريزة لديه فيمارس هذا العمل بصورة طبيعية. بينما القضية معكوسة تماماً فى الإستمناء وتستبدل عوامل الإثارة الطبيعية بالتخيل والتصور للمناظر الخاصة واللمس الموضعى، وبهذا يبرز انحراف جنسى فإن تكرر هذا العمل وترسخ الانعكاس المنحرف فى كيان الشاب فإنّه سيؤدّى إلى عجزه إن أراد أن يمارس العمل الجنسى بصورة طبيعية؛ ذلك لأنّ النظام الطبيعى لاشباع الغريزة قد اختل عنده، ومن هنا يشعر بالعجز والفشل حين إرادة الزواج والطريق المشروع. الاختلالات الجنسية لدى المصابين بالإستمناء: النقطة المهمّة التى ينبغى الإلتفات إليها هنا: كما ذكرنا فإنّ البدن يمتص مقداراً من المواد الجنسية المترشحة (المنى) وتؤدّى إلى نمو الشاب، فهى ليست مؤثرة فى نموه البدنى فحسب، بل تؤثر حتى فى نموه الروحى. وحين تخرج هذه المواد إثر الإستمناء المتكرر، فبعض النظر عن ظهور الاختلال فى النمو الجنسى المتكامل، فإنّه يؤدّى إلى الضعف فى الشخصية وخواء الإرادة وانحسار القدرة والخجل والانهزامية. ولايضاح حقيقة هذين الموضوعين لا بأس بذكر بعض النماذج ومن لسان المصابين بهذا الانحراف والذين فشلوا فى زواجهم أو لم يتلذذوا بزوجاتهم: اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۹۰ قال أحد الشبّان المتزوجين: «إنّى أحبّ زوجتى حبّاً جمّاً، ولكن مع الأسف لا أجد اللذة من معاشرتها وهذا ما يُؤلمنى». وقال امرأة متزوجة: «لقد مضى على زواجنا ثلاثة أشهر ولمن لا أدرى لماذا كأنى فى نظر زوجى خشبة يابسة فقط دون أن يرغب إلىّ». قال أحد الشبان المتزوجين: «كنت أُمارس هذه العملية حين بلوغى، ولم أفلح بعدها فى التوفيق إلى الزواج، بينما كنت أثار فى الوحدة وجموح الخيال». وقال شابان بعد أن راجعانى إنّهما عاجزان عن مجامعة زوجتيهما بعد أن تصورا هذه العملية وهما يشعران بالحرج الشديد». وهناك شاب آخر: «لم يفلح فى الاقتراب من زوجته بعد أن عقدها وقد مضى عليها ستة أشهر». جدير بالذكر أنّ الشبّان المتقوقعين والإنعزاليين أكثر عرضة للإصابة بهذا البلاء، ومن هنا فإنّ الشبّاب مطالبون بالابتعاد عن العزلة والاختلاط مع الصالحين من أقرانهم. ضعف الشخصية

والوسواس: الضرر الآخر الذى يصيب الشبان من هذه العادة السيئة، حالة الندم التى تعتريهم بعد الانتهاء منها فيعاهدون أنفسهم على عدم تكرارها، لكنّهم سرعان ما يعودون إليها فى أقرب فرصة سانحة- وبالطبع فإنّ حالة العهد والعودة هذه تؤثر على نفوسهم وتؤدّى بهم إلى ضعف الشخصية وغياب الإرادة والشك والوسواس. وزبدة الكلام فإنّ الإستمناء يغير النظام النفسى فى المسائل الجنسية ويقدح فى الشعور باللذة ويخيل بالقدرة وينتهى إلى الشعور بالتصاغر والحقارة واختلال الشخصية، وبغض النظر عن ذلك يفعل فعله فى النمو البدنى (انتهى قول الدكتور جهرازى). اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۹۱ ملاحظة مهمّة: للحيلولة دون ظهور هذه المخاطر، يتوجب على الشبّان الوقوف بحزم ضد هذه الممارسة بأمل ورجاء وعدم الشعور بالخوف والتردد، فيسعون أولًا إلى الابتعاد عن كافّة عوامل الإثارة من قبيل الصور الخليعة والأفلام المبتذلة، ومن ثم اختيار الأصدقاء الصالحين واجتناب العزلة والنوم لوحدهم فى الغرفة وممارسة بعض الرياضات المفيدة وليملأوا أوقات فراغهم، ومقاطعة أصحاب السوء وممارسة العادات الحسنة، وعدم الإستسلام إلى الطروحات المفرضة لبعض ما يسمى بالأطباء وعلماء النفس الذين يخدعون أنفسهم والآخرين. ومن أراد المزيد بهذا الشأن فليطالع كتابنا «المشاكل الجنسية للشباب». اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۹۳

۲۸ الزواج و تطابق الدم

سؤال: هل هنالك من ضرر صحى فى زواج المتماثلين فى الدم (الأقارب)؟ الجواب: «۱» بعد ثمان سنوات من التحقيق اكتشف (مندل) قبل قرن بعض القوانين فى الوراثة نشرحها هنا ببساطة. لو حصل جماع بين فأرة بيضاء وأخرى رمادية لولدت منها فأرة رمادية، كما ينتج منهما لاحقاً فئران رمادية وبيضاء. ويطلق على اللون الأبيض أو الرمادى هنا (الصفة). وكما ذكرنا فإنّ فئران المرحلة الأولى كافّة رمادية اللون، أى تظهر إحدى صفات الوالدين وتتنحى الأخرى ويصطلح على الصفات الأولى «السائدة» والأخرى المخفية «المتنحية». ويقال للعامل الذى ينتج الصفة (اللون الرمادى أو الأبيض) «الجين» والذى ينتقل من الأباء إلى الأبناء بواسطة الخلايا التناسلية بالوراثة وإن ولد الحيوانات من صفات متساوية كان خالصاً. ومن المسلّم به أنّ هذا الحيوان سيكون خلايا تناسلية متساوية من حيث الصفة، اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۹۴ وبالنتيجة فإنّ تزاوج عنصرين خالصين يؤدّى دائماً إلى ابناء يشبهون تماماً والديهم من حيث الصفات وأمّا إن لم تكن الصفات متساوية فسيكون ذلك الحيوان «هجينا» فالفئران الرمادية فى المثال الأول «هجينة» لأنّ كل واحدة لديها جينات تنتج اللون الرمادى وأخرى اللون الأبيض؛ ولا شك فى أنّ الخلايا التناسلية سوف لن تكون متشابهة ومتساوية، بل سيكون ۵۰٪ منها تحتوى على الجينات المنتجة للون الرمادى و ۵۰٪ الأبيض ومن الطبيعى أنّ الهجين دائماً ينتج هجيناً لا يشبه والديه من حيث الصفات. وعلى ضوء هذه المقدمة فى علم الوراثة نخوض الآن فى الجواب عن السؤال: ثبت اليوم احتمال بعض الأخطار الناشئة من الزواج من فرد فى أسرة تحمل بعض الأمراض الوراثية. ذلك لأنّ احتمال ظهور ذلك المرض الوراثى فى الأبناء من جراء ذلك الزواج أكثر من غيره بالنسبة للأبناء من الزواج الأجنبى (إليك توضيح مفصل بهذا الشأن) لو تزوج فردان مصابان بمرض وراثى فإنّ جميع الأبناء سيحملون جينات غير طبيعية، وبعبارة أخرى يكونون هجناء. وعادة ما يكون مرض الأبناء أشدّ من مرض الوالدين بحيث ربّما يموتون قبل الولادة ولو لم يمتلك أحد الوالدين هذا «الجين» المنتج لذلك المرض الوراثى فسوف لن يصاب الأبناء بالمرض ولن يكون مرضهم أشدّ من الوالدين وعلى هذا الأساس وردت الوصايا بالزواج من الأجانب، ولكن لابدّ من الإلتفات إلى هذه النقطة إن لم يكن أى من الزوجين مصاب بمرض وراثى فسوف لن يحمل الزواج أى خطر. وعليه فلا يصح ما تصوره البعض من أنّ الزواج من الأقارب مضر تماماً، بل الضرر فقط إن كان هنالك مرض وراثى، غاية الأمر ورعاية للاحتياط الأفضل عدم الزواج من الأقارب عند الشك، ومن هنا نهت بعض الروايات عن الزواج من بنت العم وابن العم. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۹۵

۲۹ الموسيقى فى الإسلام

سؤال: لِمَ حرم الإسلام الموسيقى وما فلسفة هذا التحريم؟ الجواب: رغم أنّ انتشار أنواع الموسيقى الذى حال دون توصل العديد من الأفراد إلى التفكير الخاطىء الذى يتمسك به البعض «تداول كل شىء دليل على صحته» فإنّهم ليسوا مستعدين للتوقف عند الآثار السيئة والمشؤومة للموسيقى. أمّا الأفراد الواقعيون فلن يكتفوا بذلك فهم يجدّون ويسعون بغية الوقوف على الحقائق رغم سماعها: الموسيقى جديرة بالتأمل من عدّة جوانب: ۱- من حيث الأضرار البدنية والاثار السيئة التى تنعكس على الجهاز العصبى للإنسان. قال الدكتور «ولف ادلر» بهذا الخصوص: «إنّ أروع وأفضل النغمات الموسيقية تترك بصماتها السيئة على أعصاب الإنسان؛ ولا سيما حين حرارة الجو». وقال الدكتور «الكسيس كارل» عالم الأحياء الفرنسى: «إنّ الاشباع الهمجى للشهوة قد اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۹۶ يحظى بأهميّة، ولكن ليس هنالك شىء عبثى أكثر من حياة تفنى فى اللهو، وممّا لا شك فيه أنّ الازمة الفكرية إنّما يفرزها التردد على السينما وسماع المذياع». لابدّ من التعامل مع الموسيقى على غرار سائر المخدرات؛ ذلك أنّ آثارها المخدرة ممّا لا يسع انكاره؛ كما أنّ التخدير على أنواع والإنسان يستطيع تخدير أعصابه بعدّة طرق. فالتخدير يكون أحياناً بواسطة الأكل والشرب؛ كالمشروبات الكحولية التى تشل الأعصاب وتعطل العقل عن الإدراك- وأحياناً أخرى بواسطة الاستنشاق كذرات مادة الهيروئين التى تسرى إلى البدن عن طريق الأنف وتخدر الأعصاب. وأخيراً هنالك التخدير بواسطة الأذن من خلال استماع الموسيقى التى تبلغ ذروتها أحياناً فيخرج الإنسان من توازنه الطبيعى. وعلى هذا الأساس فإنّ الموسيقى وسيلة تخدير لا غير وتحتوى على أضراره كافّة. ولعل النشوة التى يشعر بها الأفراد من الموسيقى هى هذا التخدير، والذى يبلغ أشدّه أحياناً فيدفع بالإنسان للقيام بحركات لا تبدو عادية. مثلًا حين تتضاعف قوّة التخدير يُسلب الإنسان القدرة على القضاء الصحيح، فقد لا- يميز بين الحسن والسىء. وربّما يتفاعل مع الأصوات والنغمات الموسيقية فيرتكب بعض الأفعال التى تخرجه من حظيرة الإنسانية. ولا اعتقد بأنّ هذا الكلام يحتاج إلى تقريب وتوضيح، فكل فرد يرى ما تفعله هذه الموسيقى والرقص الجماعى الذى يمارسه الرجال مع النساء بهذا الاختلاط وكيف يفقدون صوابهم ويتنازلون عن إنسانيتهم ولا- يتحرجون عن ارتكاب أى عمل مشين. فأى تخدير أعظم من هذا! فالإنسان إن استسلم لهذه النغمات الموسيقية فستسيطر على أعصابه حالة من الضعف والاسترخاء، ولا يعد يتصور سوى الشهوة والغرام؛ فيغيب عقله ولبّه ويذوب لديه الشعور بالمفاهيم المقدسة كالرأفة والحنان والمروءة والعفة والحياء والأمانة والمساواة والإخاء والمجد والعظمة والجهد والمثابرة والاستقامة على الطريق. لا ريب ولا شك فى أنّ الكحول والموسيقى من أعظم آلات تهييج الرجال والنساء وإثارة الشهوة والتى عادة ما يلجأون اليها بهدف تخدير أعصابهم. صحيح أنّ الإسلام لا اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۹۷ يمنع الإنسان من أيّة لذّة طبيعية، غير أنّه يحول دون تلك اللذائذ العابرة بواسطة تخدير الأعصاب وإثارة الشهوات والتى تخرج الإنسان من طوره الإنسانى الطبيعى. الحدود الأخلاقية للموسيقى: ممّا لا شك فيه أنّ أحد عوامل الانحطاط الأخلاقى هو هذه الأمور إلى جانب الأشرطة الصوتية الموسيقية التى تهدف إلى إشاعة الفاحشة ومجانبة العفة، بالإضافة إلى تلك الأصوات الأنثوية الدافئة المطربة التى تؤجج نيران الشهوة لدى الرجال وبخاصة الشبّان. ثم هل للّه‌من مكان فى تلك القلوب الطائشة المليئة بالشهوة والإثارة؟! وهل تعيش هذه القلوب حالة من الانكسار تجاه الضعفاء والمحرومين بعد أن طفحت بانغام الموسيقى والألحان المطربة؟ وهل يمكن للشريعة أن تفتى بحلّية شىء يفضى إلى كل هذه المفاسد؟! النتيجة: للنغمات الموسيقية آثار سيئة من حيث تخديرها للأعصاب، كما لها آثارها السلبية من الناحية الأخلاقية بتأجيجها لسعير الشهوة لدى الشبّان. كما ثبت صحيّاً أنّ للوفيات المفاجئة عدّة عوامل، أحدها سماع الموسيقى؛ لأنّ الموسيقى عامل إثارة، والإثارة تقضى على توازن الأعصاب، وبالتالى فهى مدعاة إلى حصول السكتة القلبية والدماغية. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۲۹۹

۳۰ فلسفة الإمتحان الإلهى

سؤال: قال تعالى «الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» «۱» ، وهنا يرد هذا السؤال: إنّما يحتاج إلى الإمتحان من لا يعرف مصير عمل معين، فما حاجة اللّه للإمتحان وهو العالم بالسرّ والعلن فى السماء والأرض؟ الجواب: إنّ للإمتحان الإلهى هدف آخر، فالإنسان يلجأ إلى الإمتحان والاختبار إثر نقصه العلمى للوقوف على حقيقة معينة وإماطة اللثام عنها، إلّاأنّ هذا الأمر محال على اللّه، فهو العليم بكل شىء، فإمتحانه لأهداف أخرى نوجز البعض منها: ۱- الهدف من الإمتحان تربية العباد وتنمية استعداداتهم. توضيح ذلك: إنّ الإنسان حين يرد العالم يودع سلسلة من الاستعدادات والإمكانات والطاقات المذهلة؛ فالكمالات الإنسانية والفضائل الأخلاقية كافّة كامنة كاستعداد لديه وقد عجنت بها فطرته، إلّاأنّ هذه الاستعدادات كالمصادر المودعة فى الأرض لا تظهر دون اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۰۰ إثارتها ببعض الوسائل الخاصة لتخرج من حيز القوّة إلى الفعل- ومن الطبيعى ما لم تظهر هذه الطاقات سوف لن يكون هنالك تكامل وفضيلة، وبالتالى ما يتبعها من ثواب وعقاب. ومثل هذا الإمتحان يهدف إلى تربية الإنسان وتهذيبه وتنمية المكارم لديه؛ ولولا هذا الإمتحان لما ظهرت لدى الإنسان هذه الطاقات ولما استحق من تقدير وثواب. وقد أوجز أمير المؤمنين عليه السلام بيان هذه الحقيقة حين قال: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: «اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفِتْنَةِ» لِأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا وَ هُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى فِتْنَةٍ، وَ لكِنْ مَنِ اسْتَعَاذَ فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ». ثم قال عليه السلام فى بيانه للهدف من الإمتحان: «لِيَتَبَيَّنَ السَّاخِطَ لِرِزْقِهِ، وَ الرَّاضِىَ بِقِسْمِهِ. وَ إِنْ كَانَ سُبْحَانَهُ أَعْلَمَ بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَ لكِنْ لِتَظْهَرَ الْأَفْعَالُ الَّتِى بِهَا يُسْتَحَقُّ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ» «۱» فالإمام عليه السلام يرى الهدف من الإمتحان ظهور الطاقات الباطنية كافعال خارجية، فيتبين استحقاق الأفراد للثواب والعقاب، وإلّا فالصفات الباطنية (دون العمل الخارجى) لا يترتب عليها أى ثواب أو عقاب، وبالتالى لا يحصل فى الواقع تكامل. فمثلًا حين ابتلى اللّه خليله إبراهيم عليه السلام بذبح ولده إسماعيل، لم يكن الهدف الاطلاع هل يطيع إبراهيم الأمر أم لا؛ بل الهدف تربية روح الطاعة والتسليم للأوامر الإلهيّة لدى إبراهيم وإخراجه لحيز الفعل، فيتجه إبراهيم على هذا الأساس لطى مسيرته التكاملية (لابدّ من الدقة والتامل). ولذلك يمتحن اللّه عباده ببعض الصعاب: «وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَىْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ» «۲» . ما نقوله من أنّ إمتحان اللّه لعباده وتنمية الصفات الفاضلة لديه، لا يعنى حمل الأفراد قسراً وقطعاً لبلوغ هذا الهدف وتنمية مكارم الأخلاق لديهم؛ بل المراد أنّ الإمتحان الإلهى يخلق الأرضية الخصبة للتربية والتهذيب فى الوسط الاجتماعى؛ فمن أراد السعادة استغل هذه الإمكانات إلى أقصى ما اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۰۱ يمكن، وبالعكس هنالك من يسىء استغلالها فيعمد إلى الصفات السيئة فيفشل فى الإمتحان. ۲- الهدف الآخر من الإمتحان الإلهى المتعلق بالجماعة معرفة الصالح من الأفراد والفاسد والمؤمن والمنافق. ويشير القرآن إلى هذه النقطة بصفتها «تمحيص» ويقول «وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ» «۱». ۳- الهدف الثالث إتمام الحجّة على من يكثر زعمه وينعدم فعله حيث تظهر فى الإمتحان حقيقته. ولعل عدم الإمتحان يجعل هؤلاء الأفراد يوغلون فى غيهم ويضلون الآخرين، وهكذا تتكشف أقنعتهم بالإمتحان، وكما قيل «عند الإمتحان يكرم المرء أو يهان». اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۰۳

۳۱ التراب الممزوج بالمكروبات

سؤال: صرّحت الشريعة بالتيمم عند الوضوء والغسل حين انعدام الماء، فكيف يمكن التيمم بالتراب الحامل للمكروبات؟ الجواب: أشارت العلوم الطبيعية إلى حصانة التراب الطاهر من المكروبات، حيث لا تستطيع مواصلة حياتها فى التراب الطاهر، وتأتى هذه الحصانة من الكائنات المجهرية الموجودة فى التربة. فهذه الأحياء مقاومة للمكروبات، بحيث لو دفنت جثّة محملة بملايين المكروبات لهبّت هذه الأحياء لتفسيخها والقضاء عليها. وعليه وخلافاً لما يتصور فإنّ التربة الطاهرة ليست مصانة من المكروبات، بل هى مقاومة لها وقاضية عليها عاجلًا أم آجلًا، ومن هنا فإنّ التربة الطاهرة بعد الماء- الذى يعدّ أهم وسيلة للغسل الطبيعى ومقاومة المكروبات- أحد العوامل المطهرة من المكروبات. ويتضح من خلال الإلتفات إلى هذه الحقيقة انسجام الأمر الشرعى بالتيمم- حين فقدان الماء- مع العلوم الطبيعية والنقطة الأساسية هنا تأكيد الآية القرآنية الواردة فى التيمم على اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۰۴ طهارة التراب

«فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً» «۱» . إلى جانب ذلك هنالك تأكيدات الروايات بهذا الخصوص والتى نهت عن التيمم بالتراب الذى يتردد عليه الناس. «۲» الأمر الذى يشير إلى طهارة التربة الخالية من المادة وتلوث الأخرى اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۰۵

۳۲ الصغائر والكبائر

سؤال: كيف السبيل إلى تميز الصغائر والكبائر؟ الجواب: يستند تصنيف الذنوب إلى صغائر وكبائر إلى القرآن، ومن ذلك الآية الشريفة: «إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ...» «۱» ، والآن نرى معيار الصغائر والكبائر. فالفقهاء يقولون: كل ذنب- مهما كان- كبيراً كونه مخالفة لأوامر اللّه. إلّاأنّ المعيار فى تشخيص الذنوب ليس فى استنادها لعصيان اللّه؛ إلّاأنّ جميع الذنوب كبائر على ضوء هذا المعيار؛ بل المعيار مقارنة بعض الذنوب مع بعضها الآخر. وعلى أساس هذا المعيار فإنّ الذنوب على نوعين؛ صغيرة وكبيرة. وهنالك عدّة طرق للتعرف على النوعين المذكورين منها ما تصارف بين العلماء فى العذاب الذى وعد به القرآن، فالكبيرة مثل قتل النفس التى قال بشأنها القرآن «وَمَنْ يَقْتُلْ اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۰۶ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا ...» «۱» . كما أضاف بعض العلماء قيداً اخر فقالوا: الكبيرة ما وعد عليها بالعذاب، أو على الأقل ورد النهى عن ارتكابها؛ فهنالك العديد من الذنوب التى لم يتوعد اللّه عليها، بينما ورد النهى عنها كراراً. مثلًا النص القرآنى الوارد بشأن الربا «فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ...» «۲» كافٍ فى كون الربا من الكبائر، بالاستناد إلى هذا النهى الأكيد والمنع الشديد. وعلى هذا الأساس فإنّ صغر وكبر الذنب ليس مسألة نسبية، بل لكل طائفة من هذين الصنفين من الذنوب حدود، ولا يمكن لمعصية أن تكون صغيرة وكبيرة فى آن واحد؛ فإن ورد الوعيد على مرتكبها بالعذاب أو ورد النهى عنها فهى كبيرة، وبخلافه فهى صغيرة. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۰۷

۳۳ هل الصغائر والكبائر نسبية؟

سؤال: يزعم البعض أنّ الصغائر والكبائر نسبية، أى يمكن أن يكون الذنب من الكبائر، ولكن بالمقارنة مع سائر الذنوب من الصغائر كالسرقة إن قورنت بالقتل العمد. وعلى ضوء النسبية فالعفو يشمل الذنوب كافّة: « «إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ...» «۱» وعليه فجميع الذنوب مغفورة سوى الشرك حيث لا ذنب أكبر منه ليغفر فى ظل ذلك الذنب. وعليه ستغفر ذنوب كل من لم يشرك باللّه!. الجواب: تتضح الاجابة عن هذا السؤال ممّا سبقه؛ فكما ذكرنا أنّ تصنيف المعاصى إلى صغائر وكبائر تقسيم واقعى، لا على أساس النسبية ومقارنتها مع بعضها، الآية المذكورة تشير إلى هذا، ومتى ابتعد الإنسان عن الكبائر فإنّ اللّه يتجاوز عن صغائره، وحدود هذين الصنفين من المعاصى مختلف ولا يشبه بعضهما الآخر. وعليه فاجتناب الكبائر يوجب غفران الصغائر لا الكبائر (كما ينبغى الإلتفات إلى أنّ تكرار الصغائر يصبح كبائر). اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۰۹

۳۴ عدد الكبائر

سؤال: ما عدد الكبائر من الذنوب؟ الجواب: هنالك عدّة طرق للتعرف على الكبائر، نشير إلى اثنتين منها: ۱- كل فعل توعد اللّه فاعليه فى القرآن بالعذاب- سواء صرّح بذلك علانية أم على سبيل الإشارة والنهى المؤكد والمكرر- فهو كبيرة. ۲- ما ورد عن روايات أشار فيها الأئمّة الأطهار عليهم السلام إلى عددها من قبيل الكتاب الذى بعث به الإمام الرضا عليه السلام إلى المأمون العباسى. كما روى الأعمش ما ذكره الإمام الصادق عليه السلام من الكبائر، وسائر الروايات. ونشير هنا إلى الطائفة العظمى من الكبائر كما وردت فى الآيات الكريمة والروايات الشريفة، ونسأل اللّه أن يوفقنا جميعاً لاجتنابها. ۱- قتل النفس ۲- الزنا ۳- الخمر ۴- ترك الصلاة ۵- أكل مال اليتيم ۶- الفرار من الزحف ۷- الربا ۸- القمار ۹- أنواع الظلم ۱۰- اللواط ۱۱- مساعدة الظالم ۱۲- اعانة اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۱۰ الظالم ۱۳- التهاون فى حقوق الناس ۱۴- الكذب ۱۵- الخيانة ۱۶- محاربة أولياء اللّه ۱۷- عقوق الوالدين ۱۸-

الافتراء ۱۹- الغيبة ۲۰- الاستخفاف بعقاب اللّه ۲۱- الاستخفاف بالحج ۲۲- التكبر ۲۳- الاسراف والتبذير ۲۴- أكل لحم الخنزير ۲۵- أكل الميتة ۲۶- أكل ما لم يذكر اسم اللّه عليه ۲۷- أكل الدم ۲۸- اليأس من رحمة اللّه ۲۹- التطفيف ۳۰- الاصرار على الصغائر ۳۱- ترك الزكاة ۳۲- قطع الرحم ۳۳- نقض العهد ۳۴- كتم الشهادة ۳۵- الحنث فى اليمين. هذه طائفة من الكبائر ويرى العلماء أنّها أكثر من ذلك. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۱۱

۳۵ الكذب المصلحة

سؤال: ما حكم الكذب المصلحة وهل كان يمارسه الأنبياء والأوصياء عليهم السلام؟ الجواب: الكذب سيء بذاته وهو سبب العديد من المصائب والاختلالات فى المجتمعات الراهنة، حتى ورد فى الروايات عن بعض الأئمّة الأطهار عليهم السلام: أنّ الكذب مفتاح سائر المعاصى! نعم، هنالك بعض المواضع التى يدعو فيها الصدق إلى فساد معين ربّما يزول عند الكذب. مثلًا، حين يحدث خلاف بين شخصين ويتكلم أحدهما خلف الآخر بما يعيبه ولو أفشينا ذلك لظهرت فتنة وبعض الأضرار المهمّة، فمن الطبيعى أنّ الصدق هنا ليس مطلوباً، ولا يوجد عاقل يقول بضرورة الصدق هنا، فهذا قانون مسلم لدى العقلاء فى أنّ ما كان ضرره أعظم من صلاحه وجب اجتنابه. والقوانين الإسلامية من جانبها سايرت هذه القضية العقلائية، فأجازت الكذب فى هذه الحالات. ولكن لابدّ من الإلتفات إلى أمرين: اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۱۲ الأول: أنّ لهذا الموضوع استثناء ولا يجوز الكذب سوى فى ظل بعض الظروف الحرجة، ولا ينبغى تذرع البعض بالكذب المصلحة أو من أجل تحقيق بعض المنافع الشخصية. الثانى: أنّ الإسلام يشدد كثيراً على عدم اللجوء إلى الكذب وأوصى بالتورية «۱»؛ وهذا ما أفتى به مشهور الفقهاء. والمراد من التورية أن يقول كلاماً فى بعض المواقع الحرجة يفهم السامع منه عكس ما يضمر، مثلًا يسألنا شخص هل تكلم أحد ضدى؟ فنجيبه: لا، ومرادنا أنّه لم ينطق أحد بهذه العبارة- وإن قال ذلك بعبارة أخرى ولكن السامع يفهم من كلمة «لا» أنّ احداً لم يتكلم ضده. وإن ورد مثل ذلك فى كلمات أئمّة الدين عليهم السلام- بمقتضى الضرورة وحفظ أموال الناس وأعراضهم وأرواحهم ومنع الخلافات والفتن- فإنّما هو من باب التورية قطعاً- جدير بالذكر إن تكلم الإنسان صدقاً فى الموارد التى وظيفته فيها الكذب أو التورية وحدث بعض الفساد فهو مسؤول. ومن الواضح أنّ القرآن لا يتضمّن أى كذب غير مصلحة ولا تورية؛ أى ليس هنالك مثل هذه الضرورة بشأن الايات والأحكام الشرعية. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۱۳

۳۶ ضرب المرأة

سؤال: هل صحيح أنّ الكريم القرآن أجاز ضرب المرأة إن قصّرت فى حقوق الزوجية؟ الجواب: لا شك فى أنّ الإسلام أسدى خدمات جليلة للمرأة وله حق كبير فى أعناقهن، وقد اعترف بعض أعداء الإسلام مثل بعض كتّاب تاريخ المدنية الغربية «كرين برنتون» و «جون كريستوفر» و «روبرت لى وولف» فى كتاب تاريخ الحضارة الغربية وأسسها فى الشرق بأنّ النهضة الإسلامية دفعت من شأن المرأة، قد أمر القرآن الكريم بذلك: «وَعاشِرُوهُنَّ بِالمَعْرُوفِ» «۱» و «هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُم لِبَاسٌ لَّهُنَّ» «۲». أمّا الروايات فقد أكّدت على حسن معاملة المرأة ونهت حتى عن التعبيس بوجهها «لا يقبح لها وجها» كما أمر النساء يحسن التبعل. وأمّا بشأن تنبيه النساء، فقد صرّح القرآن بأن يعتمد الرجل مع زوجته أسلوب النصح اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۱۴ والوعظ بادىء الأمر، ومن ثم هجرها فى المضجع، فإن لم يفلح ذلك فله أن يضربها دون ضرب المبرّح، فمن الطبيعى أن يكون ذلك استثناء وكأنى به كالعملية الجراحية أن استعصت حالة المريض. بل لو تمرد الزوج وقصّر فى الحقوق الزوجية فللحكومة الإسلامية أن تتبع معه ذات الأسلوب. الجدير بالذكر هنالك حالة من الماشوزية- حسب نظرية علماء النفس- لدى بعض النساء والتى تشتدّ أحياناً حتى تصبح أزمة نفسية، فالتنبيه البدنى يبدو ضرورياً فى مثل هذه الحالات. كما ينبغى الإلتفات إلى أنّ التنبيه المذكور لا يعنى إيذاء المرأة بحيث يحمر بدنها أو يزرق أو

يسبب بعض الجروح. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۱۵

۳۷ الإسلام والتلقيح الصناعى

سؤال: ما رأى الإسلام بالتلقيح الصناعى؟ (المراد من التلقيح الصناعى إدخال نطفة الرجل فى رحم المرأة فتحمل دون مجامعة). الجواب: تبدو هذه العملية قديمة بالنسبة للحيوان والنبات، لكنّها جديدة بالنسبة للإنسان، والدافع من ذلك عدم القدرة على الإنجاب، بينما تكون المرأة جاهزة للحمل، فيسعيان إلى إلقاء نطفة الزوج أو غيره فى رحم المرأة بغية الحصول على طفل يشد كيان الزوجية. وقد حظيت هذه المسألة بمناقشة مراكز التشريع العالمية كبريطانيا وفرنسا ومصر وسائر البلدان. فقد قرر مجلس العموم البريطانى تشكيل لجنة من الحقوقيين ليحققوا بشأن هذا الموضوع. إلّاأنّ الفرنسيين اوعزوه لرضى الزوج والزوجة. أما البابا فقد حرمه، كما اعتبره مفتى مصر أسوأ من التبنى المحظور فى الإسلام. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۱۶ وللتلقيح الصناعى صورتان: الصورة الأولى أن يلقى بنطفة الزوج فى رحم زوجته، فليس هنالك من إشكال فقهى، لأنّ الطرفين شرعيان ومن حقّهما أن يكون لهما ولد، ولا فرق هنا بينَ أن تتمّ العملية عن طريق المجامعة أو الوسائل الطبية. وبالطبع لابدّ من السعى فى التلقيح الصناعى إلى عدم وقوع الحرام. فلا يقوم بذلك مثلًا رجل أجنبى، بل يتولى الأمر الزوج. الصورة الثانية: أن يلقى بنطفة رجل آخر فى رحم الزوجة، فهذا ما لا يجوز على أساس الشريعة التى تحترم عقد الزوجية، وهذا ما صرح به الفقهاء وورد بشأنه بعض الروايات فى باب الزواج والتى تدفع للافتاء بالحرمة. وبغض النظر عن ذلك فإنّ هذا العمل لا يصح على ضوء الموازين الشرعية والأخلاقية والاجتماعية والعاطفية ويتضمّن بعض المفاسد منها: ۱- مثل هذا العمل يسوق المرأة إلى التحلل والتفسخ، لأنّه يشجعها على المجامعة غير المشروعة، حيث تفكر مع نفسها ما الفرق بين أن تلقح صناعياً من قبل نطفة أجنبى أو يجامعها الأجنبى، ولو حملت لادّعت أنّها لقحت صناعياً. ۲- من الناحية الاجتماعية فإنّ هذا العمل يخل بكيان الأُسرة ويصدعها ويضيّع النسب، لأننا نعلم بأنّ أحد مفاسد الجماع اللاشرعى اختلاط الأنساب. ۳- لا ينبغى اهمال دور العاطفة فى تربية الأولاد وتأمين حالتهم المعاشية، ذلك لأنّ العاطفة هى التى تدفع الأب لتربية ولده وتحمل تكاليف معيشته، ولا تتفعل هذه العاطفة إلّا حين يكون الولد قطعة من أبيه، أمّا إن شعر أنّه من رجل آخر فما الداعى لتحمل معاناته. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۱۷

۳۸ ما حكم منع المرأة من الحمل

سؤال: هل يجيز الإسلام منع النساء من الحمل؟ الجواب: وردت عدّة وصايا فى الإسلام تحث على زيادة النساء حتى قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: «تزوجوا فإنّى مكاثر بكم الأُمم حتى بالقسط». وسرّ ذلك واضح فقوة الأُمّة تكمن بالدرجة الأولى فى عددها، والأُمّة القليلة السكان ضعيفة عادة، وبالعكس فإنّ زيادة السكان تكون سبباً للقوّة رغم إثارتها لبعض المشاكل من قبيل أزمة السكن والغذاء. ومن هنا فإنّ أغلب الدول العظمى ذات تعداد سكانى كبير. وعليه فعملية منع الحمل لا تبدو مطلوبة إسلامياً (اللّهمّ إلّاأن تكون هنالك مشاكل اجتماعية وتربوية)، مع ذلك لم يحرمها الإسلام. فقد أفتى أغلب الفقهاء بجوازها فى حالة رضى الطرفين، بل أجازها البعض حتى دون رضى الزوجة. فالواقع أبقى الإسلام الباب مفتوحاً أمام المسلمين، فإن اقتضت الضرورة منع الحمل- كالضعف وعجز المرأة وسائر المشاكل- ولكن ينبغى الإلتفات إلى أنّ كل ذلك اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۱۸ حيث لم تعقد النطفة، أما إن عقدت فالإسقاط حرام، ولو كان انعقاد النطفة ليوم واحد، فالعملية بعد ذلك إسقاط وهى حرام.

۳۹ ما حكم اسقاط الجنين اللقيط؟

سؤال: هل من ديّة على من يسقط الجنين غير المشروع على غرار الإسقاط المشروع؟ الجواب: لا يجوز إسقاط الجنين مطلقاً- مشروعاً

كان أم غير مشروع- وعليه فلا فرق هنا بين الاثنين. والقضية هنا أنّ ديّة السقط غير المشروع إن التفت الطرفان إلى عدم شرعية فعليهما لا- تصل إليها، بل إلى بيت المال، بينما تصل إلى الورثة إن كان شرعياً، إلّاأنّ يقدم أحد الوارثين- كالأب أو الأم- على الإسقاط، فيحرم الارث كالقاتل.

۴۰ ضخ الدم

سؤال: يزرق اليوم الدم لبعض الأفراد وربّما يكون من رجل إلى امرأة أجنبية، أو بالعكس، فهل من إشكال؟ الجواب: حيث لا دليل على المنع فلا إشكال طبق القواعد الفقهية، ولكن الأفضل أن يكون من الرجل للرجل والمرأة للمرأة، ولكن لا حرمة كما ذكرنا.

۴۱ اخلاص النية والعمل

سؤال: صرح الفقهاء بضرورة إخلاص نيّة المصلى فى العمل وأن لا يدفعه للعمل سوى طاعة اللّه، وعليه فالصلاة للرياء والشهرة باطلة حيث تفتقر إلى النيّة الخالصة. وعلى ضوء هذه القاعدّة تبطل الصلاة بالإجبار والإكراه، لأنّ دافعه لم يكن طاعة اللّه، والحال هنالك إجبار فى بعض البلدان الإسلامية على إقامة الصلاة- ولا سيما الجماعة- فما حكم ذلك؟ الجواب: بغض النظر عن الأبحاث المسهبة للعلماء بشأن ماهية العبادة، وبعض مبانيها لا تنسجم مع الإكراه والإجبار، ويبدو أنّ هذا السنخ من العبادات وإن شرع إثر الإكراه والإجبار، إلّاأنّ أثر الإكراه يأخذ بالزوال شيئاً فشيئاً حتى يصبح عادياً ودافعه طاعة اللّه، فعلى فرض أنّ بعض الصلوات تبتدىء بالإكراه فهى باطلة، ولكن منذ إزالة الإكراه فإنّ أعماله خالصة النيّة وبغض النظر عن ذلك يمكن القول أنّ هؤلاء الأفراد ليسوا مجبورين قبل ذلك ليلتحقوا بصفوف الجماعة، وفى هذه الحالة يستطيع هؤلاء الأفراد أن يعقدوا نيّتهم للصلاة ويحصلوا على ثوابها، فمتى أتى بهذه الصلاة كانت صحيحة، لأنّها تستند إلى النية والرغبة.

۴۲ جمع صلاتى الظهر والعصر

سؤال: كيف نصلى العصر أحياناً أوائل الظهر- بعد أداء صلاة الظهر- بينما لم يحن العصر لحدّ الآن، وكيف نصلى الظهر أحياناً فى آخر الوقت والحال مضى الظهر؟ الجواب: لابدّ من الإلتفات إلى أنّ لصلاة الظهر والعصر وكذلك المغرب والعشاء وقت خاص ووقت مشترك، والمراد من الوقت الخاص ما لا يمكن الإتيان بالصلاة خارجه، مثلًا مقدار الأربع ركعات من أول الظهر مختصة بصلاة الظهر، والأربع ركعات من آخر الظهر مختصة بالعصر، وما بين هذين الوقتين مشترك بين الظهر والعصر. كما ينبغى الإلتفات إلى أنّ لكل من الصلاتين فضيلة بحيث لو أتينا بها فيه حصلنا على ثواب أكثر. مثلًا فضيلة صلاة الظهر منذ بداية الظهر حتى يصبح ظل الشخص بطوله، ففى هذه الحالة تمّت فضيلة الظهر ودخل العصر. وعليه فتسمية هاتين الصلاتين باسم الظهر والعصر من حيث وقت فضيلة الصلاتين، لا من حيث الوقت المشترك. فمن صلّى العصر أوائل الظهر فقد أدّى الصلاة فى وقتها ونيّته فى صلاة العصر، أى أصلى صلاة من حيث اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۲۶ الفضيلة وقتها العصر. وعلى أيّة حال أن يؤخرها ويأتى بها- وقت العصر وقت الفضيلة. وكذلك من يصلى الظهر اواخر النهار فانه يأتى بها فى الوقت المشترك و نيته لصلاة الظهر كون وقت فضيلتها الظهر، وهكذا صلاة المغرب والعشاء من حيث الوقت «المختص» و «المشترك» و «الفضيلة». اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۲۷

۴۳ هل للصلاة من دخل فى قبول سائر الأعمال؟

سؤال: قرأت فى كتاب إشكالًا على المسلمين: روى علماء المسلمين فى كتبهم الفقهية أنّ الصلاة ما لم تقبل لن تقبل سائر الأعمال، كما ذكرت فى الكتاب بعض شرائط الصلاة ليست متوفرة فى أحد من الناس! وإن صارت فليست صحيحة، وعليه فعباداتهم وأعمالهم

باعترافهم طيلة عمرهم سوف لن تقبل. فكيف تردّون على هذا الإشكال؟ الجواب: أولًا: يتضح من كتب الفقه أنّ الشرائط المذكورة ليست ثقيلة بحيث لا يمتثلها أحد، بل يستطيع أغلب الناس احرازها على ضوء التفاتهم لأعمالهم، ويمكنك تأييد ذلك بالرجوع إلى الرسالة العملية، وعليه فلا تصح هذه النسبة للإسلام. ثانياً: قبول الصلاة وسائر الأعمال درجات عند اللّه؛ أى ممكن أن لا تحصل عبادة على المقبولية العليا لكن تتوفر فيها سائر الشرائط؛ فكل عبادة صحيحة قطعاً لها درجة من القبول. وعلى هذا الضوء سيكون قبول سائر الأعمال على غرار قبول الصلاة. بعبارة أوضح، إن كانت الصلاة صحيحة وطبق الوصايا الشرعية ستكون مقبولة عند اللّه؛ اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۲۸ غاية الأمر كلّما كان الإنسان أطهر قلباً وأبعد عن الظلم كان قبول صلاته أكبر؛ ذلك لأنّ قيمة كل فعل بقيمة فاعله.

۴۴ الصوم والصلاة فى المناطق القطبية

سؤال: ... يقول بعض الماديين أو غير المسلمين كيف الإسلام دين عالمى بينما لا تطبق تعاليمه إلّا فى وسط كوسطنا؟ فمثلًا لا يصح الأمر بالصلاة والصوم فى المناطق القريبة من القطب الشمالى والجنوبى التى تمتاز بطول ليلها ونهارها (فبعض المناطق ستة أشهر نهار وأخرى ليل)؟ الجواب: إنّ الإسلام تكهن بذلك وشرع أحكامه لتطبق فى كل مكان. توضيح ذلك: ذكر فقهاؤنا ذلك فى كتبهم والتى تبحث جزئيات الأحكام الإسلامية مثلًا ذكر صاحب «العروة الوثقى» «۱» هذه المسألة وأفتى بأنّ هؤلاء الأفراد مكلّفون بالإتيان بالصوم والصلاة طبق المناطق المعتدلة. أى عليهم ملاحظة طول الليل والنهار فى ذلك الفصل (بصورة متوسطة) فى المناطق المعتدلة فيصوموا ويصلوا على أساسه. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۳۰ وبعبارة أوضح فإنّ سكنة المناطق القطبية «۱» حين ترتفع الشمس إلى السماء يعتبرون ذلك «نهاراً» وحين تهبط وتقترب من الأفق ويقل ضوؤها يعتبرونه «ليلًا»، وهكذا يكون من السهل تمييز الليل من النهار، ولو نصبنا شاخصاً على الأرض فأن بلغ ظلّه أقل حدّ فهو «الظهر» وحين يبلغ أقصى حدّ فهو منتصف الليل. و بهذه الطريقة تحل مشكلة تحصيل الظهر و منتصف الليل. ولو علمنا مقدار الليل والنهار فى المناطق المعتدلة آنذاك، مثلًا نعلم فى اول الصيف ان الايام بصورة متوسطة اربع عشرة ساعة و الليالى عشر ساعات فيستضح الصوم والصلوات الخمسة تماماً (تأمل). وعليه فقد اتضح تكليف الصوم والصلاة فى الايام الطويلة. اما الاوقات التى تطول فيها الليالى فلابد من الالتفات الى ان الجو ليس بوتيرة معينة فى الاربع وعشرين ساعة، فاحيانا مظلم واحيانا أخرى مشرق، لأن الشمس تقترب أحياناً من الافق فيكون الجو مثل مابين الطلوعين أو أعمق قليلًا، وأحياناً أخرى تبتعد الشمس و يظلم الجوّ ففى هذه الليالى يمكن تشخيص «منتصف الليل» و «الظهر» من وضع حركة النجوم و بعدها عن الافق و كذلك ظلمة و اشراقة الجو، حيث يمكن الاتيان بالوظائف الشرعية من خلال الاخذ بنظر الاعتبار مقدار متوسط ليل و نهار المناطق المعتدلة. واتضح مما تقدم ان الاحكام الاسلامية و منها وظيفة الصلاة والصوم لاتختص بوسط معين ولابد من الاتيان بها فى كافة المناطق «۲». اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۳۱

۴۵ الصلاة اوّل الوقت

سؤال: صرح بعض العلماء بأنّ إمام العصر أرواحنا فداه يصلى أوّل وقت الصلاة فمن صلى فى هذا الوقت قبلت صلاته ببركته، لكننا نعلم بأنّ الأوقات والآفاق مختلفة وربّما كان لبلد عدّة آفاق، ففى الموضع الذى يصلى فيه الإمام طبق أفقه لا آفاق سائر الأماكن فكيف تحلون هذا الإشكال؟ الجواب: مراد من استدل بذلك أداء الصلاة فى أول الوقت لها وجه مشترك مع صلاة إمام العصر عليه السلام؛ لأنّ صلاته عليه السلام فى أوّل الوقت وببركة وجه الاشتراك هذا تكون فضيلة لصلاة سائر الأفراد، وبالطبع ليس لاختلاف الآفاق من تأثير على هذا الموضوع. وبعبارة أخرى ليس المراد الإتيان بالصلوات فى زمان واحد، بل المراد الاتحاد فى «عنوان واحد» بمعنى «أداء الصلاة فى أوّل الوقت» ولكن كل حسب أفقه.

۴۶ الغناء

سؤال: هل كل صوت عذب وجميل كالغناء حرام؟ الجواب: قطعاً ليس كذلك، لأنّ الروايات الإسلامية وسيرة المسلمين تؤكد على تلاوة القرآن والأذان بصوت عذب، والغناء المحرم الصوت المنسجم ومجالس الفسق والفجور والمعصية والفساد. بعبارة أخرى الصوت الذى يثير القوى الشهوية لدى الإنسان بحيث يشعر فى ظلّه بحاجة إلى الرقص والفجور والفساد! والجدير بالذكر أحياناً «النغمة» تكون غناءً ولهواً وباطلًا، ومضمونها أشعار غرام وطرب، وأحياناً أخرى تكون غناء فقط، بحيث يقرأ أشعار عميقة أو آيات قرآنية ودعاء ومناجاة تناسب مجالس اللهو والفساد فهو حرام فى الحالتين. (لابدّ من التامل). طبعاً للغناء مصاديق مشكوكة (كسائر المفاهيم) بحيث لا يدرى الإنسان هل الصوت الفلانى يتناسب ومجالس الفسق والفجور أم لا؟ اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۳۴ فيحكم هنا طبق أصل البراءة حلّيته (بعد العلم الكافى بالمفهوم العرفى للغناء طبق التعريف المذكور). ويتضح من هنا أنّ لا دليل على حرمة الأصوات والنغمات الحماسية التى تنسجم مع ميادين القتال أو الرياضة و ما شابه ذلك.

۴۷ حكم الشطرنج

سؤال: هل من إشكال فى اللعب بالشطرنج؟ إذا كان من غير رهن؟ بل يمكن القول إنّه يحول أحياناً دون لعب القمار. كما أنّ الشطرنج رياضة فكرية عالمية. أرجو بيان رأيكم؟ الجواب: المشهور بين الفقهاء حرمة اللعب بصورة عامة بآلات القمار- حتى دون الاشتراط- ولعلّ فلسفة هذا الموضوع أنّ التعامل مع هذه الالات يؤدّى بالانسان- شاء أم أبى- إلى القمار، لاسيما بالنسبة للعب الشطرنج حيث تواترت الأخبار عن الأئمة عليهم السلام التى منعت استعمال آلات هذه اللعبة- كيفما كان العنوان- ولكن بالنظر إلى تحول شكل الشطرنج فى الوقت الراهن بحيث إكتسب صبغة رياضة فكرية فى معظم مناطق العالم ليصبح بالتالى كرياضة فى ميادين الرياضة العالمية، فلا إشكال فيه ما لم ينطوى على ربح وخسارة والروايات واردة حين كان من آلات القمار. فالأحكام تابعة على الدوام للموضوعات، فالخمر نجس، وحرام لكنّه يطهّر ويحلّ إن تبدّل إلى خلّ، فهل تغيّر حكم اللَّه؟ طبعاً لا، بل تغيّر الموضوع، او تبدّل الدم لبنا أو تحوّل اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۳۶ الماء النجس فى عروق الشجرة إلى ثمرة، فالحكم يتغيّر فى جميع هذه الموارد وذلك تبعاً لتغير الموضوع. أفلا ينبغى تبدل حكم الشطرنج إن خرج من صيغة القمار وتحوّل إلى وسيلة رياضية (طبعا بشرط ان لا يتضمّن ربح وخسارة مالية) وبالطبع أنّ نظر إليه لحد الان فى بعض المناطق كآلة قمار فلايجوز اللعب به.

۴۸ كيف يصلّى الناطقون باللاتينية

سؤال: لو أسلمَ أبناء البلدان اللاتينية وأرادوا الصلاة والدعاء، فهل يسعهم تعلم العربية بطريقة التجويد؟ الجواب: كلّنا نعلم بأنّ أغلبية أبناء هذه البلدان هم من الناس الدارسين فليست هنالك من صعوبة عليهم فى تعلم الصلاة والقرآن، ولعل أغلبهم يتعلمون العربية للاستشراق، مثلنا حين نحاول تعلم لغتهم ونتكلم بلهجتهم. وأمّا تلك الأقلية فلهم أن يتعلموا على قدر استطاعتهم واللَّه لا يكلفهم أكثر من طاقتهم- ففى الوقت الذى يجب فيه على الجميع أداء الصلاة والقرآن بالعربية، مع ذلك فتكليف كل فرد يتوقف على قدرته واستطاعته- فالاسلام لا يكلف احدا فوق طاقته ووسعه.

۴۹ السجود عند قبر الإمام

سؤال: هل يجوز السجود على قبور الأئمّة عليهم السلام؟ الجواب: يختص السجود باللَّه ولا يجوز لغيره كائناً من كان، فمن فعل ذلك فمن باب الجهل بمبانى الدين ولابدّ من تنبيهه إلى عدم جواز السجود للإمام عليه السلام. ولكن ينبغى الالتفات إلى أنّ السجود على

التربة المأخوذة من الأماكن المقدّسة لا تعنى السجود لصاحبها، بل طبقاً للروايات والأخبار فإنّ السجود على هذه التربة بغية الخضوع والخشوع للّه (على أن لا يكون موضع السجود ممّا يؤكل أو يلبس أو من المعادن) والتربة الحسينية تربة طاهرة حَظِيَت بشرف وقدسية حين سالت عليها دماء الحسين عليه السلام لنصرة دين اللّه. واستناداً إلى مبادى المحاكاة والتداعى فإنّ السجود على تربة كربلاء يثير لدى المصلى مشاهد تضحية سيد الشهداء عليه السلام ويوقظ القلوب ويربى فيها حب التضحية والفداء.

۵۰ ما حكم هذه الرياضات

سؤال: هل بعض الرياضات الثقيلة كالملاكمة محرّمة فى الإسلام، وهل تجوز لأولئك الذين يحترفونها كمهنة؟ الجواب: جميع الرياضات والأنشطة البدنية كافّة المفيدة لسلامة البدن والتى تخلو من الخطر جائزة ما لم تتضمن أعمالًا خلافية. وحيث حظر الإسلام كل عمل يتضمن خطراً أعلى الشخص أو غيره، ولا تخلو الملاكمة من الخطر فهى ممنوعة. و عليه لابد من الحذار من هذه الرياضات وكما نعلم فقد خلقت هذه الرياضة العديد من الضحايا و قد فقد الكثير حياته فى هذا المجال. و على هذا الاساس ففى الرياضات النافعة- ان عاد نفعها على المجتمع- فلااشكال فيها والا فهى ليست جائزة. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۴۳

۵۱ أسئلة مسلم أمريكى

بعث إلينا مسلم أمريكى بعدّة أسئلة نافعة نوردها مع أجوبتها: سؤال ۱: المقررات المتعلقة بالزواج والطلاق مختلفة فى مختلف الولايات الأمريكية، إلّاأنّ أصولها واحدة تقريباً، فما تكليف المسلمين الأمريكيين بالنظر إلى عدم وجود وكيل مسلم يقوم بعقد الزواج؟ من يستطيع تقنين هذه المسألة، وهل من الضرورى اعطاء المهر للمرأة؟ الجواب: يستطيع الرجل والمرأة فى أمريكا توكيل من يمكنه إجراء صيغة العقد، فإن أجرى الصيغة أصبحت قانونية شرعاً، وإن تعذر عليهما ذلك يمكنهما إجراء العقد بنفسيهما، ولهما أن يعقدا بالانجليزية إن تعذرت العربية، وليس من الضرورى تعيين المهر حين العقد وللمرأة أن تطالب بالمهر الذى يناسب وضعها بعد العقد. وعليه فالمهر ضرورى، ولكن تستطيع المرأة التنازل عن المهر أو بعضه. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۴۴ سؤال ۲: هل يمكن أداء صلاة الجمعة ليلًا أو يوم الأحد كون الجمعة يوم عمل فى البلدان الغربية، وهل يجوز الاستفادة من وسائل الموسيقى فى المسجد؟ الجواب: لابدّ من الإتيان بصلاة الجمعة فى وقتها كسائر الأحكام الإسلامية، ولا يمكن الإتيان بها فى أى وقت آخر. ولا يجوز الاستفادة من الآلات الموسيقية مطلقاً فضلًا عن استعمالها فى المسجد. سؤال ۳: هل يجب على المسلمة الأمريكية التى تريد الصلاة فى المسجد إرتداء ثياب معينة أم تكفيها ثيابها العادية؟ إن كان الجواب بضرورة إرتداء غير ثيابها فما سبب ذلك. الجواب: لا يجب عليها ذلك والواجب عليها ستر البدن غير الوجه والكفين. سؤال ۴: كل من نطق بالشهادتين فهو مسلم، فإن كان شرط الإسلام فقط هذا، فهل يعتبر هو المقياس لإسلامية الفرد؟ مثلًا كيف يُعدّ الشخص مسلماً وهو لا يصلى ولا يصوم ولا يزكى ولا ينتهى عن المعاصى؟ الجواب: الإسلام مراحل؛ المرحلة الأولى التوحيد والنبوّة والمعروفة بالشهادتين؛ والمراحل لأخرى الالتزام بأحكام الإسلام وما يوصل الفرد إلى السعادة، أى العقيدة والإيمان المقرون اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۴۵ بالعمل. وعليه فمن نطق بالشهادتين ولم يمتثل الأحكام فلا تجرى عليه سوى أحكام الإسلام الاجتماعية، لا أنّه مسلم اصيل يأمل الوصول إلى السعادة. سؤال ۵: هل يجب الختان على الأمريكى البالغ إن أسلم (ما لم يكن مختوناً)؟ الجواب: الختان واجب على المسلمين، ويجب حتى على من أسلم بعد البلوغ. سؤال ۶: لمن ينبغى أن يدفع المسلم الأمريكى الزكاة وكيف يحسبها من راتبه الشهرى؟ الجواب: لا زكاة على الراتب الشهرى، لكن هنالك واجب آخر هو (الخمس) وبالنظر إلى أنّ الوسط الأمريكى تجارى وصناعى، فهذا الحكم يشمل عادة دخل المسلم الأمريكى، فالشخص الذى له مرتب شهرى ودخل مشمول بالخمس فعليه أن يحسب كل عائداته السنوية، ويطرح منها نفقاته السنوية ويخمس الباقى فى بيت المال. جدير بالذكر أن نصف الخمس- أى العشر- يعطى لفقراء السادة الذين تحظر عليهم الزكاة، والعشر الآخر

يصرف فى المصالح الإسلامية بإجازة المجتهد العادل ومن يتقاضى مرتباً شهرياً يستطيع أن يقسم المبالغ السنوية كافّة التى يجب فيها الخمس على اثنى عشر شهراً ويدفع كل شهر قسماً منها. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۴۶ سؤال ۷: نظمت الأوضاع الاقتصادية هنا بحيث يضطر الفرد لشراء حاجاته كالدار والسيارة و ... بالاقساط، فما وظيفة المسلم الأمريكى وهو يعلم أنّ فى هذه المعاملة ربّح لا يقرّه الإسلام؟ الجواب: المحرم فى الإسلام هو القرض مع الربح، مثلًا يقترض شخص مبلغاً من آخر بشرط أن يدفع أكثر فهذا ربا وحرام، أمّا شراء السلع ودفع ثمنها بالأقساط فلا يعدّ ربا، ولا إشكال حتى مع كون قيمة النسيئة أكثر من النقد. سؤال ۸: هل يجوز للمسلم الأمريكى الرجوع إلى المحاكم الأمريكية؟ الجواب: إن توقف استنقاذ الحق على الرجوع إلى المحاكم الأمريكية جاز له ذلك. سؤال ۹: يجوز للمسلم أن يتزوج من الكتابية وليس للمسلمة ذلك، فإن كان هذا صحيحاً فما علّة ذلك؟ وإن حرّم الإسلام الزواج من المشركة أفلم يحرم الزواج من النصارى الذين يعتقدون بالتثليث والوهية المسيح وشفاعة البابا؟ إلّاينبغى تعريف المسيحى كما هو؟ كما يقال إنّ الزواج من الملحدين حرام، فهل يستطيع المسلم الزواج من شيوعية؟ وهل يجوز الزواج من كاثوليكية فيجبر على إقامة المراسم من قبل قس كاتوليكى فى الكنيسة ويوقع سنداً بالتزام أولاده بتعاليم الكاثوليكية؟ اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۴۷ الجواب: للمسلم الزواج المؤقف فقط من الكتابية، وفلسفة عدم جواز الزواج الدائم من النساء لأنّهنّ غالباً ما يخضعن فى وسطهن للتأثير الفكرى للرجال ولعلهنّ تخترن عقائدهم وأفكارهم، وعليه فالمسلمة لو تزوجت من كتابى ربّما تتأثر بأفكاره وتهتز عقائدها، ومن هنا لا ينبغى للمسلمة الزواج من غير المسلمين، والأمر ليس كذلك بالنسبة للرجل، وهنالك فارق بين المسيحى والمشرك، فالإسلام لا يعترف بالشرك قط، ويمكن توضيح الفارق فى أمرين: ۱- إنّ المشرك والوثنى لا يقرّ بالنبوة الأصل الثانى بعد الإيمان بوجود اللّه فى الاديان السماوية كافّة، وعلى هذا الأساس فلا سبيل لقبوله التعاليم السماوية والهدى للسعادة الأخروية. ۲- شرك الوثنيين ظاهر وجلى، خلافاً لشرك النصرانية الأضعف من سابقه، ورغم التثليث فهم يتحدثون عن الوحدة ويزعمون أنّ التثليث لا يقدح بها (مع أنّ ذلك تناقض مرفوض). والزواج من الملحد لا يجوز، وعليه ليس للمسلم الزواج من ملحدة وكذا المسلمة. فمن اعتبر اللّه عقيدة نظرية فهو ملحد ولا يجوز الزواج منه. وليس لمسلم حق التعهد بأن يصبح اولاده نصارى فى المستقبل. سؤال ۱۰: هل للمسلم الأمريكى حضور أعياد سائر الأديان سيما عيد الفصح وعيد الميلاد وبعث التهانى والهدايا وما شابه ذلك ...؟ الجواب: ليس من الصحيح للمسلم إشاعة السنن والآداب غير الإسلامية وحضور هذه المناسبات، بالإضافة إلى أنّ بعض هذه الأعياد لا تستند إلى أساس صحيح وترافقها بعض اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۴۸ المراسم المحظورة، فعلى المسلم أن يشيع السنن الإسلامية. سؤال ۱۱: هل تجوز بعض مراسم الدفن السائدة فى امريكا كاستعمال المواد الكيمياوية للحيلولة دون تعفن الميت ووضعه فى تابوت؟ هل يجب أن يكون الكفن أبيضاً؟ وهل يمكن الاستفادة من الثياب العادية؟ وهل يجوز إحراق جسد الميت؟ وهل تجوز إقامة مراسم عزاء المسلم فى الكنيسة؟ ... وما تكليف المسلم البعيد عن المسجد فى هذه الأمور؟ الجواب: الكفن للمسلم- حسبما ورد فى الشريعة- واجب، فلا يجوز دفنه بالثياب العادية، ولا ضرورة لأن يكون الكفن أبيضاً. وإحراق جسد الميت حرام ولابدّ من دفنه فى التراب وكيفيته أن يُوارى الثرى ولا يظهر منه شىء بحيث لا تشم رائحته ويصان من الحيوانات. ولا مانع من استعمال المواد الكيميائية للحيلولة دون التعفن- ما لم يتضمن إهانة للميت المسلم- وكذلك وضعه فى التابوت بعد القيام بمراسم الدفن وما لم يكن تقليداً لأسلوب أتباع سائر الأديان. من الأفضل أن لا تقام مراسم عزاء وتشييع الميت فى الكنيسة، و يمكن لمن كان بعيداً عن المسجد إقامتها فى أماكن أخرى أو فى البيوت أو الامتناع عن إقامة المراسم. سؤال ۱۲: هل أستطيع أكل اللحوم فى المطاعم مع جهلى بها؟ عادة لا اطمئنان بأنّ الذبح شرعى، فما العمل؟ هل يمكن للمسلم أن يدفع أكثر ويتناول من ذبيحة اليهود؟ اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۴۹ الجواب: لا يجوز تناول اللحوم فى الأوساط غير الإسلامية إلّاإن كان بائعاً أو صاحبها مسلماً. ولو اشترى المسلم اللحوم من غير المسلم، وأيقن بأنّه مطابق للشرع فلا مانع من تناوله، وتحرم على المسلم ذبيحة اليهود والنصارى. سؤال ۱۳: كيف يعد المسلم الأمريكى أسباب الحج وما مقدار التكاليف؟ الجواب: على كل مسلم الحج إن كان قادراً ولديه أموال فائضة على تكاليفه السنوية، وللوقوف على

مقدمات السفر من قبيل أموال الذهاب والإياب وجواز السفر فلابدّ من مراجعة شركات الخطوط الجوية فى أمريكا والدوائر الأمريكية الحكومية. سؤال ۱۴: ما وظيفة المسلم الأمريكى إزاء الوصية والإرث والتى تجرى غالباً على خلاف الأحكام الإسلامية؟ الجواب: إن تعذر على المسلم العمل بالأحكام الإسلامية وكان هنالك فارق بين القوانين المدنية الأمريكية والأحكام الشرعية فله أن يمتثل قوانين أمريكا ولا إثم عليه. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۵۰ سؤال ۱۵: هل ترجّح القوانين الإسلامية «الضمان العام» على «الضمان التجارى»؟ ولو استطاع المسلم الأمريكى الحصول على الضمان التجارى بمقدار أقل فما تكليفه، وهل يحق له المساهمة فى هذا الضمان؟ الجواب: الضمان التجارى- بناءً على كونه أحد العقود وتشمله الأحكام الكلية- فهو صحيح وقانونى، ولا فرق بين هذين النوعين صحة وقانوناً- وعليه فللمسلم حق الضمان التجارى والمساهمة. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۵۱

۵۲ ما وظيفة المرأة فى المجتمع؟

سؤال: حسب فتاوى الفقهاء لا يجب على المرأة القيام بأعمال البيت والرضاع وحفظ الأطفال، ونفقاتها على الزوج وليس عليها العمل خارج البيت، فما وظيفة المرأة إزاء المجتمع؟ الجواب: إنّ الإسلام أراد أن يرفع من شأن المرأة فى المجتمع ويفسح لها لمجال إن أرادت القيام بهذه الأعمال التى لم يوجبها عليها، ولها أن تمارس هذه الأعمال وتستحق عليها الأجرة؛ ولكن ينبغى الإلتفات إلى أنّ عدم إيجاب شىء غير منعه! نعم لم يوجب الإسلام إدارة شؤون البيت على المرأة ليرفع من شأنها كى لا تصبح عبدة، حيث أوكل هذا الأمر فى الواقع إلى فطرتها ورغباتها الطبيعية- طبعاً الأُم حنونة بأولادها والعكس صحيح، ولعل شعور الأمومة يدفعها لإرضاع وليدها والجد فى تربيته، كما للمرأة رغبة شديدة فى إدارة شؤون البيت- وما زالت المرأة تقوم بهذه الوظيفة بصورة طبيعية ولها حق الأجرة عند الضرورة.

۵۳ هل الخمس أجر الرسالة

سؤال: لا شك فى أنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله لم يسأل الأجر إلّامن اللّه على كل هذه التضحيات من اجل الرسالة، وإن لاحظنا فى بعض الآيات التى تحدثت عن «المودة فى القربى» كأجر للرسالة، فهذا بدوره خدمة أخرى للناس وحث على هدايتهم؛ ذلك لأنّ مودة أهل لبيت عليهم السلام توجب الاقتداء بهم وهذه سعادة، ولكن ما معنى وجوب الخمس الذى يعطى نصفه للسادة؟ أليس هذا أجر على الرسالة؟ الجواب: نعلم أنّ مصرف «الخمس» فقط «فقراء السادة» لا جميعهم، ولو زاد خمس الأموال المخمسة عن حاجات السادة لوجب رده إلى بيت المال ليصرف فى المصالح العامة، ولو كانت حاجاتهم أكثر من الخمس لوجب قضاؤها من بيت المال- من جانب آخر فليس للسادة من حق فى الزكاة (اللّهم إلّاأن تكون من زكاة السادة). وعليه فالخمس فى الواقع بدل الزكاة المعطاة لسائر الفقراء وشروط اعطائها لفقراء السادة كشروط منحها لسائر الفقراء، غايته تدفع لهم بشكل آخر حفظاً لحرمة جدهم رسول اللّه صلى الله عليه و آله، وعليه فهى ليست بأجرة على الرسالة قط.

۵۴ أليس الخمس دعماً للتمايز الطبقى؟

سؤال: ورد عن أحد كبار الشيوعية أنّه قال: لقد تأملت جميع الاديان علىّ أعتنق أحدها فرأيت أفضلها الإسلام وللأسف حين حاولت اعتناقه صدمت بنقطة ضعف تكمن فى منحه الإمتيازات من قبيل الخمس للسادة. الجواب: كما قيل فى جواب السؤال السابق ليس هنالك من فارق أساسى بين الخمس «۱» والزكاة؛ أى كلاهما يتعلق بأفراد المجتمع من الفقراء والضعفاء والعاجزين، حيث يعطى كل بقدر حاجته، ومازاد على ذلك فهو جزء من بيت المال، وكل ما هنالك وحرمة لأبناء رسول اللّه فقد لبيت حاجاتهم من خلال عنوان غير عنوان الزكاة. من الطبيعى أن يكون هذا الاحترام المعنوى للسادة من جانب اللّه نوعاً من التكريم لرسول اللّه صلى الله عليه و آله

وتفانيه فى نشر الدعوة. والخلاصة خلافاً لِما يتصوره البعض فإنّ قانون الخمس لا يشجع التمايز الطبقى، ولا يفرق عن الزكاة من الناحية المادية بالنسبة للفقراء، اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۵۶ أى لن يعطى السادة أموالًا إضافية بالنسبة لسائر المحتاجين قط، والخمس لا يعطى للمتمكنين من السادة باى شكل من الأشكال.

۵۵ بلوغ البنين والبنات

سؤال: ثبت فى علم الفسلجة (علم وظائف الأعضاء) أنّ المرأة أضعف من الرجل من حيث القوّة البدنية، مع ذلك اعتبر الإسلام بلوغ البنت بعد التاسعة من عمرها وحدد لها بعض التكاليف، بينما عدّ تكليف الولد فى السادسة عشرة من عمره، فما فلسفة ذلك. الجواب: ما أثبته التحقيق العلمى أنّ نمو المرأة أسرع من الرجل. وعليه فالمدّة التى يطويها الرجل ۱۵ سنة، تجتازها المرأة فى ۹ سنوات، ولا يقتصر هذا الأمر على الرجل والمرأة. بل يشمل جميع الكائنات الحيّة. والخلاصة كل كائن ألطف يكون نموه أسرع، ومن هنا فإنّ أغلب البنات ينضجن جنسياً وتؤهلن للأمومة فى سن الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة من العمر، بينما لا يعيش الولد مثل هذه الحالة.

۵۶ هل ينبغى التحقيق فى المسائل الدينية أم التقليد؟

سؤال: هنالك بعض الأفراد الذين ينكرون مسألة «التقليد» فى الأحكام ويزعمون أن وظيفة الجميع التحقيق فى المسائل الشرعية، ويستقون الأحكام قاطبة من القرآن وسائر المصادر الإسلامية للأسباب التالية: أولًا: يشجب القرآن أنواع التقليد كافّة وينتقد باستمرار التقليد الأعمى. ثانياً: التقليد نوع اتباع دون دليل والعقل والمنطق يرفض التقليد الذى يفتقر إلى الدليل. ثالثاً: التقليد أساس تفرقة صفوف المسلمين، فالمراجع متعددون وآراؤهم مختلفة. الجواب: إننا نعتقد بأنّ أصل كل هذه الإيرادات يعود إلى شىء واحد وهو: أنّ لمفردة التقليد معنيين؛ معنى اعتيادى يفهم فى العرف العام ويستعمل فيه لفظ التقليد فى الحوارات اليومية، ومعنى علمى يبحث أيّة علاقة بالمعنى الأول. توضيح ذلك: يصطلح بالتقليد فى الحوارات اليومية على الأفعال الطائشة التى يتبع فيها بعض الأفراد غيرهم دون الاستناد إلى أىدليل. وبالطبع فإنّ هذه التبعية العمياء لهؤلاء اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۶۰ الأفراد الجهال لنظرائهم الجهال من الآخرين عمل مذموم وقبيح لا ينسجم مع المنطق ولا مع روح التعاليم الإسلامية؛ وليس هنالك من عاقل ذى شخصية وفكر مستعد لتقليد هذا وذاك تقليداً أعمى فيأتى بكل فعل مشين يأتى به الآخرون. وهذا هو التقليد الذى تشبث به الوثنيون لتبرير أعمالهم وكانوا يزعمون: أنّ الوثنية دين آبائنا ولسنا مستعدين لمخالفتهم. وقد ذكر القرآن منطقهم بهذه الآية فقال: «إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ» «۱» فهؤلاء يحتجون على أعمالهم الطائشة (السجود للحجر والخشب) بأعمال آبائهم فيقلدون تقليداً أعمى معتقداتهم الخرافية. وهذا هو التقليد الذى يكون مصدراً لمضاعفة حجم المفاسد الاجتماعية والأدناس والانغماس فى الشهوات، وهو ذات التقليد الذى أشير له فى شعر المولوى. وكما قلنا فإنّ هذا هو المعنى الذى استندت إليه حملات الجهال كافّة على مسألة التقليد. إلّاأنّ للتقليد فى الاصطلاح العلمى مفهوم مغاير تماماً لهذا المفهوم، ويمكن تعريفه «برجوع الأفراد غير المتخصصين إلى ذوى الاختصاص فى القضايا الاختصاصية»؛ أى رجوع الأفراد فى المسائل العلمية كافّة التى تتطلب بعض التخصصات ويتوقف إدراكها على المطالعات والدراسات التى تستغرق سنوات إلى العلماء والمفكرين الموثوقين- حين الحاجة- والاستفادة من أفكارهم. والتقليد بهذا المعنى والذى أشير له فى المصادر العلمية والذى يعبر عنه أحياناً برجوع غير العالم إلى العالم هو أساس الحياة البشرية فى المجالات الصناعية والزراعية والطبية كافّة وأمثال ذلك. ولو زال هذا الموضوع من الحياة البشرية؛ لما رجع أى مريض إلى طبيب وإنسان إلى معمار وشخص إلى حقوقى فى القضايا الحقوقية، كما لا يرجع أى فرد إلى خبير وميكانيكى واختصاص فى سائر المجالات، ولانهارت الحياة الاجتماعية برمتها وظهر الفساد فى المستويات كافّة. والقضايا الدينية ليست بدعاً من ذلك؛ طبعاً الأفراد كافّة موظفون بالتحقيق فى الاصول العقائدية- أى معرفة اللّه والنبى والإمام والمعاد- ولا يبدو هذا اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۶۱ التحقيق صعباً

ومعقداً، ويستطيع كل فرد التعرف على هذه الأصول على ضوء الدليل والمنطق المناسب لفهمه وإدراكه، بينما يتعذر التخصص على الأفراد والاستفادة من المصادر الدينية- القرآن والحديث والدليل والعقل والإجماع- للتوصل للأحكام فى المسائل المرتبطة بالأحكام الإسلامية فى باب العبادات والمعاملات والسياسات الإسلامية، والأحكام المتعلقة بالفرد والأسرة والمجتمع والصلاة والصوم والجهاد والديات والحدود والقصاص والزواج والطلاق والآف المسائل المختلفة والمرتبطة بجوانب حياة الناس. وعليه فهم مضطرون للرجوع فى هذه المسائل إلى العلماء والمراجع المعتمدين؛ العلماء الذين جدّوا لسنوات فى المسائل الإسلامية ولهم معرفة تامة بالكتاب والسنة والأخبار والروايات. وعلى هذا الضوء يتضح بجلاء أنّ هذا الرجوع ليس من قبيل التبعية دون دليل، بل هذا الاتباع يستبطن الدليل العقلى والنقلى وهو أنّ نظرية الشخص العالم والمتخصص ألصق بالحقيقة ولا- يجانبها قط، ولو أخطأ لكان خطأه محدوداً، بينما لا يكون رصيد أعمال الجاهل الذى يتصرف وفق رأيه ومعتقده سوى الزلل والخطأ. مثلًا، لو رجع الشخص حين مرضه إلى الطبيب وكتب له الوصفة، فربّما يخطىء الطبيب، إلّاأنّ المفروغ منه أنّ أخطاءه طفيفة جدّاً بالنسبة للنتائج التى يحصل عليها من وصفته، طبعاً المراد الطبيب الماهر والمتخصص، ولكن لو تحفظ المريض عن الرجوع إلى الطبيب، وتناول ما يشاء من دواء حسب رغبته وفكره، فمما لا شك فيه يكون قد اقترف عملًا غاية فى الخطورة، وما أكثر ما يؤدّى به هذا الأمر إلى الوفاة. النتيجة: تبعية غير العالم للعالم تنطوى دائماً على دليل إجمالى ومنطقى. ومسلّم أيضاً أنّ هذا التقليد والاتباع لا يدلّ على أى مثلبة فى شخصية الإنسان، بل بالعكس دليل على شخصيته، لأننا نعلم بأنّ دائرة العلم على قدر من السعة بحيث هنالك عشرات وأحياناً مئات الفروع التخصيصة فى علم معين، ولو كان للإنسان عمر نوح وعقل ابن سينا فلا يسعه قط التخصص فى واحد بالمئة من هذه العلوم. وعليه فلا مناص له من الرجوع إلى الآخرين فى اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۶۲ غير اختصاصاته. فيرجع المهندس مثلًا حين يمرض إلى زميله الطبيب، والطبيب إلى زميله المهندس إن أراد بناء دار، كما يعود الاثنان إن حدث عطل فى سيارتيهما إلى الميكانيكى، كما يرجع الجميع فى الأحكام الإسلامية التى يجهلونها إلى علماء الدين. نعم بقى هنا ما يقال: ما الضير فى أن يرجع الإنسان إلى العلماء فى المسائل التى يحتاجها ويسألهم عن دليل كل مسألة. إلّاأنّ ذلك كمن يقول: ما المانع فى أن يسأل الإنسان الطبيب حين يراجعه ويكتب له وصفة بالدواء عن دليل كل فقرة فيه و كيفية استعماله، فهل يمكن أن يقدم الأطباء للناس أدلة وصفاتهم، ولو فرض قيامهم بمثل هذا العمل، فهل يسع الشخص الذى لا يدرك علم التشريح والفسلجة وخواص الأدوية أن يفهم من الطبيب معنى هذه الاصطلاحات ويقوم بمعالجة نفسه. فإنّ المتفوهون بهذه الكلمات لا يدرك أصلًا سعة العلوم الإسلامية؛ ولا يعلم هذا بأنّ الوقوف على جميع جزئيات القرآن وعشرات الآف من الحديث ودراسة الرجال فى سلسلة سند الأحاديث وتمييز صحيحها من سقيمها وغثها من سمينها وفهم لطائف الآيات والسنة يتطلب عدّة سنوات ليبلغ الشخص درجة التخصص فى هذه المسائل. فقد يتطلب فهم بعض الأحكام الإسلامية المرتبطة مثلًا بالزواج والطلاق وحق الحضانة وتربية الأطفال وأمثال ذلك الاستغراق فى عدّة آيات وعشرات الأحاديث وتأمل رجال سند الحديث من خلال كتب الرجال والرجوع إلى مختلف المصادر اللغوية بشأن بعض المفردات والوقوف على استعمالاتها فى العربية. فهل يسع جميع الأفراد الوقوف على كل هذه التفاصيل فى الموارد المتعلقة بالمسائل الإسلامية كافّة؟ أوَلا يعنى هذا الكلام تخلى الناس عن أعمالهم والتحول إلى طلبة للعلوم الدينية؟ ولا يعلم بالطبع ما إذا كان جميع الأفراد مستعدين لبلوغ الاجتهاد وقريحة استنباط الأحكام الشرعية، ولربّما كان لهم استعدادات أخرى أمّا ما يقال من أنّ الرجوع إلى مراجع الدين مدعاة للاختلاف فهذا من العجب العجاب. أولًا: مراجع التقليد فى كل عصر شخص أو شخصان غالباً، بينما لو أراد جميع الأفراد اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۶۳ ابداء آرائهم فى الأحكام الإسلامية لتعددت هذه الآراء حسب عدد المسلمين، وأثر ذلك لا يخفى فى الاختلاف والتفرقة. ثانياً: اختلاف المراجع فى المسائل ذات الدرجة الثالثة والرابعة، ولا اختلاف فى المسائل الأصولية والأساسية، ومن هنا نلاحظ اصطفاف جميع الأفراد الذين يختلفون فى تقليدهم فى صلاة الجماعة فى صف واحد ولا أن يحول اختلاف الإفتاء فى المسائل الجزئية دون انسجامهم فى الجماعة، أو أنّهم يحجون جميعاً ويأتون بمناسك الحج فى أيّام معينة دون أن يؤدّى اختلاف الفتوى إلى أيّة مشكلة حتى بالنسبة لأفراد قافلة.

كل ذلك يشير إلى أنّ اختلاف الفتوى فى المسائل لا يمس بوحدة المسلمين. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۶۵

۵۷ الولاية والبراءة

سؤال: ما المراد بالتولى والتبرى وهل يمكن تطبيقهما فى عالمنا المعاصر؟ الجواب: عادة ما يشبهون الإسلام بشجرة عملاقة جذورها المبانى والأسس العقائدية وفروعها التعاليم العملية ويذكرون عشرة مواضيع بصفتها أساسياته، والحال المفاهيم الإسلامية أوسع من ذلك بكثير، إلّاأنّ أهميّة هذه الاساسيات العشرة كونها تصدرت المرتبة الأولئ وإلّا فالمسألة لا تقتصر عليها. وتقسم هذه المواضيع العشرة إلى ثلاث فى العبادة والعلاقة مع اللّه- الصلاة والصوم والحج- واثنين فى الأمور الاقتصادية والعلاقة مع الخلق- الزكاة والخمس- وخمسة فى الأمور الاجتماعية والسياسية- الجهاد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والتولى والتبرى- والكلام فى الفرعين الأخيرين بمعنى الحب والبغض- فمن نحب ومن نبغض؟ نحب أولياء اللّه وأصحاب الحق ودعاته وأنصار العدالة، ونبغض الآثمين والظالمين والمتهتكين وأعداء اللّه. لم لا نحب الجميع؟ لم لا نكون محسنين مع جميع الخلق؟ وهل يمكن التغاضى اليوم اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۶۶ عن التعايش السلمى مع الجميع؟ ولابدّ هنا من طرح سؤال على أصحاب أطروحة حبّ الجميع ومهما كانت الظروف. هل نحبّ فى هذا العالم، الظالم والمظلوم والمستعمر (بالكسر) والمستعمر (بالفتح) والغاصب والمغتصب والطاهر والنجس؟ وهل نساعدهم جميعاً وتعاملهم ذات المعاملة؟! وهل هناك من منطق يقرّ بهذا؟ والغرض من هذين المفهومين تخندق صفوف الحق والعدل والطهر وانفصالها عن صفوف الباطل والظلم بغية تضييق الخناق عليهم وتشديد المحاصرة الاجتماعية والاخلاقية عليهم سيما من قبل العناصر الفاعلة والخيرة. فهل يتقبل بدن الإنسان جميع الأطعمة؟ أليس ذوق الإنسان وسيلة للتولى والتبرى بغية التميز بين الطعام النافع والضار؟ ولو تناول الإنسان طعاماً مسموماً فهل تستسلم المعدة وتسلمه إلى الموت، أم تسعى سعيها وتوظف كل قواها لتقذف بهذا الطعام من خلال نفرتها منه بالاستفراغ؟ أوَليس الجذب والدفع سر بقاء عالم الوجود؟ فكيف يستثنى المجتمع البشرى من توازن هاتين القوتين بصيغة تولى وتبرى؟ وبعكس ذلك سوف يسارع هذا المجتمع إلى الموت، ومن هنا ورد فى الحديث عن النبى صلى الله عليه و آله: «إن أوثق عرى الإيمان الحبّ فى اللّه والبغض فى اللّه» «۱». اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۶۷

۵۸ الصوم فى الأديان السابقة

سؤال: هل كان الصوم فى الأديان السابقة؟ الجواب: صرح القرآن «۱» أنّ فريضة الصوم كانت فى الأديان التى سبقت الإسلام وما زال العهد الجديد والقديم يتضمنان التعاليم المتعلقة بالصوم ومنها: ۱- كان الصوم سائداً لدى الأمم والطوائف كافّة وفى ظلّ مختلف الظروف الشاقة (بولس، ۳: ۵). ۲- صام موسى عليه السلام أربعين يوماً (سفر التثنية، ۹: ۹). ۳- حين سنحت الفرصة لليهود وأرادوا الخضوع صاموا ليحصلوا على رضى اللّه (سفر داوران ۲۰: ۲۶). ۴- أمر المسيح حواريه بالصوم بعد وفاته (انجيل لوقا، ۵: ۳۴).

۵۹ القبلة فى القمر

سؤال: ما قبلة من يهبط على القمر؟ الجواب: القمر سيارة تدور حول الأرض وحجم القمر «۱» بالنسبة للأرض ۱۱۴، وكما يلمس سكان الأرض طلوع القمر وغروبه فالعكس صحيح؛ وأحياناً يظهر كله أو بعضه وأخرى يختفى تماماً. وعليه فحين تطلع الأرض فإنّ مجموع الكرة الأرضية قبلة من يصلى فى القمر، ووقوفه إزاء الأرض (أو إزاء الخط العمودى الذى يمر من جانبى الأرض) إنّما هو وقوف فى الواقع مقابل الكعبة ويتحقق استقبال الكعبة وهو الشرط فى صحة الصلاة، ولكن حين تغيب الأرض عن أنظار سكنة القمر فيكون استقبال الكعبة بهذا الشكل حيث يعتبر الموضع التقريبى للأرض خلف أفق القمر ويقف على الخط العمودى على الكعبة من

جانبی الأرض. والجدیر بالذکر أنّ القبلة لیست الکعبة بمفردها، بل امتدادها من الجانبین الأسفل اجوبة المسائل الشرعیة، ص: ۳۷۰ والأعلی- فی السماء قبلة أیضاً؛ أی کل من یقف علی الخط العمود علی الکعبة ویمر منها إنّما یقف نحو القبلة، وعلی هذا الضوء تتضح قبلة سکنة القمر حین تکون الأرض خلف القمر.

۶۰ تعیین القبلة بالشمس

سؤال: هل یمکن تعیین القبلة من خلال الشمس، کیف ذلک إن أمکن؟ الجواب: إذا کانت قبلة الشخص محاذیة للنقطة الجنوبیة (کنواحی غرب العراق) فإن وقف حین الظهر إزاء الشمس ستکون قبلته، لأنّ الشمس حین الظهر علی دائرة نصف النهار لهذه النقاط، فإن وقف حین الظهر أمام الشمس سیکون مقابل نقطة الجنوب التی ستکون قبلة هذه النقاط، أمّا النقاط التی تمیل قبلتها من الجنوب إلی الغرب (کنقاط ایران) ففی هذه النقاط ینحرف بعد محاذاة الشمس بمقدار انحراف قبلتهم من الجنوب إلی الغرب. مثلًا فی طهران التی تنحرف قبلتها ۳۷ درجة عن نقطة الجنوب نحو المغرب، فلابدّ أن تمیل حین الظهر بعد محاذاة الشمس ۳۷ درجة نحو الیمین، وبالطبع فإنّ الشمس فی هذه النقاط وما شابهها تحاذی حین الظهر الفلک الأیسر. وعلیه فالقاعدّة الکلیة کلما کانت القبلة محاذیة للنقطة الجنوبیة تکفی محاذاة الشمس حین الظهر، وإن کانت القبلة تمیل من تلک النقطة نحو الغرب، فلابدّ أن یمیل بنفس المقدار من محاذاة الشمس إلی الیمین.

۶۱ القبلة فی المناطق النائیة

سؤال: کلّنا نعلم بأنّ للأرض نصف شمالی وجنوبی فکیف السبیل إلی القبلة فی بعض البلدان کأمریکا الجنوبیة؟ الجواب: أولًا: کما ورد سابقاً أنّ الکعبة لیست لوحدها القبلة، بل تشمل امتدادها من الأعلی حتی عنان السماء وأسفلها؛ وکما یکفی الوقوف أمام الکعبة، کذلک یکفی الوقوف إزاء امتدادها. وعلیه فمن کان فی ذلک الجانب الکرة الأرضیة یمکنه الوقوف بمحاذاة امتداد الکعبة. ثانیاً: لو قیل لرجل فی طهران قف باتجاه مشهد فسیقف نحو جهة حسب بعض الحسابات وبحیث یطمئن علی أنّ مشهد فی هذه الجهة، والحال لو أخذنا بنظر الاعتبار المسافة بین طهران ومشهد أو رسمنا خطاً مستقیماً بمحاذاة وجه الشخص الذی فی طهران نحو مشهد لعبر من فوق مشهد وسط الفضاء لا من مشهد، إلّاأنّ هذا لا یمنع من قولهم أنّه یقف محاذیا لمشهد.

۶۲ قبلة أهل العراق

سؤال: ذکر مؤلف روضات الجنات فی شرحه لسیرة المحقق الحلی رحمه الله صاحب شرائع الإسلام أنّ العالم الفلکی الخواجة نصیر الدین الطوسی أتی المحقق، وکان یدرس فحضر الدرس. فکان ممّا قاله المحقق: «یستحب لأهل العراق الانحراف قلیلًا إلی یسار القبلة عند الصلاة»، فأشکل علیه الخواجه وقال: «إن کان الانحراف من القبلة لغیرها فهو حرام، وإن کان من غیر القبلة إلی القبلة فهو واجب، فما المراد هنا بالاستحباب؟». فردّ علیه المحقق الحلی رحمه الله: «لیس المراد هذا ولا ذاک، بل أردت الانحراف إلی نحو الیسار من القبلة إلی القبلة»، فاقتنع الخواجة. والآن یرد هذا السؤال: ما کان مراد المحقق من ذلک الجواب؟ فجمیع مناطق العراق تیامنیة أی تمیل إلی الجانب الأیمن من النقطة الجنوبیة، فما مراد المحقق. الجواب: أولًا: استحباب انحراف أهل العراق إلی الیسار لا یعنی انحرافهم من الجنوب نحو المغرب والمشرق بما ینافی انحراف قبلة أهل العراق من الجنوب نحو المغرب، بل المراد اجوبة المسائل الشرعیة، ص: ۳۷۶ الانحراف من نقطة القبلة إلی یسارها، والفارق بین الأمرین کبیر. (لابدّ من الدقّة). ثانیاً: ذکر الفقهاء أمرین لاستحباب الانحراف إلی یسار القبلة: ۱- ما ذکره العلامة المجلسی رحمه الله فی کتاب الصلاة من بحار الأنوار من أنّ علة الانحراف بسبب بناء محاریب مساجد الکوفة وسائر مناطق العراق منحرفة إلی الیمین (وإن لم یکن ذلک الانحراف بالشکل الذی یبطل الصلاة) لکن الأئمّة الأطهار

عليهم السلام أوصوا بذلك بغية درك النقطة الحقيقية للقبلة، وعدم مخالفة الخلفاء الذين امروا ببناء تلك المساجد والفائدة فى معرفة النقطة الحقيقية للقبلة دون الاصطدام بالجهاز الحاكم. ۲- ما أوردته بعض الروايات من أنّ حدود حريم الكعبة من اليمين ميلان ومن اليسار أربعة أميال، أى هنالك قدسية لهذا المقدار (طبها هذا الأمر لا يتعلق بحدود الحرم أربعة فراسخ فى أربعة فراسخ). وعليه فهذا حكم احتياطى فى أن يتوجه الإنسان فى صلاته إلى نقطة يضعف فيها احتمال الخروج من حريم الكعبة. ولعل المحقق الحلى عنى بجوابه النقطة الأولى أو الثانية. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۷۷

۶۳ سبب تغيير القبلة

سؤال: لماذا تحولت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة؟ الجواب: يفهم من الآيات القرآنية أنّ القبلة كانت فى الحقيقة هى الكعبة (بيت اللّه) وقد جعل البيت المقدس قبلة مؤقتة للمسلمين لبعض الأسباب. فالآية «قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ...» «۱» تفيد استياء النبى الأكرم صلى الله عليه و آله من حوار اليهود بشأن قبلة بيت المقدس وكان يتطلع لانتهاء أجل تلك القبلة المؤقتة وإعلان الإسلام للقبلة الدائمة. أمّا لماذا لم تكن الكعبة منذ البداية القبلة الدائمية بحيث صلى المسلمون مدّة نحو بيت المقدس حتى نزلت الآية: «وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ ...» «۲» فيفهم منها أنّ العملية كانت تربوية للمسلمين الأوائل فى اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۷۸ تحقيق الأهداف الإسلامية. فالحجازيون كانوا شديدى الحب لأرضهم ولا سيما أهل مكة، وعليه كان لابدّ من الوقوف بوجه الرغبات النفسية والتعصب القومى فى ترك الكعبة مدّة واستقبال بيت المقدس فى الصلاة بغية التضاد على التعصب وترسيخ الطاعة. إضافة إلى توجه المسلمين مدّة إلى بيت المقدس- مركز نفوذ اليهود- والاعتبار بهم؛ فبيت المقدس موضع اعتبار العالم ونقطة عز وذلة بنى اسرائيل، فعلل رقى وانحطاط اليهود واضحة فى بيت المقدس. فقد وردوا هنا أذلة من مصر وبلغوا العزّة بجهادهم وتضحياتهم، ثم انحدروا إلى السقوط بعد التمرد والعصيان، فاضحوا عبرة للمسلمين الأوائل. والذى ينبغى أن يعلمه المسلمون أنّ الكعبة إن جعلت قبلتهم الدائمية فليس لكونها مركزاً قبلياً وقومياً، بل كونها أقدم مركز توحيدى شيد من قبل بطل التوحيد إبراهيم الخليل عليه السلام. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۷۹

۶۴ اختلاف الآفاق فى رؤية الهلال

سؤال: ما سبب اختلاف الفقهاء فى تحديد أول الشهر فيزعم أحدهم أنّه هذا اليوم ويزعمه آخر أنّه الغد؟ الجواب: ثبتت كروية الأرض بعدّة أدلة حتى أصبحت اليوم من المسلمات العلمية. كما أنّ القمر يطوى دورة كامله حول الأرض شهرياً فيتخذ أاشكالًا إثر هذه الحركة هى (الهلال) و (البدر) و (التربيع) و (المحاق)، ذلك لأنّ نصف القمر المقابل للشمس واضحٌ تماماً، فنرى وضوح نصف القمر أحياناً وهو آنذاك (بدر كامل) وأخرى (تربيع) وهكذا بسبب اختلاف كينونة (القمر والأرض والشمس) وعلى هذا الأساس فإنّ النقاط الغربية وكون الأرض كروية تجعل الرؤية مبكرة ويشاهد الهلال مبكراً، وفى النقاط الشرقية تحصل الرؤية بصورة متأخرة فيرى متأخراً. وهذا ما يمكن اكتشافه بسهولة، فلو علقنا كرة فى سقف غرفة وجعلنا أمامها مصباح بحيث يكون محاذياً لها أو فوقها، ثم وقفنا آخر الغرفة بعيداً عن المصباح، لرأينا أمامنا اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۸۰ النصف المظلم، ثم نتقدم بالتدريج حتى يتضح لنا هلال نحيف من النصف المضىء، فيتضح أن تغيير موضعنا مؤثر فى مشاهدة الهلال المذكور، وبالنظر لانحناء الأرض وكرويتها يبدو تأثير الآفاق فى المشاهدة وعدمها أكثر وضوحاً.

۶۵ لماذا لا تكون الساعة ۱۲ وقت الظهر الشرعى دائماً؟

سؤال: لماذا الظهر الشرعى فى بعض فصول السنة يكون الساعة ۱۲ وأحياناً أكثر وأخرى أقل؟ الجواب: نعلم أنّ الأرض تدور حول

الشمس على مدار بيضوى؛ وتقع الشمس خلال عام شمسى فى أحد مركزَى هذا المدار البيضوى. وعليه فالمسافة بين الأرض والشمس ليست متساوية دائماً. فالنقطة التى تقع فيها الأرض فى غاية البعد تسمى «القمة» والنقطة الغاية فى القرب «الحضيض». وطبق قانون الجاذبية العام حين تتحرك من القمة إلى الحضيض تزداد سرعتها شيئاً فشيئاً، وبالعكس تقل تدريجياً حين تتحرك من الحضيض إلى القمة وعليه فحركة الأرض حول الشمس ليست رتيبة عكس حركة عقارب الساعة (جهاز تعيين الوقت) حركة رتيبة. فالحركتان لا تتفقان قط، ولذلك فالظهر الحقيقى (حين يبلغ قرص الشمس منتصف النهار) أمّا أكثر أو أقل من الساعة ۱۲ ويقال لهذه الساعات «الساعات الوسطى». وهذا الاختلاف بين الساعة الحقيقية والساعة الوسطى موجود طيلة أيّام السنة، لكن اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۸۲ أقل ممّا ذكر. ومن هنا يثبت فى التقاويم الكبيرة عمود بعنوان الساعات الوسطى يسجلون فيه اختلاف كل يوم. ومن الطبيعى الأخذ بنظر الاعتبار هذا الاختلاف لشروق وغروب الشمس. ولكن هنالك أربعة أيّام فى السنة يكون الاختلاف فيها صفراً. توضيح آخر: أفرض أننا وضعنا آلة تصوير فى سطح نصف النهار المكانى وكانت لدينا ساعة دقيقة: فالظهر الحقيقى حين يقع مركز الشمس على مركز آلة التصوير. ولو نظرنا لساعتنا لرأيناها أقل أو أكثر بدقائق من الساعة ۱۲، إلّاالأيّام الأربعة التى أشرنا اليها والتى تكون الساعة ۱۲ لحظة انطباق مركز الشمس على مركز آلة التصوير. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۸۳

۶۶ كيف نحل المسألة التى قضى فيها على عليه السلام؟

سؤال: روى فى قضاء على عليه السلام أنّ ثلاثة أشخاص أرادوا توزيع ۱۷ جملًا فيما بينهم، بحيث يأخذ أحدهم النصف والثانى الثلث والثالث التسع وتشاجروا فى كيفية التقسيم. فأضاف الإمامف عليه السلام جملًا إلى العدد المذكور، فأعطى نصف العدد (۹ جمال) إلى الفرد الأول، وثلثها (۶ جمال) إلى الثانى، واثنان إلى الثالث ولم يبق سوى جمله؛ أى أنّه أعطى كل فرد سهماً إضافياً، فقد طالبوا ب ۱۷ جملًا، فجعلها عليه السلام ۱۸ جملًا، فرضى الجميع بحكمه وبقى الجمل الزائد. والسؤال: من اين جاءت هذه الإضافة وكيف قسمها بينهم؟ الجواب: ما تجدر الإشارة إليه الأسهم التى طلبها الأفراد الثلاثة والتى كانت أقل من المجموع، أى لو جمعنا النصف والثلث والتسع كان أقل من العدد الكامل. وعليه لابد أن يقال إنّ الأفراد لم يدعوا الجمال السبعة عشر بدليل مجموع أسهمهم (۱۹+ ۱۳+ ۱۲) ليس بقدر مجموع ذلك المال. توضيح ذلك: مجموع الأسهم فى مال تساوى دائماً الوحدة، وبعبارة أخرى لو كانت اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۸۴ أسهم شركة مثلًا «مئة سهم»، فمجموع أسهم الشركاء إذا خلطناها ستكون مئة سهم قطعاً. وفى تلك المسألة لا يريد الأفراد المتنازعون تقسيم العدد ۱۷ إلى ۱۹ و ۱۳ و ۱۲، بل ادعى الفرد الأول نصفها والثانى ثلثها والثالث تسعها، أى أنّ كل فرد كان يرى سهمه مساوياً لذلك الكسر، والحال مجموع تلك الكسور لم يكن يساوى عدداً صحيحاً «۱». إلّاأنّ الإمام عليه السلام قسم بينهم ما تبقى من المال- بنفس نسبة الأسهم المذكورة- وما لاحظناه من أنّ كلًا أخذ أكثر قليلًا من سهمه حيث كان ذلك الباقى الذى أضافه الإمام عليه السلام إلى اسهمهم. غايته يرد هذا السؤال: كيف قسم بينهم الزائد رغم أنّهم لم يدعوا ذلك؟ والجواب: كل مال بحوزة شخص أو أشخاص فهو ملكه حسب القوانين الإسلامية إلّاأن يقام الدليل على خلافه، فالباقى كان لهم فى الواقع، لكنهم لم يلتفتوا إلى أنّ أسهمهم أقل من مجموع المال، بعبارة أخرى كان أولئك الأفراد الثلاثة يرون السبعة عشر جملًا ما لهم وليس لهم شريك رابع، وأرادوا تقسيمه ۱۹ و ۱۳ و ۱۲ ولكنهم لم يلتفتوا إلى أنّ أسهمهم أقل من المجموع؛ فقسم بينهم الباقى وبقى جمله. حقّاً إنّها لفكرة ذكية من الإمام. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۸۵

۶۷ كيف كان زواج أبناء آدم

سؤال: كيف كان زواج أبناء آدم وحواء، هل كان الأخ يتزوج أخته أم ماذا؟ الجواب: للعلماء رأيان بهذا الشأن ذكر كل منها أدلة من القرآن والروايات على رأيه وهى. ۱- لم يكن آنذاك حكم بحرمة الزواج، وحيث لم يكن من سبيل لحظة النسل سوى ذلك فقد وقع

زواج الأخ من الأخت. طبعاً «إِنِ الحُكْمُ إِلّا لِلَّهِ» «۱» فما الضير فی أن تباح تلك المسألة موقتاً لجماعة وتحرم بعد ذلك أبداً على الجميع؟ والدليل القرآنی الذی ذكره أصحاب هذا الرأی قوله تعالى: «وَبَثَّ مِنْهُما رِجالًا كَثِيراً وَنِساءً» «۲» فظاهر الآية أنّ النسل البشری كان بوسيلة هذين الفردين، ولو كان غير ذلك لقال «وبث منهما ومن غيرهما» أضف إلى ذلك الرواية عن الإمام السجاد عليه السلام والتی ذكرها المرحوم الطبرسی فی تأييد هذا اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۸۶ الرأی. ۲- إنّ أبناء آدم تزوجوا من نسل آخر كان على الأرض لحرمة زواج المحارم، وحين أصبحوا أبناء عمومة أخذوا يتزاوجون، ويؤيد ذلك بعض الروايات، فنسل آدم لم يكن النسل الأول على الأرض، بل كان قبله الكثير من الناس. والحاصل: ربّما يقال إنّ أبناء آدم تزوجوا من بقايا النساء للناس الذين سبقوا آدم وحواء على الأرض، حيث يستفاد من كلام اللَّه للملائكة بشأن خلق آدم، أنّ بعض الناس عاشوا فی الأرض قبل خلق آدم، وهذا ما تؤيده بعض الروايات.

۶۸ هل هناك منافاة بين حرية الإنسان ومكافحة الفساد

سؤال: يفتخر الإنسان أنّه خلق حرّاً فی الاختيار، وعليه فكيف يأمر الإسلام بتعاون المؤمنين مع بعضهم على البر والتقوى ومنعهم من العدوان؟ إلّايدعو الأمر بالمعروف والنهی عن المنكر إلى سلب حرية الإنسان؟ وبغض النظر عن ذلك لو قام جميع الأفراد بهذه الوظيفة لسادت المجتمعات الفوضى؟ الجواب: المراد من الأمر بالمعروف والنهی عن المنكر هذين الركنين الإسلاميين الاجتماعيين دعوة الأفراد إلى الخير والصلاح وصدهم عن الشر والفساد ومكافحة أنواع الانحرافات الاجتماعية والأخلاقية. ولابدّ من القول قبل كل شیء هل إجراء هذين المبدأين فی المجتمع الذی تسود جميع أفراده حالة من التعاون والمصير المشترك بنفع المجتمع أم لا؟ فإن كان بنفع المجتمع تطلب ذلك الحد من الحرية الفردية. فأسلوب حياة الإنسان فی الصور القديمة كان بصيغة جماعات قليلة تقطن الكهوف وشقوق الجبال والغابات، ولم تكن تحكمها حالة من التعاون والتوادد، ولعل مكافحة الفساد اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۸۸ ومنع الانحراف لا يبدو ضرورياً فی ظهر هذه الحياة التی لا يعتمد فيها مصير كل فرد على الاخر، بينما لا يبدو كذلك فی المجتمع الذی يعيش وحدة المصير، فأفراد هذا المجتمع كأبناء الأسرة الذين تسودهم اللحمة بحيث لا يسع أحدهم الإنفصال عن الآخر، وعليه فتصرفات كل فرد تنسحب على المجتمع، وعلى هذا الضوء لا يسع أحد أن يتخذ موقف المتفرج ويرى نفسه بعيداً عن أفعالهم الصالحة والطالحة. والانحرافات الخلقية كالأمراض المعدية- شئنا أم أبينا- تصيب الآخرين، وعليه فلابدّ من مقاومتها، إلّالاجتاحت جميع البلدان. كما أنّ الانحراف الأخلاقی والاجتماعی- كالمرض العضوی- يترسخ بسرعة ويستشری فی صفوف المجتمع. افرض أنّ أحدهم جعل داره مركزاً للفساد وفسح فيها المجال للفاسقين، فهل تبقى حصانة للبنين والبنات الذين يشهدون تلك الدعارة كل لحظة، أم أنّ هوس الشهوة سيدفع بهم إلى ذلك المكان لتتسع دائرة الفساد بالتدريج. ومن هنا لابدّ من القول إنّ التصدی للانحراف الأخلاقی والاجتماعی يضمن سعادة المجتمع الذی يعيش أفراده مع بعضهم البعض، والسكوت هنا جريمة ولعله لا ينجو من الهلكة. ولذلك أشار القرآن لهذه الحقيقة فقال «وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَاتُصِ يبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ...» «۱». وقد طرح أحدهم هذا السؤال على النبی الأكرم صلى الله عليه و آله فأجابه بتصوير الحالة كالسفينة التی ركبها جماعة وهم أحرار فهل يحق لأحدهم خرق البقعة التی يشغلها، طبعاً إن خرقها هلك وأهلك الجميع. فمجتمعنا أشبه بالسفينة وركابها الأفراد، فهم شركاء فی المصير ولا يمكن لأحدهم الاستقلال عن الآخرين. فالواقع هنالك فارق كبير بين النظرة الإسلامية لحريات الفرد وسائر المدارس السائدة فی عالمنا المعاصر. فالحرية فی عالمنا المعاصر محترمة ما لم تصطدم بالمجتمع وإن جرت الويلات على ذلك الشخص وأدّت به إلى البؤس والشقاء أمّا الحرية فی الإسلام فتبقى محترمة ما لم تؤثر على المجتمع ولا تخل بسعادته اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۸۹ وتقوده إلى التعاسة. فالإسلام لا يسمح بالنزوع إلى الوثنية وعبادة الموجودات التی تدفع إلى السقوط والانحطاط، بينما تبيح ذلك المدارس المعاصرة. وللأمر بالمعروف والنهی عن المنكر ودعوة الآخرين إلى الخير وصدهم عن الشر درجات ومراتب، فما تعلق

بالآخرين انطلق من الموعظة والنصيحة لأخوة الدين، بل يمكن توطيد العلاقة معهم وهذا النوع من مكافحة الفساد لا يؤدّى إلى أى فوضى، أمّا الدرجات الأرفع (كتنفيذ العقوبات وإجراء الحدود الإلهيّة بشأن العصاة) فلابدّ أن تتم من قبل الحكومة الإسلامية وعلى غرار عهد النبى الأكرم صلى الله عليه و آله وليس لأىفرد عادى التصرف بمفرده. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۹۱

۶۹ العفو والقصاص

سؤال: دعى القرآن الكريم إلى إجراء القصاص وعدّه وسيلة ديمومة الحياة على الأرض فقال: «وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ...» «۱» واثنى على العقود والصفح فدعى إليه «وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَاسِ ...» «۲» أفليس هنالك من تناقض؟ الجواب: أولًا: لأغلب التشريعات آثار اجتماعية ونفسية، مثلًا فى الوقت الذى سمح فيه لأولياء المقتول بالقصاص من القاتل، كفى لمن هم بإراقة دم غيره أن يرى حق القصاص- للذى منح لأولياء المقتول- ماثلًا أمام عينيه فيكف عن الفعل خوف الإعدام. وعليه فمنح حق القصاص بذاته يستبطن حياة المجتمع ويحول دون القتل رغم قلّة ممارسة هذا الحق. بعبارة أخرى فإنّ مصدر بقاء البشر وضمان حياته إزاء المعتدى يتمثل فى القدرة القانونية على القصاص لا ممارسته، ذلك ما يصد المعتدى هو تفكيره بقدرة اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۹۲ صاحب الدم الذى أراقه سيقتص منه فى المحكمة، وهذا التفكير يحول دون ارتكابه للقتل. إلّا أنّ الإسلام لم يجبر أولياء المقتول قط على ضرورة ممارسة هذا الحق القانونى، بل فوض لهم التنازل عن هذا الحق فى العفو عن القاتل؟ و قبول الدية. فقد حقق الإسلام بتشريعه لقانونى (القصاص والعفو) هدفين: حيث منح من جانب لأولياء المقتول حق القصاص والثأر فمنع بذلك تكرار الحوادث الدموية، وبالطبع لو لم يمنحهم هذا الحق لارتفع حجم الجريمة. ومن جانب آخر لم يحمل أولياء المقتول قسراً على القصاص وترك لهم استخدام حقّهم القانونى، بحيث لو رغبوا على ضوء بعض المصالح لتجاوزوا عن المقتول. والنتيجة: لو لم يشرع القصاص لغاب الأمن والاستقرار وتهددت الحياة البشرية؛ ولو لم يمنح صاحب الحق الحرية فى العفو والصفح، لكان التشريع الأول ناقصاً. وربّما اقتضت بعض المصالح عفو صاحب الحق وترجيحه الصفح على الثأر؛ فكان قانون العفو مكملًا لحق القصاص. ثانياً: لابدّ من الإلتفات إلى أنّ للقصاص مورد وللعفو مورد آخر، ففى الحالة التى يساعد فيها القصاص من الجانى فى إشاعة الأمن وديمومة الحياة (بحيث لو أغمض عن القصاص لكان ذلك حثاً للآخرين على ارتكاب مثل هذه الجريمة): الأولى بأولياء المقتول ممارسة هذا الحق القانونى، أما إن ندم القاتل واقتضت المصالح الصفح عن جريمته، فالعفو هنا مقدم على القصاص، ولا يبدو تمييز هاتين الحالتين صعباً. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۹۳

۷۰ سن زواج البنين والبنات

سؤال: طالعتنا بعض الصحف مؤخراً بحوارات بشأن زيادة سن الزواج، حتى قيل عقد اجتماع بهذا الخصوص وصدر بياناً، وكأنّ طائفة من الشباب اقترحوا سناً لزواج البنين ۲۰ سنة والبنات ۲۵ سنة، «۱» فما رأيكم بهذا الموضوع؟ الجواب: أولًا: إنّ البلوغ وسن زواج البنين والبنات ليس موضوعاً تعاقدياً لنضع له حداً معيناً، بل أمر طبيعى وفطرى خارج عن اختيارنا وحدودنا، وكل ولد أو بنت يبلغ فى سنين معينة من عمره فيستقبل فصلًا جديداً من حياته. وقد عين هذا الفصل قبلنا كتاب الطبيعة ولا يتزحزح باجتماعاتنا وقراراتنا. ويتزامن البلوغ مع تغييرات جسمية وروحية عميقة؛ فتتغير القامة وتزداد الطاقة البشرية وتتبدل أشكال الأعضاء عمّا كانت عليه، وتستجد ميولات خاصة فى الإنسان لتوسيع الحياة، وتتفتح الرغبات الجنسية كتفتح البراعم فى الربيع، ويتضاعف الشعور اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۹۴ بالحاجة إلى الشريك وتغلظ العظام وتتغير نغمة الصوت. وعليه فقد أقر خالق الخلق هذه الحدود للحياة على صفحة وجودنا بخطه البارز، ولابدّ لنا من الرجوع إلى كتاب الخلق لا إلى هذا وذاك لتصفح أوراقه المتعلقة بعهد البلوغ والتفتح الجنسى لنعين السن القانونى للزواج على ضوء سنّة الخلقة وقوانينها، ونبتعد عن الخيال والوهم. ومن يتمرد على مطالعة كتاب الفطرة ودفتر الخلق ويعتبر

البلوغ أمراً تعاقدياً ويعتقدبان الحقائق تابعة للنظريات والعقود إنّما يقف بوجه سنن الحياة وسيهزم فى خاتمة المطاف؛ ذلك لأنّ هذه السنن لا تتبدل تبعاً لأحاديث الغافلين. وكما أنّ تكامل الجنين فى رحم الأُم يستغرق تسعة أشهر ومن العبث أن يتصدى جماعة لكى يسنّوا قانوناً يجعل تكامله فى الرحم سنة، كذلك يبدو عبثاً التصرف فى حد البلوغ الذى يمثل أحد السنن الكونية. وقرار ذلك الاجتماع شبيه باجتماع أصحاب الدواجن ليقولوا هنالك أزمة اقتصادية تواجه العالم وحاجة ملحة للدجاج؛ وعليه فمن الآن فصاعداً ينبغى أن تستبدل مدّة الحادى والعشرين يوم للتفقيس بعشرة أيّام ليتضاعف مقدار الدجاج- والمراد من حديث النبى الأكرم صلى الله عليه و آله: «لا تعادوا الأيّام فتعاديكم»، عدم مواجهة سنن الكون، فليست لهذه المواجهة من نتيجة سوى الهزيمة. ثانياً: لابدّ من النظر إلى جميع الجوانب فى تدوين القانون؛ لأنّ معدل سن البلوغ الجنسى فى بنات بلدنا ۱۴ سنة والبنين ۱۶ سنة. ففى هذا الفصل من الحياة تتيقظ رغباتهم الجنسية، ولو رفعنا سن الزواج لاستسلم الطرفان للجماع الشاذ، وهذا ما يؤدى إلى آلاف المصائب الاجتماعية، أو الضغط على أعصابهم إزاء مقاومة طغيان الغريزة الجنسية ولمدّة طويلة إن أمكن ذلك لبعض الأفراد. ثالثاً: أتعلمون أنّ الزواج وانتخاب الشريك يفجر الطاقات الكامنة فيفكر الأفراد المتزوجون بطريقة أفضل من العزاب حيث يتعذر التفكير الصحيح على الشاب الذى تشتعل لديه غريزة الشهوة ولا يمتلك الوسيلة المشروعة لاطفاء جذوتها. وهذه هى الحقيقة اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۹۵ التى اعترف بها بعض علماء النفس واجروا تجاربهم على أساسها. ولو كان الغرض من رفع سن الزواج الحيلولة دون زيادة السكان، فهنالك عدّة حلول طرحت لعلاج هذه المشكلة، والصحيح أن تعالج هذه المشكلة بالطرق العقلائية لا أن تلجأ لدفع الفاسد بالأفسد. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۹۷

۷۱ هل صلة الرحم ضرورة دائماً؟

سؤال: هنالك بعض الأفراد من القرابة ممن لا- يراعون الموازين الشرعية فى حياتهم فهل يجوز التواصل معهم؟ وهل نحن مكلّفون برعاية صلة الرحم فى هذه الحالة؟ الجواب: نعلم أنّ الأسرة مجتمع صغير، وكما أنّ لتماسك ومتانة علاقات المجتمع الكبير دوره فى تقدم الإنسان مادياً ومعنوياً، كذلك لهذا المجتمع الصغير دوره المؤثر، ومن هنا أولى الإسلام بصفته دينا اجتماعياً موضوع صلة الرحم (التى تعنى تقوية وترسيخ الروابط الاجتماعية والأسرية) أهمية فائقة حتى اعتبرها من الواجبات واعتبر قطعها من المحرمات والكبائر. ويكفى فى هذا الأمر ما أكّده القرآن كراراً أنّ الإنسان سوف يسأل يوم القيامة عن هذا الواجب، حيث قال: «وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً» «۱». ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قال: إنّ رجلًا أتى النبى صلى الله عليه و آله قال: يارسول اللَّه أهل بيتى أبوا اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۹۸ إلّا توثّباً علىّ وقطيعة لى وشتيمة فارضهم؟ قال صلى الله عليه و آله: إذاً يرفضكم اللَّه جميعاً، قال: فكيف أصنع؟ قال: «تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمّن ظلمك، فإنّك إذا فعلت ذلك مان لك من اللَّه عليهم ظهير» «۱». كما صرح النبى صلى الله عليه و آله بأهمية هذا الموضوع فى موضع آخر حتى قال: «أوصى الشاهد من أُمتى والغائب منهم ومن فى أصلاب الرجال وأرحام النساء إلى يوم القيامة أن يصل الرحم وإن كانت منه على مسيرة سنة، فإنّ ذلك من الدين» «۲». وأن تؤدوا هذه الفريضة ولو يتحمل عناء السفر وأداء هذا الدَّين الأخلاقى والاجتماعى. طبعاً لا شك فى أنّ أداء أى واجب مشروط بعدم زوال المسائل الأهم، ولا يستثنى من هذا القانون موضوع صلة الرحم. فزيارة الأفراد الذين لا يراعون الموازين الشرعية وصلتهم إن أدّى إلى إعادة نظرهم فى أمور حياتهم والعودة إلى الالتزام بمقررات الدين أو على الأقل لم يكن لهذه الصِلة من أثر سيء على روحية الأفراد ووضعهم العائلى كانت صلة الرحم هذه ضرورية وواجبة. ولكن إن كان العكس بحيث أدّت صلة الرحم إلى تأثر الشخص بالمفسدين وأفكارهم المنحرفة، فما عليه إلّاالتخلّى مؤقتاً عن هذه الفريضة رعاية لأمر أهم وعدم تعرض عقائده إلى الخطر. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۳۹۹

۷۲ هل إعانة الفقير دلالة على ضرورة الفقر؟

سؤال: حثت الآيات القرآنية والروايات الإسلامية على مساعدة المحرومين والمحتاجين حتى كان الفقراء والمحتاجين من مصارف الزكاة الثمانية، أو ليس التأكيد الإسلامى على إعانة الفقراء دليلًا على قبول الإسلام للفقر كقضية اجتماعية ثابتة فى الشرع؟ الجواب: أولًا: أشارت الأحاديث الواردة فى الضرائب الإسلامية كالزكاة إلى هذه الحقيقة وهى أنّ المجتمع الإسلامى إن كان سليماً فلا مكان فيه للفقير والمحتاج، ولو أدى الناس حقوق اللّه التى قررها لهذه الطبقة لما كان هنالك من أثر للفقر فى المجتمع. قال الصادق عليه السلام: «لو أن الناس أدوا زكاة أموالهم ما بقى مسلم فقيراً محتاجاً ولاستغنى بما فرض اللّه له وأنّ الناس ما افتقروا ولا احتاجوا ولا جاعوا ولا عروا إلّابذنوب الأغنياء» «۱». ويتبيّن من تأمل الأحاديث التى وردت بهذا الشأن أنّ الفقر الاقتصادى معلول لعدم قيام الأثرياء بوظيفتهم والظلم الاجتماعى لبعض الأغنياء. وعليه فالإسلام يرى الفقر نوعاً من اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۰۰ المرض والانحراف ورد فعل شاذ بسبب عدم سلامة أنظمة المجتمع، لا أنّه يقرّه كضرورة اجتماعية أو ظاهرة طبيعية فى كيان المجتمع. ثانياً: لم ينبثق الإسلام فى مجتمع سليم، بل فى مجتمع مريض بجميع جوانبه ومفعم بالتمييز والظلم، وبالطبع كان لابدّ من مشروع لتحقيق هذا الهدف من خلال اجتثاث جذور الفقر والحرمان؛ لأنّ الفقر والحرمان كان من الأمور التى تجذرت فى المجتمع آنذاك ولابدّ من استئصاله بالخطط الإسلامية الصحيحة. ثالثاً: لا يخلو المجتمع الحر من بعض الانتهازيين والاستغلاليين الذين يسببون إرباكاً لأفراد المجتمع. وبالطبع لابدّ من مشروع وخطة تحبط مساعى وأنشطة هؤلاء الأشخاص. فمثلًا، نرى فى الإسلام قانون القصاص والحدود والديات والعقوبات المتعلقة بالسرقة والزنا وأنواع العدوان، ليس فقط فى الإسلام، بل هذه القوانين هى السائدة فى المجتمعات المتحضرة كافّة؛ فهل يسع احد الاستدلال بهذه القوانين على ضرورة وجود القتل والجريمة والأعمال المنافية للعفة فى هذه المجتمعات، وإلّا كان سن مثل هذه القوانين لغواً، قطعاً لا- بل كل فرد يوجه هذه القوانين فى أنّ المجتمع الذى يتألف من مختلف الأفراد ولا يسوده النظام الاجبارى، ممكن أن يضم بعض المتمردين الذين لابدّ من عقابهم. مثلًا، وجود الطبيب والدواء ليس دليلًا على وجود المريض والمرض إلزاماً فى المجتمع، بل إنّ كان هنالك مثل هؤلاء الأفراد فعلاجهم بهذه الطريقة. وهكذا قضية مساعدة الفقراء والمحتاجين، والهدف من مساعدتهم لا- يعنى وجود الفقر والفقراء على نحو الضرورة؛ بل المراد إن كان هنالك هؤلاء الأفراد وأفرز الظلم والإجحاف مثل هذه الفئة، فلابدّ من مساعدتهم وعلاج هذا المجتمع بأسرع وقت. أضف إلى ذلك فهنالك بعض الأفراد فى المجتمع الذين ينبغى أن يحصلوا على دعم بسبب عجزهم، كالأطفال اليتامى وقرابة الجنود الذين يستشهدون فى ميادين الجهاد أو الكهول العجزة و ... فكل هؤلاء الأفراد ممن فقدوا قدراتهم ولا يسعهم مواصلة حياتهم ولابدّ من تغطية معيشتهم من بيت المال ومساعدة الأثرياء، فليس لهم رواتب تقاعدية وليسوا من أصحاب الثراء. وبالطبع فإنّ الكلام الإسلامى فى المساعدة متعلق بهؤلاء. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۰۲

القسم السادس التفسير

۱ هل الأديان الأخرى حق؟

سؤال: إنّ الإسلام نسخ سائر الأديان فما معنى تصريح بعض الآيات القرآنية من أنّ الأفراد أو المجتمعات والأقوام اليهودية والنصرانية والصابئة والمجوس إن آمنوا باللّه وعملوا صالحاً فلا خوف عليهم يوم القيامة ولا هم يحزنون. أفلا تفيد هذه الآيات أنّ تلك الأديان حقّة ولم تنسخ من قبل الإسلام؟ الجواب: نشير إلى الآيات الشريفة الواردة بهذا الشأن قبل الجواب: ۱- «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» «۱». ۲- «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» «۲». اجوبة

المسائل الشرعية، ص: ۴۰۴ ۳- «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» «۱». ربّما يتصور بادئ الأمر أنّ هذه الآيات تقول إنّ أتباع أيّ من الأديان السابقة إن كان ممن آمن وعمل صالحاً فهو ناجٍ يوم القيامة وبالتالى فإنّ الأديان السابقة ليست منسوخة، وكل دين سبيل إلى اللّه والإنسان مخيّر بانتخاب أيّ سبيل ولا ضرورة للاقتصار على الإسلام. وهذا الموضوع ورد كراراً ممن لم يقفوا على حقيقة القرآن الكريم. لابدّ من الإلتفات إلى أنّ تفسير أية لا يتمّ بمعزل عن سائر الآيات، بل من تأمل الآيات السابقة واللاحقة للآية المراد الوقوف على مفهومها بالإضافة إلى سبب النزول. وكان اتباع سائر الاديان التى ظهرت بعدالاسلام طبيعياً، اضف الى ذلك لم يكن من المناسب الاصطلاح على التشريع الاخر باسم الاسلام، والا لما صح ان يكتب النبى صلى الله عليه و آله كتبه الى زعماء و رؤساء كافة الاسم ويدعوهم لدينه، على ان دينه دين عالمى و شريعته الخاتمة. ورسائل النبى صلى الله عليه و آله وجهاد المسلمين لأهل الكتاب وروايات الأئمّة الأطهار عليهم السلام تشير جميعاً إلى نهاية الأديان إثر انبثاق الدعوة الإسلامية ولم تكن من نبوة سوى نبوة الخاتم محمد صلى الله عليه و آله. وما هو هدف الآية: تشير الآيات السابقة إلى حقيقتين: إجمالية ومفصلة: ۱- لو كان اليهود والنصارى يؤمنون حقاً باللّه واليوم الآخر، ولايقتصرون على الظاهر اذن ينبغى إيمانهم بالنبى صلى الله عليه و آله على ضوء التوراة والانجيل وسائر الكتب السماوية، لأن هذه اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۰۵ الكتب بشرت بنبى الإسلام صلى الله عليه و آله وأشارت إلى خصائصه بحيث يعرفونه كما يعرفون أبناءهم «۱». وقد بيّن القرآن الكريم ذلك فقال: «قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ» «۲». طبعاً المراد من إقامة هذه الكتب العمل بمضامينها، واحد مضامينها نبوة محمد صلى الله عليه و آله ورسالته العالمية والتى وردت فى هذه الكتب وأشار لها القرآن مراراً. فلو كان هؤلاء يؤمنون حقاً باللّه ويوم القيامة، يجب عليهم الإيمان برسالة النبى التى تشكل أحد تعاليم العهدين، وسيكونون على هذا الأساس مسلمين ومأجورين قطعاً. ۲- يتضح من خلال الآيات التى سبقت هذه الآية فى سورة البقرة أنّها ترتبط بطائفة من أهل الكتاب التى آمنت باللّه واليوم الآخر على عهد سابق الأنبياء وكانوا يلتزمون بأحكام دينهم آنذاك، وبالمقابل كانت هنالك طائفة أخرى حادت عن التوحيد وعبدت العجل حتى قالوا لموسى عليه السلام صراحة: لن نعبد اللّه ما لم نره. فكان حالهم حسب ما ورد فى القرآن «وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ» «۳». فقد وردت الآيات المذكورة بغية التمييز بين الطائفتين من أهل الكتاب. وعليه ستكون الآية مختصة بتلك الطائفة من أهل الكتاب التى عاشت قبل بعثة النبى صلى الله عليه و آله. ويؤيد ذلك سبب نزولها، حيث كان المسلمون يفكرون فى مصير الصلحاء من آبائهم وأجدادهم بعد أن ماتوا على دين آخر غير الإسلام. فنزلت الآية الشريفة لتعلن نجاة كل من آمن باللّه واليوم الآخر ونبى زمانه و عمل صالحاً. وقد تحدث سلمان إلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله حين رآه عن صحبه من رهبان دير الموصل، فالتفت إليه البعض فقال: كان جميعهم ينتظرون بعثتك لكنهم توفوا قبل أن تبعث. فقال اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۰۶ أحدهم لسلمان، إنّهم فى النار، فشق ذلك على سلمان، فنزلت الآية لتعلن عدم الخوف والحزن على من مات مؤمناً ولم يدرك دعوة النبى صلى الله عليه و آله. والخلاصة فمن آمن على عهده فلا خوف عليه. وعليه فلا علاقة لهذه الآية ببعض الافكار الخاطئة من قبيل صلاح أتباع الديانات كافّة، ولا يكشف هذا التفسير إلّاعن جهل بالقرآن وبغض النظر عن ذلك فليس للآية ۱۷ من سورة الحج ادنى علاقة بمدّعاهم ومفادها أنّ اللّه سيقضى يوم القيامة بين جميع الأمم ولا يعنى هذا فلاح الجميع «۱». اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۰۷

۲ ما علة طلب الهدى إلى الصراط المستقيم؟

سؤال: رغم أنّ النبى الأكرم صلى الله عليه و آله والمسلمين هدوا إلى الصراط المستقيم لكنّهم يسألون اللّه فى الصلاة: «اهْدِنَا الصِّرطَ الْمُسْتَقِيمَ» أوَليس هذا تحصيل للحاصل؟ الجواب: إن عالم الوجود بكل مكوناته- المادية والمعنوية- آيلة للزوال وعرضة للتغير، كما

أنّ أصل انبثاق ظاهرة يحصل فى ظل علّة وظروف معينة، ويتطلب استمرارها عناية خاصة ليكسوها ثوب البقاء ويحول دون زوالها. ويشمل هذا القانون موضوع الهدى إلى الصراط المستقيم، وبقاء واستمرار هدى الفرد أو المجتمع يتطلب عناية وشرائط خاصة، وإلّا يمكن أن يهتدى فرد وينحرف لاحقاً فيضل بعد الهدى. وعليه فمصير الفرد والمجتمع مبهم مهما كان على الهدى الآن ويمتلك عقائد سامية. وعليه أن يستفيد من هذا الوضع ويتجه إلى اللّه ويسأله دوام هذه النعمة التى يمكن زوالها فى كل آن. فعندما يقول المهتدى: «اهْدِنَا الصِّرطَ الْمُسْتَقِيمَ» الهدف منه ثبتنا على هذا الطريق اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۰۸ وأدم علينا هذه النعمة. وقال صاحب مجمع البيان: إنّ نظير هذه التعبيرات كثير لدينا، وإنّك حين تشعر بأنّ ضيفك يسعى إلى ترك الطعام تقول له: تفضل كل، فى حين هو ما زال يأكل، لكن مرادك مواصلته للأكل حتى يشبع.

۳ ما المراد من خلق السموات والأرض فى ستة أيّام؟

سؤال: قال اللّه تعالى «إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّموَاتِ وَالْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّام ...» «۱» فما المراد بالأيّام الستة؟ فالليل والنهار لم يكن آنذاك، أضف إلى ذلك لِمَ لم يخلقها فى لحظة واحدة؟ الجواب: يشتمل السؤال على قسمين؛ الأول: ما المراد من الستة أيّام ولم يكن آنذاك ليل ونهار؟ الجواب: إنّ للفظ «اليوم» عدّة معانٍ حسب العبارات. وعادة ما يعنى ضد الليل والذى ورد كثيراً فى القرآن الكريم، لكنّه يستعمل أحياناً بمعنى العهد، بحيث لو كان لشىء عهود مختلفة لاطلق على كل عهد يوماً. فمثلًا يقول رجل كهل: يوماً كنت صبياً ويوماً شاباً واليوم أنا كهل. لأنّ هذه العهود كحلقة السلسلة المتصلة الواحدة بالأخرى كثلاثة أيّام متصلة، ومن هنا يعبر عن هذه العهود الثلاثة باليوم. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۱۰ قال على عليه السلام: «الدهر يومان؛ يوم لك ويوم عليك» أى للإنسان عهدان طيلة حياته، عهد يبلغ فيه ذروة قوته وآخر ذروة ضعفه. وعلى هذا الضوء فالمراد من الستة أيّام (العهود الستة) التى مضت على السموات والأرض لتكون بوضعها الفعلى، أى أنّ هذا الوضع الفعلى للأرض والسماء نتيجة سلسلة تحولات متواصلة ظهرت فيهما، وبالتالى أصبحتا بهذا الشكل بعد طى تلك المراحل، وربّما استغرق (العهد) عشرة ملايين أو مليارات السنين. القسم الثانى: لِمَ لم يخلقها فى لحظة واحدة؟ الجواب: إنّ العالم الذى نعيش فيه عالم المادة والتكامل التدريجى من ملازمات الوجود المادى، والأمور المادية بالطبع تغيرت خلال الزمان من صورة إلى أخرى واجتازت مراحل لتتحول بالتالى إلى ظاهرة متكاملة ولا يستثنى من ذلك قانون الأرض والسماء. ولو أخذت أية ظاهرة مادية لرأيت تكاملها التدريجى. فالنباتات مثلًا بعد مدّة من الزمان تتحول إلى أشجار عملاقة، وهكذا المعادن الجوفية والحيوان والإنسان الذى لا يستطيع العيش فى هذا العالم الواسع ما لم يُنه مرحلته الجنينية، وهذا القانون سارى المفعول بالنسبة لعالم الوجود برمّته. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۱۱

۴ ما المراد من السموات السبع؟

سؤال: ما المراد من السموات السبع التى أشار لها القرآن الكريم؟ الجواب: ذكر المفسرون عدّة تفاسير للسموات السبع الواردة فى القرآن الكريم: ۱- المراد من عدد السبعة هنا، الكثرة؛ السموات الكثيرة، وهذا ما نستعمله كثيراً ولا نقصد به ذات العدد، بل الكثرة، فنقول على سبيل المثال: قلت لك هذا الموضوع خمسين مرّة، أو طالبته بالمبلغ عشر مرات، والمراد كثرة العدد. قال اللّه تعالى بشأن كلمات اللّه- علمه-: «وَلَوْ أَنَّمَا فِى الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» «۱» . فمن البديهى أنّ العدد سبعة هنا أريد به الكثرة، وإلّا فنحن نعلم لو أضفنا عشرة أو مئة بحر لما أمكن احصاء كلمات اللّه، ذلك أنّ اللّه لا متناهٍ من جميع الجهات، وكذلك الأعداد الأخرى فى القرآن كالسبعين وأمثاله إنّما تستعمل للكثرة، ولا تفيد عدداً معيناً. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۱۲ ۲- المراد من السموات السبع السيارات التى كانت معلومة للناس حين نزول القرآن آنذاك، أو السيارات التى ترى اليوم بالعين المجردة. ۳- المراد طبقات الجو المختلفة والغازات المحيطة بالأرض. ۴- يعتقد بعض الأعلام أنّ

الكواكب والنجوم والمجرّات التى ترى كلها جزء من السماء الأولى ومن ورائها ستة عوالم كبرى. ومراد القرآن من السموات السبع، مجموع العوالم السبعة فى عالم الوجود، ورغم أنّ العلم لم يُمطِ اللثام سوى عن واحدة، ولكن لا مانع من تقدم العلم ليكشف فى المستقبل العوالم الستة الأخرى خلف هذا العالم المحسوس. وقد استدل اصحاب هذا الرأى بالآية: «إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ» «۱» . يستفاد من هذه الآية أنّ جميع الكواكب فى السماء الأولى (لابدّ من الالتفات إلى أنّ الدنيا فى العربية تعنى الأسفل والقريب). جدير بالذكر أنّ الآيات والروايات التى ذكرت السموات كسبع لا تفيد تأييد «نظرية الهيئة» لبطليموس التى ترى السموات كأفلاك تشبه قشور البصل (لأنّ عدد الأفلاك والسموات حسب هذه النظرية تسعة). وأمّا الأرضين السبع التى وردت الإشارة إليها فى القرآن وفى بعض الأحاديث فقد تحدثت عنها نظريات كالسابقة فى أنّ المراد من (السبع) الكثرة، أو أنّه إشارة إلى مختلف طبقات الأرض، أو الأرضين السبع هى: عطارد والزهرة وزحل والأرض والمريخ والمشترى والقمر؛ أى كرات المنظومة الشمسية التى نراها. وعليه فالمراد بالسموات السبع الفضاء الذى يعلو هذه الكرات. بعبارة أخرى تعتبر هذه الكرات أرضاً وسمواتها ما حولها من أجواء وفضاء. هذه خلاصة تفاسير العلماء والمفسرين بشأن السموات السبع والأرضين السبع، وبالطبع فإنّ توضيح القرائن التى تؤيد أيّاً من التفاسير، ولا سيما التفسير الأخير الذى يبدو أقربها إنّما يتطلب شرحاً مسهباً. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۱۳

۵ اين المشرقين والمغربين؟

سؤال: ما المراد من قوله تعالى: «رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ»؟ «۱» الجواب: ورد استعمال المشرق والمغرب فى القرآن بصيغة التثنية: «رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ» وبصيغة الجمع: «فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ» «۲» ويقول فى موضوع آخر: «وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا ...» «۳» وعليه فالمشرق والمغرب بصورة الجمع يفيد تعدد الأفراد وبصيغة التثنية يفيد فردين. وقد ذكر المفسرون معنيين؛ الأوّل: أنّ المراد من المشرقين والمغربين مشرق ومغرب نصفى الكرة الأرضية؛ أى اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۱۴ الشمالى والجنوبى أو الشرقى والغربى، حتى عدّ البعض إشارة إلى نصف كرة جديدة، أى «قارة أمريكا» قبل اكتشافها وهذا خارج عن موضوع البحث. والمراد من المشارق والمغارب مختلف نقاط الكرة الأرضية حيث إنّ كل نقطة مشرق بالنسبة لنقطة، ومغرب بالنسبة لأخرى. وبعبارة أخرى فإنّ أحد خواص الكرة أنّ كل نقطة منها مشرق بالنسبة للنقطة المقابلة للمغرب، ومغرب بالنسبة للنقطة المقابلة للمشرق، ومن هنا اعتبر البعض هذه الآيات إشارة لكروية الأرض. الثانى: أنّ المراد من تعدد المشرق والمغرب هو تعدد نقطة الشروق والغروب الحقيقيين للشمس؛ ذلك لأنّ الشمس تشرق يومياً من نقطة وتغرب فى أخرى. وعليه لو أخذنا مجموع المشارق والمغارب لعبرنا بصيغة الجمع، وإن أخذنا آخر نقطة الميل الأعظم الشمالى للشمس (أول الصيف) وآخر نقطة الميل الأعظم الجنوبى (أول الشتاء) للزم التعبير بصيغة المثنى، وهذه إحدى روائع القرآن الكريم فى إلفاته الإنتباه إلى الأسرار العظيمة للخلق بعبارة قصيرة؛ لأننا نعلم أنّ لتغيير شروق وغروب الشمس تأثيراً عظيماً فى تنمية النباتات والزهور والثمار وبصورة عامة الأحياء كافّة.

۶ كيف يؤيد القرآن كروية الأرض؟

سؤال: هل هنالك شواهد قرآنية وروائية على كروية الأرض؟ الجواب: إنّ أحد أسرار الوجود التى أشار لها القرآن موضوع كروية الأرض، وهذا ما نستفيده من الآيات القرآنية ومنها: ۱- «وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا ...» «۱». ۲- «رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ» «۲». ۳- «فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ» «۳». توضيح ذلك: إنّ هذه الآيات كما ورد سابقاً تفيد جميعاً تعدد المشارق والمغارب ونقطتى شروق وغروب الشمس ولازمة ذلك كروية الأرض؛ لأنّه لو كانت الأرض مسطحة اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۱۶ ومستوية فسوف لن يكون للعالم أكثر من مشرق ومغرب. وعليه فتعدد

المشارق والمغارب دلالـة واضـحة على كروية الأرض. الروايات وكروية الأرض: كما تفهم كروية الأرض من بعض الروايات، منها ما ورد عن الإمـام الصـادق عليه السـلام قـال: «صـحبنى رجـل كـان يمسـى بـالمغرب ويغلس بالفجر وكنت أنا أصـلى المغرب إذا غربت الشـمس وأُصـلى الفجر إذا استبان الفجر، فقال لى الرجل: ما يمنعك أن تصـنع مثل ما أصنع؟ فإنّ الشمس تطلع على قوم قبلنا وتغرب عنّا وهى طالعـة على قـوم آخرين بعـد. قـال: فقلت: إنّمـا علينـا أن نصـلّى إذا حجبت الشـمس عنّا، وإذا طلع الفجر عنـدنا اليس علينا إلّاذلك، وعلى أولئك أن يصلّوا إذا غربت الشمس عنهم ...» «۱». وقد بيّن الإمام عليه السلام هذه الحقيقة فى رواية أخرى فقال: «إنّما عليك مشرقك ومغربك». وكل هذا طبعاً بسبب كروية الأرض. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۱۷

۷ حركة الأرض الوضعية

سؤال: هل ما يعتقـده علماء الفلك بأنّ الأرض كرويـة وتـدور حول نفسـها بسـرعة، حقيقـة علمية أم فرضـية؟ وعلى فرض حركتها فما آثارهـا العلميـة والحسـية؟ ولم يشاهـد كوكب الجـدى الـذى يعين القبلـة فى موضع واحـد؟ وهل فى القرآن والروايات ما يؤيـد هـذا الموضوع؟ الجواب: تعتبر كرويـة الأرض وحركتهـا من القضايا العلميـة المسـلمة اليوم فقـد أورد العلماء عـدّة أدلـة على ذلك، ولعل أوضـح الأدلة «اسـتدلال باندول» فلو علق جسم ثقيل بحبل فى نقطة مرتفعة وحرك لاسـتمر مدّة فى حركته؛ ولو كانت الأرض ساكنة لانبغى تردد ذلك الجسم على خط معين، بينما دلّت التجربة على أنّ حركته لن تكون مستقيمة على خط معين وينحرف أكثر تدريجياً عن الخط الأول. فأثبتت هـذه التجربـة أنّ للأرض حركـة دائميـة من جهـة معينـة إلى أخرى ويمكن تعيين جهـة هذه الحركة من جهة الغرب إلى الشرق على تلك الخطوط (يمكن الوقوف على تفاصيل هذا الدليل من خلال مختلف الصور فى كتب الهيئة). كما أكّدت التجربة: لو قذف اجوبة المسائل الشـرعية، ص: ۴۱۸ بحجر من نقطة مرتفعة فانّه لا يسـقط على خط مسـتقيم على الأرض، بل يتجه فى سقوطه قليلًا إلى المغرب وهـذا يـدل على حركـة الأرض الدورانيـة من الغرب إلى الشـرق. أمّا رؤيتنا «الجـدى» دائماً فى موضع واحد فـذلك لأنّ هذا الكوكب يقع تقريباً مقابل محور الأرض. ومن البديهى لو أدَرنا كرة حول محور (كان نغرز أُبرة وسط تفاحة ونديرها حول تلـك الأُبـرة) لرأينا أنّ نقطـة المحور ثابتـة دائماً، ومن هنا يبـدو كوكب الجـدى القطبى ثابت دائماً. وأمّا بشأن وضع الأرض فى النقطة المقابلة لنا (فى القسم الذى تحت الأرض) فلابدّ من الإلتفات إلى أنّ الأرض كونها كروية فإننا نرى وضـعاً متساوياً أينما ذهبنا، أى سـنرى النقطة التى فوقنا سماءً والتى تحت أرجلنا أرضاً، والجاذبية تحفظنا على الأرض فى كل مكان. طبعاً أغلب الكواكب الواقعة فى نصف الكرة الأرضـى الجنوبى ترى، بينما تتعذر رؤيتها فى النصف الشـمالى وبالعكس؛ وهكذا السـيارات ترى أحياناً فى نقطة من الأرض واحياناً أخرى فى نقطـة أخرى وأمّا الآيات والأخبار التى تـدعم نظريـة حركـة الأرض فمنها: ۱- «وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَـبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَـابِ صُـنْعَ اللَّهِ الَّذِى أَتْقَنَ كُـلَّ شَـىْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ» «۱» ويتصور أحياناً أنّ الآيـة متعلقـة بأوضاع القيامة فى أنّ الإنسان سـيرى الجبال يوم القيامة هكذا، إلّاأنّ العبارة «صُـنْعَ اللَّهِ الَّذِى أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ» تفند ذلك، فهى لا تتناسب مع يوم القيامة؛ يوم تغير المنظومـة الشمسـية لا يوم اتقان الخلق، وبعبارة أوضـح: أن ذيل الآيـة الـذى يتحدث عن اتقان الصـنع أنسب لاسـتحكام النظام لا للانقلاب. فظاهر الآيـة يشـير إلى حركـة الجبال وإن بـدت لنا ساكنة وعديمة الحركة. وربّما يقال لم تحدث القرآن عن حركة الجبال دون الأرض، والحال حركـة الجبال تابعة لحركة الأرض. قلنا: إنّ كل جسم كروى يدور حول نفسه إنّما تلمس هذه الحركة من خلال ما عليه من اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۱۹ نقوش وألوان، إضافة إلى أنّ الجبل مظهر عظمة ومن هنا ذكر دون الأرض، وإلّا لا معنى لحركـة الجبال دون حركـة الأرض. والطريف اسـتعمال لفظ الجمود بدل السـكون الأعمق فى بيان فكرة سـكون الأرض المتوهمة من قبل الإنسان. وعلّة تشبيه اللّه لحركة الجبال بحركة السحاب أنّ حركة الأرض هادئة وصافية وفى نفس الوقت سريعة كحركة السحاب! ۲- «الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً ...» «۱» فالقرآن الكريم يشبّه الأرض بالمهد، ولعل أحد جهات الشبه أنّ للأرض حركة دورانية على غرار حركة المهد «۲». اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۲۱

۸ ما تفسير هذه الآيات؟

سؤال: ما المراد بالآية الشريفة «فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ* الْجَوَارِ الْكُنَّسِ»؟ «۱» الجواب: «الخُنَّس»: تعنى لغوياً الرجوع، و «الكُنَّس»: الخفى والجوار جمع جارٍ، والمراد من هذه الآيات كما تشهد ما قبلها وما بعدها من آيات وأيّده المفسرون، الكواكب السيارة التى ترى بالعين (عطارد والزهرة والمريخ والمشترى وزحل) وهى فى حركة وتظهر أحياناً وتغيب أخرى ويلفت القرآن الانتباه إلى وضعها الخاص والاستثنائى وحركتها وعظمة خالقها بواسطة القسم بها. كما ينبغى الإلتفات إلى هذه النقطة وهى أنّ علماء الفلك اصطلحوا عليها بالنجوم «المُتَحَيِّرة» لأنّها لا تتحرك على خط مستقيم، ويبدو أنّها تسير مدّة ثم تعود، ومن ثم تواصل مسيرتها، وقد وردت عدّة أبحاث فى كتب الهيئة بشأن أسباب ذلك. ولعل الآيات المذكورة التى وصفت هذه النجوم (بالجوار الكنس) أشارت إلى خط السير المتأرجح لهذه اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۲۲ الكواكب (طبعاً لهذا السير جانب ظاهرى فى مشاهدتنا). على كل حال فهذه كواكب سيارة ووضعها الاستثنائى شخّص كونها من الثوابت.

۹ هل ليلة القدر واحدة فى جميع العالم؟

سؤال: وردت عدّة مطالب فى الإسلام بشأن أهمية وعظمة «ليلة القدر» كما وردت بعض الأعمال عن الأئمّة عليهم السلام بشأن هذه الليلة المتوقعة حسب المشهور فى ۱۹ أو ۲۱ أو ۲۳ من شهر رمضان. ويبدو أنّ ليلة القدر ليست أكثر من ليلة واحدة طيلة السنة، لكننا نعلم وعلى أساس اختلاف الأفق أنّ شهر رمضان يكون أبكر ليوم أو يومين فى بعض البلدان وفى البعض الآخر متأخر ليوم أو يومين، وعليه فستختلف ليلة القدر ليلة أو ليلتين، فتكون ليلة القدر متعددة حسب اختلاف البلدان. فكيف التوفيق بين وحدة ليلة القدر طيلة السنة، أم أنّ ليلة القدر تقتصر على عهد النبى صلى الله عليه و آله ومكة ولا قدر فى الأزمنة المتأخرة؟ الجواب: تفيد الأدلة القطعية عدم اختصاص ليلة القدر بعهد النبى صلى الله عليه و آله وتشمل الأماكن والأزمان كافّة وهذا ممّا لا نقاش فيه. وبرز هذا الإشكال من هذا التصور أنّ ليلة القدر واحدة ومشتركة بين مختلف مناطق العالم لتبدأ بساعة معينة وتنتهى بأخرى. والحال هذا تصور اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۲۴ خاطئ، لأننا نعلم بأنّ الأرض كروية، ودائماً هنالك نصف مظلم وآخر مضىء. وعليه فلا يمكن أن يكون الليل مشترك فى أنحاء الأرض كافّة. توضيح ذلك: أنّ أهالى كل منطقة يبدأون عامهم القمرى حسب أفقهم بأول يوم من محرم، وبعد مضى عدّة أشهر قمرية يبدأ شهر رمضان حسب أفقهم أيضاً، وفى هذا الشهر تكون ليلة التاسع عشر أو الحادى والعشرون أو الثالث والعشرون بالنسبة لأهل تلك المنطقة ليلة القدر. ولا يقتصر الأمر على ليلة القدر بل يشمل حسابهم لسائر الأيّام المقدّسة على أساس أفقهم، مثلًا عيد الفطر والأضحى من الأيّام المقدّسة لدى المسلمين وفيها أعمال خاصة، وكل يوم من هذين العيدين واحد لا أكثر، يتعين هذا اليوم لكل بلد إسلامى على ضوء أفقه الخاص، ومن هنا نشهد أغلب أوقات عيد الأضحى مثلًا فى العربية السعودية أبكر من ايران وسائر البلدان الإسلامية بيوم. وعليه فليلة القدر محفوظة لكل بلد ولا يتنافى هذا أبداً مع خصائص الليلة من نزول ملائكة الرحمة وسعة العفو الإلهى.

۱۰ كيف رأى ذو القرنين غروب الشمس فى عين حمئة؟

سؤال: قال تعالى فى الآية ۸۶ من سورة الكهف ضمن قصة ذوالقرنين: «حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ ...» فما المراد من العين الحمئة وكيف تغرب الشمس فيها على عظمتها؟ إلّايتعارض هذا مع كروية الأرض وحركتها حول الشمس والمضمون الجديد للهيئة؟ الجواب: معنى الآية على ضوء آخر تحقيقات الأعلام والمفسرين بشأن قصّة ذوالقرنين، أنّه واصل مسيرته من جانب المغرب حتى وصل البحر (هنالك اختلاف بين المفسرين هل المراد المحيط الأطلسى أم البحر الأبيض المتوسط، وهل

نهايـة مسيرته من جـانب المغرب كـانت مراكش أم أزمير فى تركيا). على كل حال كان ذوالقرنين على الساحل حين الغروب ويتطلع إلى هـذا المنظر الرائع، وحيث يبـدو لكل من يقف على ساحل البحر أنّ الشـمس تأخـذ بالغروب شـيئاً فشـيئاً فى نهايـة أفق البحر، فقد أشار القرآن إلى ذلك الاحساس لـذى القرنين بأنّه: «وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ ...». اجوبة المسائل الشـرعية، ص: ۴۲۶ وعليه فالآية مؤيـدة لكرويـة الأرض، والمراد من العين الحمئة ذلك البحر الذى تغرب فيه الشـمس. أمّا لماذا عبر القرآن عن ماء البحر بالعين، فقد أجـاب المفسـرون بـأنّ أحـد المعـانى السـبعة للعين هو المـاء الكثير، وحيث إنّ ميـاه البحـار والمحيطـات كثيرة تصب فيهـا مياه الأنهار والشـطوط والجـداول فقد عبّر عنه القرآن بالعين، بمعنى الماء الوفير ومصب المياه. وأمّا علة تعبير القرآن عن ماء البحر بالحمئة فذلك للأسباب التالية: ۱- إنّ مياه ساحل البحر يتخذ شـكل قائم وشبيهاً بالطين بفعل سقوط المياه الطينية للأنهار والأطيان الساحلية. ۲- حين تنعكس الشمس على مياه البحار حين الغروب تتخذ مياه البحر لوناً قاتماً، ولهذا شبهها القرآن بالحمئة. ۳- كلما كان الماء أكثر وأعمق يبـدو أزرق مسود، ولمـا كـان المـاء الـذى رآه ذوالقرنين كثيراً وعميقاً فقـد وصـفه القرآن الكريم بالماء المخلوط بالطين الأسود «۱». اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۲۷

۱۱ القرآن وتسخير الكواكب

سؤال: هـل أشـار القرآن إلى الكرات السـماوية التى نجـح العلمـاء فى غزوها تقريباً أم لا؟ وهل سـيحققون نجاحات أكثر؟ الجواب: لا شـك فى أنّ الإنسـان منـذ اليوم الأول الـذى أتى فيه إلى العالم فى حالـة تكامل؛ ولا يمضـى يوم حتى نراه يحث الخطى نحو التكامل بهـدف الوقوف على أسـرار عـالم الوجود. وعليه فلا مانع من حلول اليوم الـذى ينفتـح فيه الإنسان على العالم العلوى بما منحه اللّه من وسائل وإمكانات. وقد وردت بعض الآيات بشأن تسـخير السـماء والأرض للإنسان، ولعلها لا تخلو من إشارة إلى هذا الأمر؛ فالشـمس والقمر وكـل ما فى السـموات وإن سـخر للإنسان منـذ اليوم الأول، إلّاأنّ لهـذا التسـخير والانتفاع به درجات؛ وأكملها جميعاً أن يكون مهـداً للحياة. وإليك طائفة من الآيات بهذا الخصوص: ۱- «وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَاتٍ اجوبة المسائل الشـرعية، ص: ۴۲۸ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» «۱». ۲- «أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ...» «۲». ۳- «وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ» «۳» . وقـد وردت هذه العبارة فى مختلف السور. وعلى ضوء هذه الآيات يصـرح القرآن أنّه سـخر لنا ما على الأرض منـذ اليوم الأول، والحال لم يظفر الإنسان بالمصادر الكامنـة تحت الأرض دفعة واحدة، بل وقف على بعضـها تدريجياً وخلال عصور. ويتضح من هنا أنّ المراد ليس تسـخير كل ما فى الأرض من ذخائر لجميع البشر، ذلك لأنّ أغلب هذه المعادن اكتشـفت بمرور الزمان، وقد نجحت جماعة فى كل عصـر باكتشاف المصادر تحت الأرض، بل المراد المجتمعات البشـرية كافّـة المتواجـدة طيلـة الزمـان، وإن ظفر البعض بجزء منهـا. ولا يسـتبعد نجاح الإنسان مسـتقبلًا فى اكتشاف مصادر جديـدة لا يمتلـك عنهـا اليوم أى معلومات. وعليه فما المانع من أنّ السـيارات سـخرت للإنسان منـذ اليوم الأول، مع ذلك فالإنسان يسـتفيد منها أكثر طيلـة الزمان ويكتشف كرات جديـدة، وأكمل وأتم مصـداق ما أورده القرآن الكريم: «وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِى السَّمَوَاتِ» «۴». أضف إلى ذلك يسـتفاد من الآية ۳۳ من سورة الرحمن أنّ الإنسان سـيتمكن بالاسـتفادة من الإمكانات العلمية والوسائل الصـناعية من السفر إلى الفضـاء الخارجى حيث قالت: «يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ». اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۲۹

۱۲ هل هذه الآية اشارة إلى وسائط النقل المعاصرة؟

سؤال: قـال تعـالى فى سورة النحـل بعـد الإشـارة إلى خلق الأنعـام التى تحمل أمتعـة الإنسان «وَيَخْلُقُ مَا لَاتَعْلَمُونَ» «۱» فهـل المراد منها وسائـط النقل المعاصـرة؟ الجواب: ذكر المفسّـرون احتمالين للآيـة؛ الأول: المراد من خلق ما لا نعلم، الوسائط النقليـة الحديثـة التى لم

تكن معلومة للإنسان آنذاك. ويؤيد ذلك كلمة «لتركبوها». والاحتمال الثانى: أنّ المراد الكائنات والأحياء فى أعماق البحار والغابات وسائر المناطق النائية والتى كانت خفية على الإنسان فى ذلك الوقت. وبناءً على الاحتمالين فإنّ الآية المذكورة من آيات القرآن الاعجازية، لأنّها تخبر عن موجودات كانت خفية على الإنسان، وستتضح له لاحقاً بتقدم العلم.

۱۳ هل تدعم هذه الآيات نظرية تكامل الأنواع؟

سؤال: سعى أحد الكتاب لتطبيق بعض الآيات على نظرية «الترانسفورية» (التكامل التدريجى للأحياء من نوع إلى آخر) ليثبت أنّ القرآن يدعم نظرية النشوء والارتقاء فاستدل بهاتين الآيتين: ۱- «أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً» «۱» حيث فهم من كلمة «من قبل» و «لم يك شيئاً» أنّ الإنسان لم يك شيئاً قبل بلوغ مرحلة التكامل، لكنّه كان يعيش مع الحيوانات- من الحيوانات الأحادية إلى القرود التى تشبه الإنسان- ولم يكن له أى تكامل مادى أو معنوى. ۲- «هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً» «۲» وهنا أيضاً فهم أنّه «لم يكن بشيئاً مذكوراً» فى الكتب السماوية ولم يمتلك من تكامل يؤهله لأن يذكر فى صحف إبراهيم والتوراة والانجيل والقرآن. فهل هذه الآيات تؤيد حقاً النظرية المذكورة، وبخلاه فما تفسيرها؟ اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۳۲ الجواب: نعتقد بأنّ الآيات المذكورة لا علاقة لها بنظرية النشوء والارتقاء، واليك تفسير الآية الأولى: يعتبر المعاد من المواضيع الشائكة التى يصعب على الإنسان الاقتناع به والذى يقصد به الحياة فى عالم الآخرة. ومن هنا وردت عدّة آيات تصف حالة المنكرين ومنها الآيات ۶۶، ۶۷ و ۶۸ من سورة مريم. فقد قال تعالى فى بيانه لانكار المنكرين والرد عليهم: «وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيّاً* أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً* فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ ...». ونلاحظ أنّ ما استدل به الكاتب من قوله تعالى: «أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً» هو ردّ على من تساءل عن كيفية الحياة بعد الموت، أوَلا يذكر هؤلاء خلقتهم الأولى فقد خلقناهم من العدم «لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً» فهؤلاء الذين أمددناهم بهذه القوة كيف يعتقدون باستبعاد إحيائهم ثانية رغم بقاء مادتهم وطاقتهم. وعليه فالآية ليست بصدد بيان معيشة الإنسان بين سائر الحيوانات قبل بلوغه مرحلة التكامل، بل هى كسائر الآيات الكثيرة الأخرى فى مقام إثبات القيامة والرد على المنكرين. تفسير الآية الثانية: أنّ الطفل حين يولد ويتعرض إلى برد شديد فى ظل ظروف معينة قد يؤدّى به ذلك إلى الموت. فإن ظهر رجل صالح وحمله إلى بيته وعامله برأفة واحسان وأغدق عليه مختلف النعم حتى بلغ مرحلة وانفصل عن الرجل وحصل على جميع الإمكانات بما جعله ينسى فضل ذلك الرجل، بل ربّما يصطدم به بغية الحصول على بعض المنافع وبالتالى كفره بنعم ذلك الرجل. وهنا يحق لهذا الرجل أن يذكره بعجزه ويذمه على جحد النعمة. واللّه تعالى سلك هذا السبيل أوائل سورة الإنسان لايقاظ المتجبرين الذين نسوا بداية خلقهم وسلكوا طريق كفران النعمة. ولذلك قال القرآن «لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً» وإرادة اللّه هى التى خلقته من العدم وكسته لباس الإنسانية فهل نسى هؤلاء كل هذه النعم ليسلكوا طريق الكفر. وعليه فليس للآية المذكورة من علاقة بنظرية النشوء والارتقاء.

۱۴ هل تتعارض هذه الآية مع عالمية الإسلام؟

سؤال: ألا يفهم من الآية الكريمة: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ» «۱» أنّها تتعارض مع عالمية الرسالة، فلو كانت نبوته صلى الله عليه و آله عالمية ولجميع الأفراد لَما كان القرآن بلغة أمّة معينة؟ الجواب: لابد أن يكون الكتاب السماوى للأنبياء الذين بعثوا لهداية عامة الناس بلغة قومهم بفعل انطلاق دعوتهم من هناك، ومن ثم اعتمادهم مختلف الطرق لنشر دعوتهم إلى سائر الأمم. ويسعى اليوم علماء كل بلد لتدوين كتبهم بلغة أُممهم، رغم أنّ مضامين كتبهم لا تقتصر على أمّة معينة. وحيث بعث نبى الإسلام صلى الله عليه و آله من وسط عربى وكانت بداية دعوته مع العرب، كان كتابه بأحد أوسع لغات الدنيا الحية وهى العربية، بينما تتعلق قوانينه وأحكامه بالعالم أجمع. ولو كانت هنالك لغة عالمية تتكلم بها جميع الأمم والشعوب حين بعث النبى صلى الله عليه و آله لأمكن

اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۳۴ نزول الكتاب السماوى بتلك اللغة. والحال لم تكن مثل هذه اللغة آنذاك ولم تتحقق لحد الآن. وعليه فعربية القرآن لا تنافى عالميته. بعبارة أوضح: أنّ الآية تقول إنّا أرسلنا كل نبى بلسان قومه لا أنّ نبوّته ورسالته مقتصرة على أولئك القوم. ومن المسلّمات أيضاً أنّ الإسلام يسمو على اللون والعرق واللغة ويرى العالم جميعاً وطنه، وعربية القرآن باعتبار عدم وجود لغة عالمية ليس بدليل على جزئية الإسلام. وأخيراً لدينا عدّة أدلة على عالمية الإسلام لا مجال لذكرها. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۳۵

۱۵ لماذا يطلق اللّه على نفسه ضمير الجمع؟

سؤال: لماذا يطلق اللّه على نفسه صيغة الجمع وهو الواحد الأحد؟ الجواب: استعمال ضمير المتكلم الجمع (نا) إشارة إلى عظمة المتكلم واللّه الأنسب لذلك من الجميع. وقال الأدباء فى دلالة ضمير الجمع على العظمة فى أنّ عظماء الأفراد ليسوا لوحدهم عادة، فهنالك العديد من الخدم والحشم والمرافقين، وهو بالتالى تجمع، ولذلك كان الضمير كناية للعظمة. وعليه فضمير الجمع فى كلمات اللّه يذكرنا بعظمة اللّه وكل هذه القدرة المطلقة وأسرار عالم الوجود المنقادة له ليكتمل توحيدنا وتوجهنا لذاته القدّسية.

۱۶ السمع والبصر فى القرآن الكريم

سؤال: لم وردت كلمة السمع مفردة فى هذه الآية والقلب والبصر بصيغة الجمع: «خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ...»؟ «۱». الجواب: قال بعض المفسّرين: السمع هنا بمعنى مصدرى وأن يضاف إلى كلمة استفيد منها معنى الجمع والعموم فلا حاجة لجمعه، بينما ورد القلب والبصر بمعنى الاسم «عضو خاص» فجاء بصيغة الجمع. وذهب البعض من المحققين فى بيانهم للفارق بين التعبيرين، أنّ الإنسان يدرك عدّة أشياء بقلبه وفكره كما يتحسس ببصره مختلف الألوان والأشكال، وحيث مدركات هذين العضوين متعددة فكان لكل فرد منّا قلوب وأبصار، بينما لا نسمع بالأذن سوى الأمواج الصوتية ولذلك ورد بصيغة الفرد. صحيح أنّ الأصوات متنوعة، إلّاأنّ تنوعها ليس كتنوع ما يرى بالبصر من أشياء، وهكذا ما يدركه الإنسان بقلبه.

۱۷ لماذا يحرق المعبود الباطل؟

سؤال: ورد بشأن المعبود الباطل فى الآية «إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ» «۱» وهنالك بعض الحيوانات التى عبدتها الأقوام الجاهلة فما ذنبها لتحرق بنار جهنم؟ الجواب: ذكر المرحوم العلّامة الطبرسى صاحب مجمع البيان أنّ الخطاب لمشركى مكة وقد نزلت فى مكة جميع آيات سورة الأنبياء، وكان معبود مشركى مكة من الخشب والفلز والحجر وما تحرقه النار من هذه المعبودات وهى الأصنام وأمثالها والتى كان يعبدها أهل مكة حين نزول القرآن، وبالطبع فإنّ أى معبود حى عبد من بعض الناس مستثنى من ذلك. والطريف أنّ معبوداً حياً لم يكن يعبد فى شبه الجزيرة آنذاك من قبل الوثنيين. الجدير بالذكر هنا أنّ هذه المعبودات الكاذبة تحرق فى جهنم ليعلم المشركون يوم القيامة أنّ تلك الآلهة التى كانوا يقدّسونها إنّما أصبحت حطب جهنم لتحرق حتى من عبدها، ولا تملك آنذاك من وسيلة للدفاع عن نفسها وعن عابديها. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۴۱

۱۸ السجود لغير اللّه

سؤال: قال تعالى فى الآية ۱۰۰: «وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَاىَ مِنْ قَبْلُ ...» «۱» بينما ورد أنّ أمير المؤمنين عليه السلام مر بجماعة فى طريقه إلى صفين فلما رأوه أعظموه وجعلوا يتمرغون فى التراب كما كان يعظم الملوك الساسانيين فاستاء الإمام وخاطبهم أنّه بشر مثلهم. الجواب: السجدة كعبادة مختصة باللّه ولا تجوز لغيره. أمّا أخوة يوسف وأبواه-

حسب ما روى عن الصادق والهادى عليهما السلام: «إنّما سجدوا شكراً للّه»، كما أشار صاحب مجمع البيان إلى أنّ ضمير الهاء فى «وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً» يعود إلى اللّه لا إلى يوسف. وهكذا سجود الملائكة لآدم عليه السلام أى سجود للّهوقبلتهم آدم. وعليه فلا منافاة بين الآية والخبر التاريخى عن الإمام على عليه السلام.

۱۹ التوبة النصوح

سؤال: ما المراد بالتوبة النصوح فى الآية: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً» «۱». الجواب: «النصح»: فى اللغة بمعنى الخالص، فالتوبة النصوح الخالصة من المعصية ويلزم من هذه التوبة عدم العودة إلى المعاصى. ويؤيد ذلك الروايات الواردة عن الأئمّة الأطهار عليهم السلام، ومنها سئل الإمام الكاظم عليه السلام عن المراد من «تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً». فقال: «يتوب العبد ثم لا يرجع فيه» «۲». وأجاب الإمام الهادى عليه السلام عن هذا السؤال فقال: «أن يكون الباطن كالظاهر» «۳» .وهكذا وردت سائر الروايات التى تشير إلى حقيقة هذه التوبة بعدم العدم وتشابه الظاهر والباطن. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۴۵

۲۰ هل هذه الآية تتنافى مع الخلود؟

سؤال: إننا نعتقد أنّ من يرد الجنّة يخلد فيها وقد أثبتت ذلك العديد من الآيات، غير أنّ ظاهر الآية ۱۰۸ من سورة هود يفيد غير ذلك وأنّه ربّما يخرج من الجنّة: «وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِى الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّموَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ» فالظاهر أنّ عبارة الاستثناء «إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ» تفيد أنّ اللّه ربّما يخرجهم يوماً من هذه النعمة، بينما تؤكد سائر الآيات على الخلود، فما معنى هذه الآية؟ الجواب: صحيح أنّ اللّه وعد السعداء فى أغلب الآيات بالخلود وليس لهذا الوعد من خلف فهو القائل: «وَعْدَ اللَّهِ لَايُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ» «۱». ولكن ربّما يتصور البعض أنّ زمام الأمور خرجت من يد اللّه بعد هذا الوعد القطعى فهم لن يخرجوا من الجنّة ويسلبوا النعمة، ومن هنا أكد القرآن هذه الحقيقة بالعبارة «إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ» فى أنّ اللّه رغم وعده بالخلود فى الجنّة وأنّه لن يخلف وعده، مع ذلك فهذا الأمر لا اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۴۶ يحد من قدرته وما زالت الأمور بيده وله أن يفعل ما يشاء ثم وردت نفس العبارة «إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ» بشأن أهل النار لتفيد نفس الغرض. والعبارة «عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ» هى من الأدلة الواضحة على التفسير المذكور.

۲۱ فائدة ذكر اللّه عند مطلع كل عمل

سؤال: ما فائدة استهلال الأعمال بذكر اللّه؟ الجواب: يتضح من خلال الإلتفات إلى آثار ذكر اللّه فى طهارة أعمال الإنسان أنّ هذا الذكر أول العمل يسوق الإنسان إلى صحة العمل وإتقانه، ولو لم يكن لهذا الموضوع من فائدة سوى هذا لكفاه. وعليه فذكر اللّه فى العمل والاستعانة به درس تربوى يدعو الإنسان إلى صحة العمل ويصده عن الخيانة وقبح العمل والتى تفضى إلى البؤس الاجتماعى السائد فى عصرنا الراهن. وبغض النظر عن ذلك فالإنسان محدود وضعيف يحتاج إلى الإمداد الغيبى كل آن، وبقوله البسملة يعرب عن حاجته واستلهامه من اللّه. فيشمله اللّه الرحيم الغفور والقادر برحمته ولطفه وفضله.

۲۲ ما أدلة حفظ القرآن من التحريف؟

سؤال: هل القرآن بهذه الصورة هو ما نزل على النبى صلى الله عليه و آله وما الدليل على عدم تحريفه؟ الجواب: لابدّ من الالتفات إلى أنّ بلبلة تحريف القرآن الكريم من جانب اليهود والنصارى، حيث يشهد التاريخ أنّ الكتب السماوية لهذين القومين حرفت بمرور الزمان وفقدت قيمتها، فهم يسعون لإشاعة تحريف القرآن. والشواهد التاريخية القطعية تفيد أنّ نسخ التوراة حرفت مراراً إبان مختلف

الحوادث التاريخية- لا- سيما حين هجوم نبوخذ نصر على اليهود- فضاعت أغلب النسخ وحررت لاحقاً من بعض الأحبار «۱». كما يشهد التاريخ أنّ الاناجيل الأربعة كتبت بعد سنوات من المسيح عليه السلام فلم يبق أثر للانجيل الذى نزل ككتاب سماوى على عيسى عليه السلام «۲». اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۵۰ والأفراد الذين يستندون فى معارفهم وعقائدهم الدينية إلى هذه الكتب المحرفة الفاقدة للأهمية يرغبون فى ذات المصير للقرآن فيقولون إنّ القرآن أيضاً شهد التحريف بعد مدّة من الزمان. والحال كيفية جمع القرآن خلال العهود الإسلامية كافّة ممّا تأبى المقارنة مع تاريخ التوراة والانجيل فى العهود النصرانية واليهودية. ولابد أن نشير هنا إلى موضوعين كجواب لعديد من الأسئلة: ۱- إنّ القرآن الكريم هو الكتاب الذى خلق ثورة فى شؤون الحياة الاجتماعية كافّة للمسلمين. فقد حطم القرآن حياتهم السابقة واستبدلها بحياة جديدة قائمة على أساس الإيمان والمبادئ الإنسانية. وعليه فالقرآن كتاب يلامس شؤون حياة المسلمين، فكانوا يستلهمون منه تعاليم سياستهم واقتصادهم وقوانينهم الأخلاقية وحتى سننهم وآدابهم وعلاقاتهم الأسرية. فهم ينفتحون عليه بصلاتهم خمس مرات لكل يوم وليلة، وبالتالى فهم يتمسكون بالقرآن ومن ثم السنة فى أنشطتهم اليومية. وعلى هذا الأساس فكيف يقال بتحريف هذا الكتاب دون أن يلتفت إلى ذلك عوام المسلمين وخواصهم. فاحتمال وقوع التحريف فى القرآن وعدم الإلتفات أشبه بتحريف الدستور لشعب عريق دون علمهم، هل يمكن تحريف مواد دستور أمّة دون أن يلتفت أفرادها وتتعالى أصواتهم؟ والواقع أنّ دور القرآن فى الحياة الاجتماعية للمسلمين أعظم من دور الدستور، وعليه فلو وقع أدنى تحريف لجوبه بالعديد من ردود الأفعال من هنا وهناك. ۲- أثبت التاريخ المتعلق بجمع القرآن سواء على عهد النبى صلى الله عليه و آله أم بعده والأهمية الفائقة التى كان يوليها النبى الأكرم صلى الله عليه و آله والمسلمين لحفظ وتدوين القرآن استحالة فقدان حتى كلمة واحدة من القرآن. كما يشهد التاريخ أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله كان أمر أكثر من ثلاثة وأربعين من العلماء «۱» ليدونوا اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۵۱ كل سورة وآية بمجرّد نزولها وكانت تحفظ بين المسلمين. ولعل أبرز أولئك الشغفين بالقرآن على بن أبى طالب عليه السلام وزيد بن ثابت، فكانت هنالك عدّة نسخ من القرآن بيد المسلمين بعد تدوينه من هؤلاء الأفراد. أضف إلى ذلك فإنّ أغلب المسلمين كانوا يحفظون الآيات والسور القرآنية، وكانوا دقيقين فى الحفظ. وكان يطلق على البعض منهم القراء الذين يرجع إليهم المسلمون فى القراءة. وموضوع حفظ القرآن من التحريف كان على درجة من الأهمية بحيث قتل العديد من القراء على عهد خلافة أبى بكر فى معركة اليمامة فعزم المسلمون على التركيز أكثر على القرآن، فجمعوا القرآن وحالوا دون وقوع الزيادة والنقيصة فيه. وفى زمن خلافة عثمان بن عفان دونت أربع نسخ من القرآن وابلغت المناطق الإسلامية كافّة بتطبيق ما لديها من قرآن على هذه النسخ. وقد بلغ حرص المسلمين ولا سيما القراء درجة أن نشب خلاف بين أبى بن كعب وعثمان على عهد خلافته بشأن الآية: «وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ اللَّهِ» «۱» حيث زعم عثمان زيادة حرف الواو فى الذين ولابدّ من اسقاطها، فأجابه أبى إننا سمعناها من رسول اللَّه صلى الله عليه و آله كذلك، وحين تشاجرا صرخ أبى: لأضعن سيفى فى عنق كل من يسقط هذا الحرف من القرآن، فتراجع الخليفة عن رأيه. فهل ينبغى احتمال وقوع التحريف فى القرآن بعد كل هذا؟ ناهيك عمّا سبق فقد صرحت بعض الآيات القرآنية بحفظ القرآن من التحريف ومنها: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» «۲». وقد أجمع العلماء والمفكرون على عدم وقوع التحريف فى القرآن، وإن كان هنالك من يزعم التحريف فذلك ناشئ من بعض الأخبار الموضوعة، وإلّا فليس هنالك أية قرينة فى القرآن على هذا الزعم. على كل حال فإن أعلامنا أثبتوا بما لا يقبل الشك عدم تحريف القرآن. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۵۲ وأمّا الأخبار التى تشير إلى وجود قرآن لدى أمير المؤمنين عليه السلام والذى يفرق عن سائر نسخ القرآن فلا تتنافى ومسألة «عدم تحريف القرآن»؛ ذلك لأنّه حسبما قال العلماء: إنّ القرآن الذى جمعه أمير المؤمنين عليه السلام كان يشتمل على شرح نزول الآيات وتفسيرها وما كان يسمعه من النبى الأكرم صلى الله عليه و آله وهذا هو فرقه مع سائر نسخ القرآن فقط. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۵۳

۲۳ كتاب الوحى

سؤال: ما أول وآخر سورة حسب النزول، ومن كان يدون القرآن بعد نزول الوحى؟ الجواب: إن أول سورة نزلت على النبى الأكرم صلى الله عليه و آله حسب ما ذكره المؤرخون المسلمون هى سورة العلق وآخر سورة هى التوبة، ومضامينها تؤيد ذلك. وأمّا بشأن تدوين القرآن فلابدّ من القول إنّ عدداً من كبار الصحابة كانوا يدونون بالخط الكوفى السائد آنذاك ما ينزل على النبى صلى الله عليه و آله من آيات، وكان يطلق على هؤلاء «كتاب الوحى»، وذكرهم المؤرخون أنّهم كانوا ۴۳ صحابياً، وأبرزهم على بن أبى طالب عليه السلام وزيد بن ثابت الذين كانا يدونان الآيات على ضوء توجيهات النبى صلى الله عليه و آله. وبالطبع كان النبى صلى الله عليه و آله يهتم كثيراً بالقرآن كونه أساس الإسلام ودستور المسلمين ومحور أنشطتهم الفردية والاجتماعية. وحين توفى النبى صلى الله عليه و آله كان القرآن مدوناً لدى المسلمين، كما كان البعض منهم يحفظ القرآن، وما زال بأيدى المسلمين ذلك القرآن الذى كان فى صدر الإسلام.

۲۴ معنى التفسير بالرأى

سؤال: وردت عدّة روايات تنهى عن تفسير القرآن بالرأى ومن فسّره برأيه فليتبوأ مقعده من النار، فما المراد بالتفسير بالرأى؟ الجواب: أجمع المفسرون على حرمة التفسير بالرأى ووردت عدّة أحاديث بهذا الشأن نشير هنا إلى طائفة منها: ۱- قال النبى صلى الله عليه و آله: «من فسّر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار» «۱». ۲- «من قال فى القرآن برأيه «۲» فليتبوأ مقعده من النار» «۳». ۳- «من فسّر القرآن وأصاب الحق فقد أخطأ» «۴». اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۵۶ ولنرى الآن ما المراد بالتفسير بالرأى أو دون علم؟ فقد ذكر المفسرون ثلاثة أوجه للتفسير بالرأى نشير إليها باختصار: ۱- أحكام المفسر تؤدى به إلى تفسير اللفظ الذى له معنيان دون وجود قرينة للتعيين أو الآية المبهمة والمجملة من حيث المضمون والهدف والتى ينبغى رفع إجمالها وإبهامها على ضوء عقائده وأفكاره. وبعبارة أخرى فإنّ العقائد الشخصية والأحكام المسبقة تؤدّى به إلى تفسير الآية على أساسها (دون قرينة وشاهد) ويحمل آراءه على القرآن، بدلًا من أن يهتدى به «۱». ونموذج هذا التفسير بالرأى فى كتب من يتبع مذاهب «المعتزلة» و «الأشاعرة» و «الباطنية» و «الصوفية» فالمفسّر الذى أذعن مسبقاً لآراء المعتزلة والأشعرية بشأن صفات اللّه وأفعاله ويتعامل مع أية ربّما يطبقها على عقيدته الخاصة وأحياناً ظاهرها خلاف عقيدته إنّما يسعى على ضوء عقائده السابقة إلى تفسيرها وفق مذهبه، فتراه يحمل عقائده على القرآن بدلًا من العكس. وتفسير الكشاف «۲» للزمخشرى مصداق بارز لتفسير القرآن على أساس مذهب الاعتزال، ومفاتيح الغيب للفخر الرازى نموذج بارز للتفسير على ضوء المذهب الأشعرى. ففى كل من هذين التفسيرين يسعى المفسر لإثبات عقائده من خلال القرآن، ولا يسعه التخلى عن أحكامه المسبقة فيتأمل مثلًا صفات اللّه والعباد على أساس القرآن. كما فسّر بعض علماء الباطنية والصوفية وبعض الفلاسفة جانباً من الآيات المتعلقة بالمعارف العقلية طبق نظرياتهم، فالملا عبدالرزاق الكاشى انطلق فى تفسيره من آراء اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۵۷ الباطنية، كما فسّر محى الدين العربى «۱» القرآن على ضوء آرائه الصوفية. وهذه الطائفة من التفاسير التى دونت لاحياء مذهب معين (من قبل فرد غير معصوم) وعلى فرض صحة بعض هذه التفاسير، لكنها لا تخلو على كل حال من التفسير بالرأى. وقد استفحلت النزعة المادية أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر وحصل تقدم علمى كبير. ومن هنا ظهرت أرضية خصبة للتفسير بالرأى فى أوساط بعض المفسرين، وبالتالى فسّرت الآيات المتعلقة بعوالم الغيب وما وراء الطبيعة كالروح والملائكة واعجاز الأنبياء بطريقة معينة بغية مسايرة علماء المادة والطبيعة وذلك ما نجده فى تفسير المنار وأمثاله (طبعاً لبعض هذه التفاسير كالمنار العديد من الابداعات الجديرة بالتأمل) حيث سعوا إلى التوفيق بين القضايا الغيبية والأمور المادية بفعل تطور العلوم الطبيعية حتى اعتبروا الملائكة قوى كامنة فى الطبيعة. كما لم يسلم بعض علماء الأخلاق أثر تركيزهم على المسائل الاخلاقية وتهذيب النفس من تفسير طائفة من الآيات بالرأى حتى فسروا الشيطان بالنفس الامارة فأنكروا وجود الشيطان. وذهب البعض إلى أنّ المراد من فرعون فى الآية: «اذْهَبْ

إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى «۲» .كنايـة عن نفس وتهـذيب الروح وليس مقاومة فرعون معين. «۳» فكل هذه التفاسير مصاديق للتفسير بالرأى بحيث يحمل ظاهر الآية على خلافها بسبب الوسط أو الأحكام المسبقة. ۲- المعنى الآخر للتفسير بالرأى اتباع المعنى الابتدائى للآية (دون الإلتفات إلى الأدلـة القطعيـة وسائر الآيات القرآنيـة الواردة بهـذا الشأن)؛ كأن نغض النظر عن الأدلـة العلميـة والآيات التى تنفى الجسـمية عن اللَّه صـراحة ونسـتدل بظواهر بعض الآيات الكنائيـة فى جسـمية اللَّه، فنقول مثلًا: «يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ» «۴» تـدل على أنّ للَّه يـداً؟ والحـال مّمـا لا شك اجوبـة المسائل الشـرعية، ص: ۴۵۸ فيـه أنّ المراد مـن اليـد هنـا كنايـة عن قـدرة اللَّه. ۳- المعنى الآـخر، الاسـتعانة بغير القرآن؛ لأنّ مجموع الآيات القرآنيـة- سوى آيات الأحكام- يمكنها رفع إجمال الآيات ولسـنا بحاجة فى تفسـير القرآن إلى فهم الصـحابة والتـابعين. «۱» وذكر صـاحب كشـف الظنون «۲» خمسـة نمـاذج للتفسـير بالرأى ذكرت أصولها سابقاً. لابـد هنا من الالتفات الى ان اى من المفسـرين لم يقل ان مراد النبى صـلى الله عليه و آله من التفسير بالرأى هو التفسير بالعقل لنهجم عليهم و نقول انمـا قالوا ذلك حتى لايفهم الناس القرآن فيبقى القرآن تصـرفهم كما كانت التوراة والانجيل لـدى القساوسـة فى القرون الوسـطى، و بمنعهم للتفكر والتعقـل فى القرآن جعلوه كتاباً لايبقى سوى جسـمه بين الناس وروحه مجهولـة ليصـبح الفاظ واوراد و نغمـة مقدسـة ومجهولة و لغز غير مفهوم. فقد تحدث المفسرون الاسلاميون عن التفسير بالرأى ولم يعنوا الاحاديث بهذا الشكل؛ بل علماء الاسلام و خاصـة علماء الشـيعة يعتبرون العقل احدى الحجج الشـرعية و الادلة القاطعة حتى عدوه فى مصاف الكتاب و السـنة والاجماع. وكيف لهم تفسـير لفظ الرأى الوارد فى حديث النبى صـلى الله عليه و آله بالعقل و قد صـرحت المعاجم العربية المدونة لتفسـير الفاظ القرآن والحـديث ان اللفظ المذكور بمعنى الظن والحدس والتخمين. «۳» وان كانت هنالك طائفـة (الاخبارية) لاتعمل بظاهر الايات المتعلقة بالفروع والاحكام العمليـة؛ لا لانهم يقولون لاينبغى تفسـير القرآن بالعقل، بل العلة ان لهذه المجموعة من الايات ناسخ و منسوخ وعام وخـاص ومطلق ومقيـد، ولايمكننا تشخيصـها دون الرجوع اجوبـة المسائل الشـرعية، ص: ۴۵۹ لائمـة اهل‌البيت عليهم السـلام. و لهـذا لايعملون بظاهر هذه الطائفة من الايات و بغض النظر عن ذلك لنفرض ان شـخصاً مجهولًا أو اثنين قالوا ذلك، فهل تصح هذه النسـبة الجوفـاء بحيث يتصور الانسان ان اعلام الاسـلام منعوا الناس طيلـة القرون الاسـلامية من فهم القرآن و لم يأذنوا لهم بفهمه، بينما اورد هؤلاـء الاعلام مئات التفاسير و بمختلـف اللغـات العالميـة، و من اراد الوقـوف على عـدد التفاسـير فليراجع كتب «كشف الظنون»، و «الذريعة». «۱» ترى لو كـان همهم احتكـار القرآن لانفسـهم كـالتوراة والانجيـل فمـا بـالهم القوا كل هـذه التفاسـير و بمختلف اللغات وخـاضوا فى جميع خصـائص ايـات القرآن من حيث العقل والنقل. الخطأ الاخر لقائل هـذا الكلام ان الحـديث «من فسـر القرآن برايه فليتبوأ مقعـده من النار» هو تفسـيره لكلمـة «تبوء» وهى لا تعنى الملئ، بل تعنى الاعـداد واخـذ المكان. بغض النظر عن ذلك فقد عبر عن لفظ المقصـد فى الكرامـة بالموضع الخاص و هو ليس كذلك والمراد منه فى الحديث مكان، و قد ورد اللفظان فى هذه الاية «... تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال» «۲» بالمعنى الذى ذكرناه. وعليه فمعنى الحديث من فسر القرآن برأيه عليه ان يختار له مكاناً فى النار، أو يعد لنفسه من النار مكاناً (و من فسره بشكل آخر فدليل على عدم علمه باداب العربيه). اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۶۱

۲۵ علّة التكرار فى القرآن

سؤال: ما علّـة تكرار بعض الآيات والقصـص فى القرآن الكريم؟ الجواب: لابدّ من الإلتفات إلى أنّ القرآن نزل خلال ثلاث وعشـرين سنـة وعلى ضوء مختلف الأحـداث والوقـائع. فـالقرآن ليس كتابـاً قانونياً جافاً ولا كتاباً تقليـدياً يبيّن القوانين والمسائل العلميـة بصـيغة تصـنيفية. بـل القرآن كتـاب إرشـاد وهـدى وهـدفه بيان حقائق حياة الإنسان والخطوات الضـرورية لبلوغه الكمال الإنسانى ويخلق من خلال نفوذه إلى الأرواح والأفكار البشـرية وسن القوانين الاجتماعية الصائبة مجتمعاً يتصف بالكمال المادى والمعنوى. ولضمان ذلك تحـدث القرآن بشأن المواضـيع المهمّـة كافّة فنزل خلال ۲۳ سـنة وفى مختلف الأحـداث. وأمّـا بشـأن التكرار: فإننا نشاهـد نوعين من التكرار: ۱- تكرار بعض التواريـخ والقصـص. ۲- تكرار بعض الآيات المبينـة لحقائق خاصـة. اجوبـة المسائل الشـرعية، ص: ۴۶۲ ففى

القصص التاريخية لابدّ من الإلتفات إلى أنّ هدف القرآن الاساسى من ذكر القصص التاريخية السابقة تنبيه الآخرين إلى قوانين الحياة المسلمة التى تحكم البشرية. فالقرآن يريد تعريف الناس بهذه القوانين ويلفت انتباههم إلى العوامل التى تقف وراء رقى المجتمعات وانحطاطها، والآثار السلبية لتمردها على دعوات الأنبياء، وبالتالى كشف نقاط ضعفهم وقوتهم. ومن هنا كان لابدّ للقرآن من متابعة سيرة الأمم السالفة وعرض صورة عنها. وعليه فإن تحدث القرآن عن «بنى اسرائيل» أو «خلق آدم» فقد أشار فى كل موضع إلى جانب معين، حيث أراد فى كل مورد تنبيه الناس لقضية معينة لم يتطرق إليها فى موضع آخر. وأمّا تكرار بعض الآيات كالآية «فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ» فى سورة الرحمن، فلابدّ من الإلتفات إلى تأثير هذا التكرار فى روحية قارئ القرآن ومستمعه. فقد يركز القرآن على جانب عاطفى ونفسى فى شرح موضوع معين. مثلًا فى سورة الرحمن كان القرآن بصدد بيان النعم التى تلعب دوراً رئيسياً فى خلق الإنسان وتشكيل المجتمع المدنى وديمومته؛ كما تحدث عن النعم الكبرى التى تنتظر الإنسان فى عالم الاخرة، وكرر أثناء ذلك الآية المذكورة بغية إثارة العاطفة لدى الإنسان فيوقظ من خلال ذلك شعور الإنسان بضرورة الشكر ورد الجميل ويسوقه للخضوع والخشوع. وعليه فهذا التكرار ضرورى على مستوى الوعظ والإرشاد والهدى، كما لا يقدح بفصاحة القرآن وبلاغته، بل يعد من محسنات الكلام، كونه يضاعف التأكيد والتأثير. بالطبع هنالك شواهد كثيرة فى الأدب العربى والفارسى على هذا التكرار يتمثل بالتركيز فى العقيدة على بيت من الشعر أو مصراع. فقد كرر عدى بن ربيعة فى رثائه لأخيه كليب البيت «على أن ليس عدلًا من كليب» عشرين مرة. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۶۳

۲۶ هل كانت الشجرة المحظورة شجرة العلم؟

سؤال: نقرأ فى سلسلة «دروس تاريخ الأديان»: «ما كانت الشجرة المحظورة؟ ما أورده التوراة صراحة والقرآن إشارة إلى أنّها شجرة الباصرة؛ فعلى ضوء آيات القرآن أنّ اللّه خاطب آدم وحواء فأجاباه دون أى حياء من عريهما، غير أنّهما خجلا من عريهما بعد التناول من الشجرة. وعدم خجلهما من عريهما بالأمس وخجلهما اليوم بعد الأكل من الشجرة دليل على أنهما لم يبصرا بالأمس عريهما، فالشجرة المحظورة كانت شجرة الباصرة. فهل أراد اللّه أن يأكل الإنسان من تلك الشجرة أم لا؟ فلا ينبغى أن نتعامل مع هذه القصة على غرار السائد فى أنّ اللّه مثلًا لم يرد لآدم الأكل من تلك الشجرة المحظورة واستاء من ذلك الفعل؛ لأنّه كان يقدر بإرادته على منعه، وعليه أراد أن يأكل من الشجرة، فلولا تلك الشجرة لما وجد الإنسان وهذا ما خطط له اللّه ليوجد الإنسان». فهل كانت تلك الشجرة شجرة العلم والباصرة؟! الجواب: وردتنا الكثير من الأسئلة عن هذه الدروس ومنها السؤال المذكور، ولابدّ لنا من ذكر اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۶۴ بعض الأمور فى الجواب: ۱- قلنا كراراً بأنّ أحد موارد التحريف فى التوراة هذا الزعم من أنّ الشجرة المحظورة كانت شجرة العلم والمعرفة أو الخير والشر أو الباصرة (وردت تعبيرات فى ترجمة التوراة تعود جميعاً إلى معنى واحد). وعلى هذا الأساس- حسب صريح التوراة- فإنّ أول وأكبر ذنوب الإنسان ذنب العلم، ولعل هذا هو السبب الذى دفع بالقائمين على شؤون الكنيسة فى القرون الوسطى و المظلمة إلى محاربة العلم والمعرفة واتساع هذا الذنب! ويعتقدون أنّ آدم كان على جهل فى اليوم الأول بحيث لم يخجل حتى من عريه وكشف عورته؛ ولكن حين أكل من الشجرة المحظورة (العلم والمعرفة) أصبح انساناً واعياً فطرد من الجنّة والرحمة! حقاً أنّ هذه الأمور من خرافات عصور الظلام، فالقرآن على العكس يصرح بعلم آدم قبل سكنه الجنّة وقد تغذى كما ينبغى من شجرة العلم حتى أصبح معلماً للملائكة: «وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا» «۱». وعليه فآدم القرآن غير آدم التوراة. فأعظم قوّة لآدم كانت علمه وباصرته، وكان ذنب آدم الآخر العلم، فآدم هذا هو آدم الحقيقى وذلك آدم الجاهل بكل شىء، وآدم هذا خلق من أجل العلم والمعرفة، بينما لا ينبغى لذاك أن ينفتح على العلم. وعليه فمن العجيب أن تعد التوراة المحرفة والقرآن واحداً بهذا الشأن. ۲- تقول التوراة إنّ آدم وحواء كانا عريانين ولا يخجلان من عريهما. «۲» وهذا النقل صحيح، ولكن أين ذلك فى القرآن، بل بالعكس يصرح القرآن بلباسهما قبل الأكل من الشجرة ونزع عنهما بعد المعصية: «يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا» «۳» وفى آية

أخرى: «فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا» «۴». اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۶۵ وعليه فالعبارة «بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا» فى الآية ۲۲ من هذه السورة لا تعنى ابداً عريهما وعدم ادراكهما. فادم الذى يتحدث عنه القرآن كان مستوراً ومحترماً وانساناً وتعرّى بعد المعصية (لابدّ من الدقة). أمّا آدم فى التوراة فكان كالحيوانات عارياً ولم يخجل من عريه، فهل يمكن تسوية القرآن بالتوراة؟ ۳- الطريف أنّها عنت «لا تأكل» ب «يجب أن تأكل» فهل هناك من فوضى أعظم من تفسير النفى بالإثبات والحسن بالسيء؟ فلم سمّيت تلك الشجرة بالمحظورة؟! ما هذا التفسير والمعنى؟ لو كان هذا التفسير صائباً فما أجدرنا أن نفسر سائر المناهى والمحظورات بمثل هذه التفاسير ونزعم أنّ اللّه أراد حصول هذه الأفعال المحظورة، وإلّا لمنعها، فهل نحن مجبرون على أفعالنا؟! إنّ اللّه أرادنا أن نكون أحراراً ومنح الإنسان أرادة وترك للإنسان اتخاذ القرار، وقد إصدر العديد من الأحكام لتهذيبه. إذن فهذا الاستدلال (إنّ اللّه لو أراد لمنع آدم) غير صحيح. لأنّ نفس الاستدلال يصدق على المذنبين، والواقع اختلطت هنا الإرادة التشريعية بالتكوينية (لابدّ من الدقة). إلّا تعتقد معى عزيزى القارئ- على ضوء ما ذكر- أنّ مثل هذه المطالب ينبغى عرضها على أهل الخبرة المسلمين قبل نشرها بصيغة دروس؟ ترى من يتحمل مسؤولية شاب أن قرأ هذا الكتاب واعتقد أنّ الشجرة المحظورة كانت شجرة العلم والمعرفة وكان آدم وحواء عريانين كالحيوانات ولا يفهمان حتى أكلا من الشجرة، ثم طردا من الجنّة بسبب علمهما ومعرفتهما ...؟ والحال منطق القرآن عكس ذلك تماماً والذى يفهم من المصادر الإسلامية أنّ تلك الشجرة كانت شجرة الحسد ونوعاً من المنافسة وما أشبه ذلك (طبعاً ليس الحسد الذى يبلغ مرحلة الذنب أو ممارسته). توضيح ذلك: إنّ آدم كان عالماً بوضع ولده ومصيرهم ورأى فيهم مَن هو أعظم منه مرتبة من الأنبياء وأُمناء الوحى. فتمنى رؤية مقاماتهم، ولم يكن مؤهلًا لذلك رغم كافّة خصائصه، فتلك الأمنية أبعدته من الجنّة، وتلك كانت الشجرة المحظورة. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۶۶ وأخيراً هنالك بعض الروايات التى فسرت الشجرة المحظورة بالحنطة وما شابه ذلك وكان النهى عنها من باب الاختبار. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۶۷

۲۷ ما المراد من قوله: «يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ»؟

سؤال: من مسلّمات أصولنا نحن المسلمون استناد أفعال اللّه للعدل والحكمة، فما المراد من قوله تعالى: «يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ» فى الآية ۹۳ من سورة النحل؟ فإنّ كانت الضلالة والهدى بإرادة اللّه فكيف ينسجم ذلك مع العدل الإلهى فى أن يعاقبنا على الضلال ويثيبنا على الهدى؟ الجواب: إنّ آيات القرآن تفسّر بعضها بعضاً، فالكثير من الآيات تتضح من خلال ربطها مع بعضها. والآية الواردة بشأن «الضلال والهدى» من هذا القبيل. وعليه لابدّ من معرفتها على ضوء سائر الآيات الواردة بشأن الهدى والضلال. ورد فى هذه الآية «يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ» وفى سائر الآيات كالآية ۷۴ من سورة المؤمن «كَذلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الكَافِرِينَ» والآية ۳۴ من سورة المؤمن «كَذلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ». فهاتان الآيتان توضحان كيف يفقد الإنسان توفيق اللّه ولطفه ويبتعد عن سبيل السعادة والفلاح، ونستطيع بالاستناد إلى هاتين الآيتين أن نفهم معنى الآية الأولى الواردة فى اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۶۸ السؤال. وحين نضع الآيتين مع الآية الأولى يتضح أنّ من يحرم الهدى حسب مضمون الآية الأولى هم أولئك الظلمة والفسقة عديمو الإيمان لا غيرهم. وينبغى الإلتفات إلى ضلال الأفراد الآثمين وانحرافهم كأمر طبيعى تماماً، وسعادة الإنسان تعتمد على تنميته لقابلياته المادية والمعنوية وإخراجها إلى مقام الفعل. وأفضل سبيل لتنمية هذه القابليات يكمن فى إمتثال التعاليم التى بعث اللّه بها الأنبياء. فمن تمرد على هذه التعاليم كان آثماً وحرّم السعادة، وهؤلاء لا يستحقون اللطف الإلهى ولا يوفقون للهدى ومعنى ضلالتهم إثر ذنوبهم كما وردت الإشارة إليه فى الآيات السابقة هو ما ذكرناه. ووردت هذه الحقيقة بشكل آخر فى الآية ۷۹ من سورة النساء: «مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ...» فالإنسان بأعماله يسير فى طريق الضلال والانحراف عن الصراط وبالتالى الابتعاد عن السعادة والفلاح. والأمر كذلك بالنسبة لما ورد فى الآية: «وَيَهْدِي مَنْ يَشاءُ» والمراد من الهدى لطف اللّه وتوفيقه الشامل لعباده المخلصين، فهؤلاء الأفراد يضاعفون قابلياتهم كل يوم لنيل التوفيق الالهى إثر التزامهم بالتعاليم السماوية والعمل بها. والنتيجة: هدى

اللّه يعنى توفيقه وعونه على أفعال الخير والسعادة ويختص باولئك الذين يسيرون فى طريق الحق ويجاهدون فى هذا السبيل «وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ» «۱» والضلال يعنى سلب هذا التوفيق وقطع العون الإلهى ويختص بالظلمة والمسرفين والأفراد غير المؤمنين، وإلّا فإنّ اللّه لا يهدى أحداً عبثاً ولا يصده عن الهدى كذلك. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۶۹

۲۸ لِمَ خلت هذه ا لسورة من البسملة؟

سؤال: لِمَ خلت سورة التوبة من البسملة وذكرت وسط سورة النمل؟ الجواب: كان ينبغى أن تخلو سورة التوبة من البسملة كما يبدو من مقدّمتها الواردة فى تهديد المشركين وإعلان الحرب على ناكثى العهود وأولئك الذين جندوا كل طاقاتهم لمواجهة الدعوة ومجابهة التوحيد والإصلاح الأخلاقى والاجتماعى فى شبه الجزيرة العربية. وأمّا البسملة وسط سورة النمل فقد تصدرت رسالة سليمان عليه السلام إلى «ملكة سبأ»، وحيث نقل القرآن مضمون تلك الرسالة فقد ذكر بدايتها وكانت البسملة.

۲۹ هل هنالك أكثر من خالق؟

سؤال: قال تعالى فى الآية ۱۴ من سورة المؤمنون: «فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ» فهل هنالك خالق آخر غير اللّه؟ الجواب: لمادة الخلق لغوياً ثلاثة معانٍ: ۱- التقدير وقياس الشىء. ۲- تبدل صورة شىء إلى أخرى كصنع مختلف الآلات من الحديد أو غيره. ۳- الإبداع وإيجاد الشىء من العدم. طبعاً المعنى الثالث يختص باللّه ولا يطلق الخالق هذا المعنى على أحد سواه، إلّاأنّ المعنى الأول والثانى يصدق على الإنسان أيضاً. وقد استعملت مادة «خلق» فى القرآن بالمعنى الأول أحياناً والثانى أحياناً أخرى فمثلًا قال تعالى بشأن عيسى بن مريم «وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيرِ» «۱» فالخلق فى هذه الآية تبدل صورة إلى أخرى والخلق فى اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۷۲ الآية الواردة فى السؤال بالمعنى الثانى أو الأول وحيث إنّ الخالق متعدد بهذين المعنيين صحَّ القول أنّه أحسن الخالقين.

۳۰ لماذا شبّه الانفاق بالسبعمائة حبّة سنبلة؟

سؤال: قالت الآية: «مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ» «۱» وقد توجهنا بالسؤال إلى عدد كبير من المزارعين والمهندسين الزراعيين المتخصصين بهذه المحصولات فى مختلف بلدان العالم، وقالوا: لو توفرت جميع مقومات الزراعة من تربة ومياه ومكافحة الآفات وما إلى ذلك لما أنبتت كل سنبلة أكثر من ثلاثين حبّة، ولم نشاهد لحد الآن أرضاً تعطى مثل هذه المحاصيل بهذا العدد، فكيف ورد ذلك العدد الكبير أو مضاعفتها فى القرآن الكريم؟ الجواب: لابدّ من الإلتفات إلى نقطتين قبل الجواب: أولًا: لم يرد فى الآية كلام عن القمح والحنطة، بل ذكرت كلمة «حبّة» وما ذكره السائل كمثال تفسير ليس من شأن القرآن. وعليه لو كانت هنالك حبّة من بين الحبوب يحصل منها اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۷۴ على سبعمائة لكفى. ويبدو أنّ هنالك مثل هذه الحبّة ومنها الذرة التى لو زرعت حبوبها فى مسافات معينة يمكنها أن تنتج سبعمائة حبّة، ويقال يحصل ذلك بالنسبة لحبّة الارزن (راجع تفسير منهج الصادقين، هذه الآية) «۱». ثانياً: يقال وجهه كقرص القمر لا محاق فيه، أو شمس لا غروب لها أو قامته كالسرو المتسلق، رغم أننا نعلم بعدم وجود شمس لا غروب فيها أو سرو متحرك أو قمر لا- محاق له. وعليه فالمراد من هذه التشبيهات مثلًا لوجهه صفاء ووضوح القمر- مع هذا الامتياز فى أنّ للقمر محاق ولا محاق له- وهذا كثير عند الأدباء. وورد مثل ذلك فى القرآن فحين يتكلم القرآن عن الكلمات الطيبة يقول: «تُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ...» «۲» ولعله ليس هنالك شجرة تهب الثمار طيلة السنة أو أنّها نادرة على الأقل. إذن المراد لهذه الشجرة (الكلمة الطيبة) امتياز على سائر الأشجار هو عدم تحديدها بالوقت فى الثمرة، وفى موضع آخر يضرب مثلًا بنور اللّه فيقول: «كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ... يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ ...» «۳» مع العلم لا يوجد زيت مهما كان خالصاً يشتعل دون نار، وهذا فى الواقع امتياز ذكر للمشبه فى هذا المورد. والسبعمائة

حبّة فی الآیة امتیاز لهذه الحبّة (الإنفاق) علی سائر حبوب العالم. اجوبة المسائل الشرعیة، ص: ۴۷۵

۳۱ لماذا کان ابن نوح لیس من أهله؟

سؤال: أمر اللّه نوحاً علیه السلام بصنع سفینة بعد أن أخبره اللّه تعالی بالطوفان الذی سیغرق الکفّار ولا ینجو منه إلّاالمؤمنون ومنهم أهل نوح وأبناؤه. وحیث کان أحد أبناء نوح مشرکاً فلم یستمع لکلام أبیه ولم یرکب فی السفینة حتی غرق، فخاطب نوح اللّه أنّ إبنی من أهلی وقد وعدتنی بانقاذهم فخوطب بأربع عبارات، فما المراد منها: ۱- «إِنَّهُ لَیسَ مِنْ أهلِکَ»؟ لماذا ۲- «إِنَّهُ عَمَلٌ غَیرُ صَالِحٍ»؟ لماذا ۳- «فَلَا تَسأَلْنِ مَا لَیسَ لَکَ بِهِ عِلْمٌ»؟ لماذا ۴- «إِنِّی أَعِظُکَ أَنْ تَکُونَ مِنَ الجَاهِلِینَ» «۱» بم کان نوح جاهلًا؟ الجواب: لیس المراد من العبارة أنّه لیس إبنک النسبی، فهو ابن نوح الذی ولد منه، بل المراد لیس إبنک معنویاً، حیث قطعت هذه العلاقة المعنویة مع أبیه. اجوبة المسائل الشرعیة، ص: ۴۷۶ والمراد من العبارة الثانیة أنّه کان صاحب عمل طالح إلی درجة کان ذاته وشخصه تجسید للعمل غیر الصالح. والمراد من العبارة الثالثة أنّه لا ینبغی للإنسان إصدار الأحکام بشأن الأسرار التی لا علم له بها. وأمّا العبارة الرابعة فالذی کان مجهولًا لنوح واللّه عالم به ما تصور من أنّ اللّه وعده نجاة مطلقة لأبنائه، لکنه التفت لاحقاً إلی أنّ الوعد المذکور یصدق علی من لم یقطع علاقته المعنویة بنوح.

۳۲ هل تنسجم هذه الآیة مع عصمة النبی؟

سؤال: إذا کان نبی الإسلام صلی الله علیه و آله وسائر الأنبیاء علیهم السلام معصومین من الذنب فما المراد من غفران ذنب النبی فی هذه الآیة: «إِنَّا فَتَحْنَا لَکَ فَتْحاً مُبِیناً* لِیَغْفِرَ لَکَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِکَ وَمَا تَأَخَّرَ وَیُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَیْکَ وَیَهْدِیَکَ صِرَاطاً مُسْتَقِیماً» «۱». الجواب: لابدّ من الالتفات أولًا إلی أنّ زعماء النهضات والثوار الذین یسیرون خلاف الرأی العام ویسعون إصلاح المجتمعات المنحطة إنّما یواجهون سیلًا من التهم والافتراءات. والتهمة إحدی الحراب السائدة فی المجتمعات المتخلفة بحیث تعدّ تلک الشخصیات نفسها لهذه التهم. ونبی الإسلام صلی الله علیه و آله لم یستثن من هذه القاعدّة، فقد واجه معارضة قریش واتهاماتها الرخیصة. فمن کان صادق وأمین قریش بالأمس، اتّهم بالسحر والکهانة والجنون والافتراء علی اللّه منذ الیوم الأول الذی تصدی فیه لأفکارهم ودعاهم للّهوعبادته، وبالطبع إن لم تؤثر تلک الاتهامات فی البعض، لکنّها انطلت علی البسطاء من الناس وشککتهم فی صدق اجوبة المسائل الشرعیة، ص: ۴۷۸ مزاعم النبی الأکرم صلی الله علیه و آله فظلّت جماعة تعیش هذا الشک حیال الاتهامات مدّة من الزمن. فکیف یمکن فی ظلّ هذه الظروف القضاء علی التهم وایضاح الحقیقة. هنالک أسلوب واحد فإن انتصر هذا الرجل المصلح وعکس نتائج نشاطه ولمس الناس معطیاته ذابت تلک التهم وتحولت إلی امتیازات فریدة ومعنویة عظیمة، وإلّا ظلّت هذه الاتهامات فی أذهان البعض لمدّة وأثرت فیهم. وهذا ما یمکن ذکره بالنسبة للنبی الأکرم صلی الله علیه و آله، فقد اقتحم المیدان بسلسلة من المفاهیم والقوانین السامیة لصالح الناس وضد الجهاز الحاکم، وکان یخبر عن انتصاراته فی المستقبل وقد تغلّب علی جمیع الصعوبات بعنایة اللّه وصبره وإستقامته وشدّ أزره بأصحابه الأوفیاء حتی اجتاح مراکز الشرک وفتح مکة. فأدّی ذلک النصر إلی استسلام قریش للإسلام، فقد تمکن بتحقیقه لهذا النصر من إخماد أصوات المفترین والکذابین، وعلیه فلا یمکن نعته بالجنون والسحر والکهانة بعد هذا النصر، ذلک لأنّ من اتصف بهذه النقائص الفکریة لا یحقق مثل هذه النهضة. وعلیه فالمراد من «الذنب» تلک التهم الجوفاء التی کانت مترسخة فی قلوب بسطاء قریش حتی قبیل فتح مکة وقد أبطل النصر کل تلک التهم. وبالطبع کانت ستستمر تلک التهم لو لم یحرز النبی تقدماً وبقی الوضع کما کان قبل الفتح. ویؤید هذا التفسیر أمران: ۱- صریح الآیة، إننا أعددنا فتح مکة لنغفر لک فی ظلّ ذلک ذنوبک. فإن کان المراد من غفران الذنب ابطال تلک التهم- کما بینا- لصح واتضح الإرتباط بین «فتح مکة» و «غفران الذنب»؛ وإن کان المراد الذنوب الشرعیة فإنّ غفرانها عن طریق التوبة لا من خلال فتح عسکری ونصر ظاهری. ۲- المفاد الواضح للآیة أنّ هذا

الفتح والنصر سيوجب غفران الذنوب المتقدمة والمتأخرة، ولا تصح هذه العبارة إلّاأن يكون المراد تلك التهم والافتراءات، أى أنّ هذا النصر الاجتماعى العظيم أدّى إلى زوال التهم السابقة وسوف لن يلجأ فى المستقبل أحد إلى توجيه التهم للنبى الأعظم صلى الله عليه و آله، بينما ليس لغفران الذنوب المتأخرة من معنى لو كان المراد الذنوب الشرعية.

۳۳ ما معنى «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ»؟

سؤال: هل تفنى روح الإنسان، أم لا؟ إن قلت إنّها مجرّدة لا تفنى، فما معنى «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ»؟ «۱» الجواب: ليس المراد من الهلاك فى الآية، العدم والفناء المطلق؛ ذلك لأنّ جسم الإنسان لا يفنى تماماً فضلًا عن روحه، فالجسد يتحلل ويعود يوم القيامة، وعليه فالروح لا تفنى مطلقاً سواء اعتبرناها مجرّدة أم لم نعتبرها، حتى جسم الإنسان لن يكون كذلك، بل المراد منه فى الآية فناء الصورة. ففناء الإنسان قطع رابطة الروح بالجسد واختلال وضعه السابق، وإن واصل كل من الجسم والروح بقاءه بوضع آخر. والشاهد على ذلك الآيات الواردة بشأن هلاك الأقوام الماضية مثل: «وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الْأُولَى وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى «۲» ومن اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۸۰ الواضح أنّ المراد من هلكة قوم عاد وثمود ونوح فى هذه الآيات موتهم وإخلال علاقة أجسامهم بأرواحهم. وعليه فالمراد من الآية «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ»، تغيير موجودات عالم الوجود كافّة سوى الذات القدسية المنزهة عن أى تغيير.

۳۴ كيف أذن يوسف باتهام أخيه؟

سؤال: حين أراد يوسف أخيه فى مصر جعل السقاية فى رحله ثم أذّن مؤذن «أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ» فكيف وضع يوسف تلك السقاية الثمينة فى رحل أخيه، وكيف سمح باتهام أخوته بالسرقة، مع العلم أنّ الافتراء حرام؟ الجواب: الآية الشريفة: «فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ» «۱» ، فصريح الآية أن يوسف وضع السقاية فى رحل أخيه، إلّا أنّ رمى القافلة بالكذب كان من قبل شخص آخر، والعبرة هنا. أمّا لماذا قام يوسف بذلك الفعل؟ فقد وردت علته فى الآية ۷۶ حيث لم يكن هنالك من سبيل غيره، فقوانين مصر إبان القحط لم تكن تسمح ببقاء أخى يوسف فى مصر، وعلى ضوء ما ذكره بعض المفسرين فإنّ يوسف أطلع أخاه على ذلك، حيث صرحت الآية ۶۹ بأنّه اجتمع به سرّاً وربّما أطلعه على ذلك. وعليه فكان الموضوع ممّا لا إشكال فيه عند يوسف، فقد رضى أخوه بذلك. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۸۲ ومن جانب آخر فإنّ يوسف لم يتهم أخاه ولم يكذب ويوجّه إليه التهمة، بل تصور المأمورون حدوث سرقة ففتشوا الأمتعة واتهموا أخا يوسف واعتقلوه. وحيث كان يعلم بالقضية سكت، إضافة إلى أنّ الآية لا تحمل أى قرينة على أنّ القضية وقعت أمام يوسف.

۳۵ هل يجب الضحك قليلًا والبكاء كثيراً؟

سؤال: ما المراد من الآية: «فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيراً» «۱» هل أمر اللّه الناس بالضحك قليلًا والإكثار من البكاء، مع أنّ كثرة البكاء فيها اضرار كثيرة لا يرضاها الشارع المقدّس قطعاً، بينما فى الضحك نشاط الجسم والروح فلماذا هذا المنع؟ الجواب: إنّ من فسّر الآية هكذا لم يلتفت إلى صدرها وعجزها، فالآية الواردة فى سورة التوبة تتحدث عن المنافقين والمتقاعسين عن الجهاد، وقبلها الآية: «فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ» «۲» . ثم تلتها الآية «فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ». والخلاصة، فذيل الآية وما قبلها وبعدها وشروع العبارة بفاء التفريع كلّها تشير بوضوح اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۸۴ إلى أنّ الآية متعلقة بوضع المنافقين والمتخلفين عن الجهاد، ولا يوجد مثل هذا الأمر عند عامّة الناس، وقوله تعالى «جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» إشارة إلى أنّ هؤلاء لو

يعلمون بما ينتظرهم من عقاب لبكوا كثيراً وضحكوا قليلًا.

۳۶ هل هنالک سؤال يوم القيامة أم لا؟

سؤال: ورد فی سورة الرحمن: «فَيَوْمَئِذٍ لَايُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ» «۱» مع العلم وردت عدّة آيات بشأن سؤال المذنبين؟ الجواب: يستفاد من سائر آيات هذه السورة أنّ المراد من عدم سؤال المذنبين هنا السؤال اللسانی بحيث يردون بلسانهم كما هم عليه هنا، بل شكلهم يتحدث عن أعمالهم وستتحدث أيديهم وأرجلهم عن أفعالهم. فالآيتان اللاحقتان: «يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِی وَالْأَقْدَامِ» «۲». وقال تعالى فی سورة يس: «الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» «۳» وعليه فالمراد من عدم السؤال، اللسانی.

۳۷ هل كان النبی يستشير؟

سؤال: إنّ النبی الأكرم صلى الله عليه و آله كان متصلًا بالوحی، فما حاجته لاستشارة أصحابه فی الشؤون الحربية والاجتماعية، بحيث ألزمه اللَّه- فی الآية ۳۸ من سورة الشورى- بالمشورة؟ وكيف أمره اللَّه بالمشورة وهو أسمى الخلائق فی العلم والمعرفة والسياسة؟ الجواب: لقد ردّ القرآن على هذه الأسئلة فقال: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِی رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ» «۱» وعليه كان المراد من المشورة، بعدها التعليمی والتربوی- فكان يلقن أصحابه دروساً عمليةً باستشارتهم بحيث يتبادلون الرأى بعده ويحلون مشاكلهم. فإن كان ذلک الزعيم العظيم المعروف بعلمه وسياسته وتدبيره لا- يرى نفسه غنياً عن الاستشارة وينفتح على آراء صحبه، فما ظنّک بأتباعه وأنصاره (طبعاً لابدّ أن تقتصر المشورة على الأمور التی لم يرد فيها أمر قاطع من اللَّه تبارک وتعالى).

۳۸ لماذا وصف اللَّه نفسه بربِّ الشِعرى؟

سؤال: ورد فی القرآن الكريم بشأن اللَّه تعالى: «وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى «۱» فما الميزة فی كوكب الشعرى ليوصف اللَّه بأنّه ربّه ومالكه، ولماذا لم يذكر سائر الكواكب وهو خالقها وربّها جميعاً؟ الجواب: يعود هذا إلى سببين: أ) كانت قبيلة «خزاعة» تعبد الكوكب المذكور وتقدّسه وتراه الفاعل فی الأرض. ومن هنا أراد القرآن أن ينبههم إلى أنّ هذا الكوكب- كسائر المخلوقات- مخلوق للَّه، أى أنّ هذه القبيلة خلطت الخالق بالمخلوق فعبدته بدلًا من خالقه «۲». ب) كوكب الشعرى أحد كواكب السماء المشعة والذى يصطلح عليه علماء الفلک بملک الكواكب، ويتميز هذا الكوكب ببعض العجائب نشير هنا إلى بعضها: اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۹۰ ۱- تبلغ درجة حرارة هذا الكوكب على ضوء مراصد باريس حدود ۱۲۰۰۰۰ درجة ومصاحبه ۸۰۰۰ درجة، بينما تبلغ درجة حرارة الشمس التی تضیء المنظومة الشمسية ۶۵۰۰ درجة، وهذا بدوره يكشف عن عظمة هذا الكوكب. ۲- تبلغ كتلته خمسين ضعفاً لكتلة الماء، بينما تبلغ كتلة أعظم كوكب من منظومتنا الشمسية وأعظمها بهذا الخصوص كوكب عطارد ستة أضعاف كتلة الماء. وهذا ما يكشف عن طبيعة العناصر المؤلفة لهذا الكوكب. ۳- يقع كوكب الشِعرى تحت هرم جميل تشاهد وسطه ثلاثة كواكب ممتدة على شكل خط مستقيم، ويعد الهرم المذكور من أجمل مواقع السماء وتضم الكوكب المعروف بالجوزاء. ۴- كوكب الشِعرى ألمع ثوابت السماء، ويظهر فی فصل الشتاء، بينما كان يظهر فی السماء تزامنا مع بداية فصل الصيف على عهد المنجمين المصريين الذين عاشوا قبل سبعة آلاف سنة. ۵- واستناداً لما ذكر، وعلى ضوء التحقيقات الحديثة فإنّ الشِعرى كوكب كبير يكبر حجم الشمس بعشرين مرّة (كتلة الشمس بالنسبة للأرض ۱۳۱۰۰۰۰) إلّاأنّ بُعده عن الأرض مقارنة بالشمس شاسع جدّاً بحيث يعدل مسافة الشمس مليون مرّة. وتعلم أنّ سرعة الضوء ۳۰۰۰۰۰ كيلومتر فی الثانية، أى تطوى ۵۰۰۰۰ فرسخ ثم يصل ضوء الشمس إلى الأرض بعد أن يقطع مسافة ۱۵۰ مليون كيلومتر خلال ثمان دقائق وثلاث عشرة ثانية، بينما لا يبلغ ضوء كوكب الشِعرى الأرض إلّابعد عشر سنوات «۱». طبعاً هذه

الخصائص موجودة فى سائر الكواكب، إلّاأنّها مجتمعة فى كوكب الشِعرى. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۹۱

۳۹ هل ينسجم معراج النبى صلى الله عليه و آله مع العلم؟

قلَّ من لم يسمع كلاماً بشأن معراج النبى الأكرم صلى الله عليه و آله ويتساءل عن صحة هذه القضية وبالتالى تفاصيلها وجزئياتها. وربّما تبقى بعض هذه الأسئلة دون جواب ولا يظفرون بايضاحات قانعة، وبعض يعتبرها ضرباً من الخرافات، وأخيراً ينظر إليها البعض الآخر بعين الشك والريبة. أسئلة ضرورية: ۱- هل هنالك حقّاً بعض الأدلة فى الآيات القرآنية والروائية وأقوال الأعلام على مسألة المعراج، أم أنّها وردت فى كتب وأخبار ضعيفة تفتقر إلى الاعتبار العلمى والمنطقى. ۲- لو أيّدت الأدلة القطعية هذه المسألة، فهل يعنى ذلك عروج النبى صلى الله عليه و آله إلى السماء بهذا البدن، أم أنّه حصل فى عالم الرؤيا وبعبارة أخرى أكان المعراج بالروح أم بالبدن؟ «۱» ۳- ما هى الوسيلة التى تمّت بواسطتها هذه المسألة، ولم تكن وسائل الرحلات الفضائية السائدة اليوم موجودة آنذاك. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۹۲ وبغض النظر عن ذلك لو حصلت تلك الرحلة إلى جميع أنحاء السماء لواجهتنا مشكلة كبرى من حيث «الزمان»، فالمعراج كان يتطلب زماناً لا ينسجم مع ما ذكر بشأنه، بل تستحيل على مستوى عمر النبى الأكرم صلى الله عليه و آله. ۴- ناهيك عمّا سبق، يرد سؤال آخر: ما المراد من المعراج وما تتضمنه الرحلات الفضائية من صعوبات؟ الأجوبة: القرآن والمعراج: ۱- قالت الآية الأولى من سورة الإسراء: «سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ»، فإشارت إلى «مقدمة المعراج» أى الحركة من مكة إلى بيت المقدس ولم تتطرق إلى رحلته إلى السماء. ويستفاد من ذلك أنّ السير المذكور كان من المسجد الحرام وقد وقع فى ليلة واحدة والهدف رؤية آيات العظمة الإلهيّة. وظاهر الآية أنّه وقع فى اليقظة لا فى النوم؛ لأنّ مفهوم العبارة «أسرى بعبده» أنّ اللّه هو الذى ساقه لتلك الرحلة، بالإضافة إلى ما يؤيد اهمية الموضوع استهلال الآية بكلمة «سبحان»؛ فالقضية لو حصلت فى النوم لما تطلبت التعبير بتلك الكلمة. ۲- وردت فى الآية ۱۳- ۱۸ من سورة النجم: «وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى . ورغم أنّ الآيات لم تتضمن تصريحاً بالمعراج ووقوع مشاهدة هذه الايات فى السماوات، لكن القرائن الموجودة تشهد أنّها وقعت حين المعراج؛ ومنها حصول اللقاء عند السدرة، ومن هنا اعتبر مفسّرو الفريقين الآيات واردة فى المعراج. كما أنّ لهذه الآيات ظهور فى أنّ الحادثة كانت فى اليقظة، والآية «مَا زَاغَ الْبَصَرُ اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۹۳ وَمَا طَغَى شاهد آخر على هذا الموضوع. كما أجملت الآية: «لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى هدف المعراج فى رؤية آثار عظمة اللّه وآياته فى العالم العلوى. وبالطبع هنالك الكثير من الكلام فى تفسير هذه الآيات وخلاصة ما ذكرناه سابقاً. ويفهم ممّا ذكر أنّ موضوع المعراج كان مجملًا فى القرآن الكريم. العراج والروايات: يستفاد من مصادر التفسير والحديث والعقائد أنّ الاعتقاد بالمعراج وخلافاً لما يظنّه البعض لا يقتصر على طائفة من المسلمين، بل يشمل جمهور المسلمين مع بعض الفوارق كما سيرد لاحقاً. فقد وردت عدّة روايات عن الفريقين بهذا الخصوص لا يسعنا ذكرها جميعاً، والمهم إجماع أغلب العلماء على تواترها أو شهرتها. وإليك نماذج من ذلك: ۱- قال المفسّر والفقيه الكبير الشيخ الطوسى رحمه الله صاحب «تفسير التبيان» فى ذيل الآية الأولى من سورة الأسراء: «إنّ علماء الشيعة يعتقدون أنّ اللّه أسرى بنبيّه فى تلك الليلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وعرج به إلى السماء ليريه آياته، وكان ذلك فى اليقظة لا المنام، إلّاأنّ القرآن اقتصر على الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وغيره من الأخبار». ورغم نسبة جانب من المعراج إلى القرآن وما بعده للأخبار، إلّاأنّ ما ذكره فى تفسير الآيات الست من سورة النجم تنطبق على الجانب الآخر من المعراج، وكأنّه غيّر رأيه السابق ونسبه إلى القرآن أيضاً، لكنه اعتبر دلالة الأخبار قطعية بهذا الخصوص. ۲- وقال المفسر الكبير المرحوم الطبرسى صاحب «مجمع البيان» فى تفسير ذيل الآيات الواردة فى سورة النجم: «ظاهر مذهب الأصحاب والمشهور فى أخبارنا أنّ اللّه أسرى بالنبى الأكرم صلى الله عليه و آله بهذا البدن وفى اليقظة وعرج به إلى السماء وهذه عقيدة أغلب المفسرين». اجوبة المسائل

الشرعية، ص: ۴۹۴ ۳- وذكر المحدّث الشهير العلّامة المجلسى فى الجزء السادس من بحار الأنوار: «إنّ إسراء النبى من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ممّا دلت عليه الآيات وأحاديث الفريقين المتواترة، وانكار أمثال هذه الأمور أو تأويلها وتفسيرها بالمعراج الروحى أو النوم ناشئ من عدم الوقوف على أخبار أئمّة الهدى أو ضعف اليقين ...». وثم أضاف: «لو أردنا جمع الأخبار الواردة بهذا الشأن لتطلبت كتاباً كبيراً». ثم روى أكثر من مائة حديث بهذا الخصوص وردت أغلبها فى كتاب الكافى الذى يعدّ من مصادر الشيعة المعتبرة. كما ذهب علماء العامة والمفسرون والمحدثون إلى أنّ أحاديث المعراج من الأحاديث المشهورة. وفى الختام يبدو من الضرورى ذكر هذه النقطة- بغية إيضاح المسار التاريخى لهذه المسألة بين المسلمين على الصعيد الروائى ونظرة علماء الإسلام- وهى أنّ صاحب «مجمع البيان» قال: الأحاديث الواردة فى المعراج أربعة طوائف: ۱- الروايات القطعية التواتر (كأصل موضوع المعراج). ۲- الروايات التى لا تمتنع عقلياً ونقلياً (كمشاهدة آيات عظمة اللّه فى السماء). ۳- الظاهرات الشاذة الظاهر، ولكن يمكن توجيهها وتفسيرها. ۴- الروايات الباطلة التى يتضح وضعها وبطلانها. وكما صرّح هؤلاء العلماء فإنّ قبول مسألة المعراج لا تعنى التسليم بكل خبر ورد فى كل كتاب، ذلك لأنّ المعراج كسائر المسائل لم يسلم من التحريف والوضع؛ وعليه فلابدّ من تمييز غث الأخبار من سمينها من خلال العقل والنقل فى التعامل مع هذه الأحاديث. وهذا خلاصة الكلام بشأن المعراج على ضوء الأدلة النقلية. المعراج والعلوم: لابدّ من طرح بعض الأسئلة والرد عليها لرفع الشبهات كافّة: اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۹۵ ۱- هل المعراج يعنى السير فى السماء، وبعبارة أخرى هل يرى العلم من إمكانية للرحلات الفضائية الواسعة؟ ۲- ما الوسائل اللازمة إن كان ممكناً؟ ۳- ما الزمان اللازم للقيام بهذه الرحلات؟ جواب العلم عن السؤال الأول بالإيجاب، فالرحلة الفضائية ليست ممكنة فحسب، بل أصبحت أغلبها عملية اليوم. فلم يعد اليوم من إمكانية لسماع نظرية بطليموس التى ترى سير الإنسان فى السماء يوجب خرق العادة والتئام الأفلاك. فالصواريخ العابرة للفضاء- وبعضها بركاب وأخرى دونهم- قد شقت عنان السماء لتبلغ كوكب الزهرة الواقع فى الفلك الثالث فى هيئة بطليموس، ولم يحدث محال عقلى ولا خرق ولا التئام. صحيح أنّ هذا التقدم لا يعدّ شيئاً إزاء الكواكب ومسافاتها العجيبة، لكنّه أخرج الموضوع من الاستحالة العقلية والعملية، وكما قيل فإنّ وقوع موضوع دليل على إمكانه ... هذا ما يتعلق بالسؤال الأول. وأمّا السؤال الثانى فلابدّ من الإذعان بأنّ الرحلة الفضائية تتطلب عدّة رسائل للتغلب على العراقيل التى تعترض هذا السبيل. ولعل أهم هذه العراقيل. ۱- الجاذبية الأرضية التى ينبغى التغلب عليها ببعض الوسائل. وقد أثبت العلماء بواسطة بعض الحسابات أنّ ذلك يتطلب وسيلة لا تقل سرعتها عن أربعين كيلومتر فى الساعة، وبعبارة أخرى ۲/ ۱۱ كيلومتر فى الثانية. فلو منحت سفينة فضائية مثل هذه السرعة لاخترقت الجاذبية وشقت طريقها نحو المنظومة الشمسية. ويبدو الحصول على هذه السرعة ممكناً، لكنه صعب وشاق. ۲- إنعدام الهواء فى الوسط الخارج عن الجو. فهنالك طبقة من الجو وبغض النظر عن بضع كيلومترات مجاورة للأرض والتى تحتوى على أوكسجين يمكن التنفس فيها، بينما يتعذر التنفس فى سائر الطبقات الأخرى ولو ارتفع الإنسان فى أعالى الجو لاختنق بسبب قلّة الأوكسجين. وقد أثبتت التجربة أنّ الإنسان اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۹۶ العادى يغيب عن الوعى خلال ثوانٍ فى فاصلة ۱۵ كيلومتر عن سطح الأرض ويموت إن لم يسعف، ومن هنا يحمل رواد الفضاء مقداراً من الأوكسجين فى رحلاتهم الفضائية. ۳- الحرارة والبرودة القاتلة فى الفضاء، أى عدم تعرض الجسم للحرارة يجعله بارداً جدّاً. ذلك لعدم وجود الهواء هناك ليوازن الحرارة المحرقة ويختزن قسماً منها. ۴- الأشعة الخطيرة خارج الجو، كالأشعة البنفسجية واشعة X والاشعة الخارقة «۱» ولو تعرض الجسم لهذه الاشعاعات مدّة زمينة قصيرة إختلت أجهزته، وحيث تتواجد بكثرة فى الفضاء فهى مميتة وقاتلة. ۵- أجسام الشهب الكثيرة والتى تنطلق بسرعة عالية فى الفضاء ولعل ارتطام إحدى ذراتها الصغيرة بجسم الإنسان أعظم خطورة من إطلاقة البندقية مع علمنا بأنّ تأثير الجسم يتناسب طردياً مع سرعته، ومن هنا يتمّ التعرف على مدى تأثير الإطلاقة من خلال سرعتها لا مادتها وشكلها. وطريقة مقاومة هذه الأجسام بنسبة معينة للسفينة الفضائية وألبسة خاصة يمكنها المقاومة للأجسام. ۶- إنعدام الوزن، فنحن نعلم بأنّ الجاذبية تتناسب عكسياً مع مربع المسافة، أى لو كانت مسافة الجسم عن مركز الأرض ضعفين لقلّ وزنه إلى الربع، فالوزن هو تأثير الجاذبية على بدن الإنسان أو سائر الأجسام،

وهكذا يقلّ وزن جسم الإنسان حتى يصل إلى الصفر، ورائد الفضاء يشعر بإنعدام الوزن تماماً، بالإضافة إلى أنّ السرعة إحدى عوامل إنعدام الوزن. والعوارض الناشئة من إنعدام الوزن صعبة التحمل رغم عدم خطورتها، ويضطر رواد الفضاء لممارسة مختلف التمارين الشاقة بغية التغلب على هذه المشكلة. هذه مختلف المواقع التى تعترض الرحلات الفضائية، ولكن كما قيل فإنّها لا تحيل الرحلة الفضائية إلى الاستحالة، بل يمكن التغلب عليها ببعض الوسائل، والإنسان ظفر اليوم ببعض الوسائل. ولكن لا ينبغى اعتبار الأمر متقصر عليها، بل هنالك العديد من الوسائل اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۹۷ التى من شأنها القضاء على هذه الموانع. هذا بشأن الرحلات الفضائية البشرية اليوم، أمّا بشأن معراج النبى صلى الله عليه و آله فلابدّ من القول: إنّنا نعلم بأنّ النبى الأكرم صلى الله عليه و آله لم يسلك هذا الأمر بالوسائل العادية، بل انطلق من خلال قوّة عظيمة من عالم ماوراء الطبيعة، فطوى هذا الطريق بوسيلة مجهزة، وليست هنالك من مشكلة بهذا الخصوص. فهل هنالك من مؤمن بقدرة اللّه المطلقة (طبعاً المراد بهذا الكلام الموحدون) يسعه انكار عدم وجود أى مانع إزاء قدرة اللّه فقد زوّد نبيّه بوسيلة معينة خارجة عن نطاق فكرنا لينطلق إلى السماء ويرى عجائب الخلقة؟! المعراج والزمان: طبعاً يعدّ هذا الموضوع مشكلة كبرى فى المعراج (وخلال ليلة واحدة). ولكن هنالك حلّان لهذه المشكلة: ۱- ربّما حصل المعراج داخل المنظومة الشمسية فقط، لأنّ الإشكال المذكور يكون وارداً إن اعتبرنا المعراج خارج المنظومة الشمسية، والحال ليس لدينا دليل قاطع على هذا الموضوع. فلا مانع من حصول هذه الرحلة داخل المنظومة الشمسية، وعليه لا يرد أى إشكال على هذه القضية. فأبعد سيارة فى المنظومة الشمسية التى ترى بالعين المجردة «زحل» والمسماة سابقاً السماء السابعة (لانها تبعد عنا أكثر من عطارد والزهرة والمريخ والمشترى والشمس). فهى تبعد عنا أكثر قليلًا من ۱۴۰۰ مليون كيلومتر. وهذه المسافة بالنسبة لوسيلة أسرع من حركة الضوء قصيرة وتتم بمدة قصيرة جدّاً. وعليه فمشكلة الزمان محلولة داخل كرات المنظومة الشمسية ولا يتعارض ذلك مع نظريات علم الفيزياء، واطلاق السموات على كرات المنظومة الشمسية تعبير عادى، ذلك لأنّ أحد معانى السموات كرات المنظومة الشمسية، والطريف أنّ روايات الفريقين تحدثت عن الوسيلة التى حملت النبى إلى السماء وأسمتها «البراق» من مادة برق التى قال فيها اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۹۸ المحدثون: لعل سرعتها وحركتها كالبرق هو الذى يقف وراء تسميتها. والأطرف من ذلك ما ورد فى بعض الروايات بشأن هذه الوسيلة أنّ «خطاه مد بصره» حيث يستفاد أنّ سرعته كانت كسرعة الضوء، ذلك لأنّ رؤية الأشياء تتمّ بواسطة الضوء، والطول الزمانى لرؤية كل شىء تساوى سرعة ضوئه. ۲- سرعة الضوء ليست أعظم سرعة. تفيد دراسات العلماء المعاصرين عدم صحة النظرية التى تزعم عدم وجود سرعة تفوق سرعة الضوء مهما كانت الظروف، بل هنالك مثل هذه السرعة التى تفوق سرعة الضوء (لابدّ من الدقة). ومنها أنّ البعض يعتقد بأنّ امواج الجاذبية لا- تحتاج فى حركتها إلى الزمان مطلقاً، بل تخترق العالم خلال لحظة. قال العالم «جيور جيو»: «... ولكن هنالك سرعة آنية وتؤثر فى لحظة من جهة هذا العالم لأخرى وهى سرعة أمواج الجاذبية، ولو انفصل فى هذه اللحظة نهاية عالم مجرة تضم عشرات ملايين الشموس وتبدلت إلى أمواج فستقوم الجاذبية بردة فعل فى نفس هذه اللحظة لإعادة توازن العالم، ولو لم يكن الأمر كذلك، لتفككت تلك المجرّة آنذاك وتبدلت إلى أمواج تقضى على عالم الشمس». وكما نلاحظ فالبحث هنا عن سرعة تفوق سرعة الضوء بشأن المجرات، وهذا يكشف عن عدم قطعية السرعة النهائية للضوء، وقد يتضح مستقبلًا على ضوء بعض الاختراعات بحيث يمكن لجسم ترابى فى ظروف معينة (لا فى ظل أية ظروف) أن يسير بسرعة تفوق الضوء، فتحل مشكلة الزمان فى مسألة المعراج وإن كان خارج المنظومة الشمسية، وليس هنالك من محذور علمى فى معراج النبى عليه السلام إلى السماء خلال ليلة واحدة. علّة المعراج: لم يسلم المعراج للأسف كسائر المسائل التاريخية الصحيحة من الخرافات، ليبدو اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۴۹۹ مستهجناً لدى أولئك الذين ليس لهم رصيد من المطالعات والتحقيقات. فالقرآن يكشف هذه الحقيقة بصفته أفضل سند حى بعيد عن التحريف لإدراك هدف هذا المعراج والحقائق الإسلامية كافّة. ولنا أن نستنبط هدف المعراج من القرآن والذى ينسجم مع مبادئ العلم والمنطق. ورغم أنّ الآيات المتعلقة بالمعراج لا تبلغ عشرة، إلّاأنّ اثنتين منها وضحت الهدف: فالآية الأولى من سورة الأسراء صرحت قائلة: «سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا

الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ». فالهدف من المعراج فى هذه الآية رؤية آثار وآيات عظمة اللّه فى العالم العلوى. وصرحت الآية ۱۸ من سورة النجم قائلة «لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ويفهم من الآيتين أنّ هدف المعراج لم يكن التطلع إلى سلطة اللّه أو سماع صوت قلمه أو مشاهدة جماله! فنحن المسلمون لا نعتقد بوجود موضع معين للّه، فهو فى كل مكان «فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ» «۱» ، «وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمواتِ وَالْأَرْضَ ...» «۲» والمراد بالكرسى سعة عالم الخلق. «۳» وعليه فالمراد من المعراج رؤية آثار عظمة اللّه فى العالم العلوى ليزداد قلب النبى الأكرم صلى الله عليه و آله بصيرة وفكره اتساعاً واستعداداً لزعامة وهداية الخلق إلى اللّه فى ظل مشاهدة هذه الآثار المذهلة «۴». اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۰۰

القسم السابع استفسارات مختلفة

۱ ما أسباب تقدم المسلمين سابقاً وتخلفهم حديثاً؟

سؤال: ماذا كانت أسباب تطور المسلمين بالأمس وانحطاطهم اليوم؟ لماذا أصبح المسلمون تابعين لبلدان العالم المتطورة بعد أن حكموا بحضارتهم أغلب دول العالم؟ الجواب: حقاً إنّ هذا لمن الأسئلة الحساسة والرائعة، والأجدر إصدار كتاب بهذا الشأن. فقد ذكر العالم المصرى المعروف فريد وجدى فى مادة العلم من موسوعته عشرة أسباب تقف وراء تطور المسلمين، كما خاض عالم آخر فى هذا الموضوع «۱»، والحق أنّ سبب ذلك التقدم وهذا التخلف يكمن فى اتباع أو رفض التعاليم الإسلامية، فالمسلمون فى صدر الإسلام كانوا يمتثلون التعاليم الإسلامية كافّة- وفى جميع شؤونهم- بينما انحرف المسلمون اليوم فى أغلب مناطق العالم عن هذه التعاليم، وربّما يسعنا القول إنّ البعض مسلم بالجنسية لا على نحو الواقع، مع ذلك هنالك بعض العوامل والأسباب، ومنها: اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۰۴ ۱- التضحية الشاملة كان المسلمون الأوائل مضحّين بالمعنى الحقيقى لهذه الكلمة، فكانت التعاليم الإسلامية لديهم أولى من الأخ والمرأة والمقام والثروة والمنصب، فكانوا يؤثرونها على مصالحهم المادية، ويشهد على ذلك التاريخ الإسلامى وما تخلله من حروب، إلّاأنّ الدين أصبح هامشياً اليوم لدى أغلب المسلمين فقلَّ ذلك الإيثار والتضحية، فالإسلام محترم لدى البعض مادام لا يتعارض مع مواقعهم وأموالهم، وإلّا طرحوه جانباً. ۲- الاتحاد والأخوة كان المسلمون فى صدر الإسلام متحدين واخوة لحكم القرآن، ثم حدثت بعض الاختلافات التى أعقبت وفاة النبى صلى الله عليه و آله استطاع أمير المؤمنين عليه السلام والمعصومون من ولده عليهم السلام إزالتها والحيلولة دون تعثر رقى المسلمين، حتى تنازلوا عن حقّهم بغية حفظ كيان الإسلام، بينما بلغ الخلاف اليوم والنفاق ذروته فى الأوساط الإسلامية فراجت العقائد الفاسدة وكفرت بعض الفرق الفرق الأخرى وقد اتسع اليوم حجم الاختلاف بين المسلمين وشوهت الصورة الحقيقية للإسلام ببعض الخرافات، فهل يتصف المسلمون بذلك المجد الذى حققوه سابقاً. ۳- الظروف الزمانية كان العلم بشرائط الزمان أحد العوامل المهمّة لرقى المسلمين، فكانوا يتسلحون بالعلم والمعرفة، يذكر أنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله أخبر بوسيلة فى اليمن اخترعت لتحطيم القلاع فأوفد فريقاً إلى اليمن للتعرف عليها. «۱» كما كان المسملون يترجمون لقرون علوم الآخرين من قبيل الفلسفة والفيزياء والكيمياء والحساب والهندسة والنجوم والهيئة ... ويكملونها بآرائهم فأسسوا الجامعات والمكتبات الضخمة فغدوا مشاعل تحمل العلوم. وأصبحت المراكز الإسلامية فى بغداد والشام ومصر والأندلس وايران تستقطب الدارسين من أنحاء العالم كافّة، بينما غفل أغلب المسلمين اليوم عن متغيرات الزمان اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۰۵ والأوضاع السائدة وسعوا لممارسة حياتهم بوسائلهم السابقة، فى حين هنالك تطورات واكتشافات كل لحظة، وما زلنا نعانى من الضعف فى إعلامنا ونشر معارفنا الإسلامية. هذه بعض العوامل التى تقف وراء تقدم مسلمى الصدر الأول؛ بالإضافة إلى عوامل أخرى كان لها بالغ التأثير فى رقيهم لا يسعنا الخوض فيها مراعاة للاختصار، ونختتم البحث بالآية التالية التى تشير إلى علل سمو المسلمين «وأَنْتُمُ الأَعْلَونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤمِنِينَ» «۱» ويتضح ممّا سبق والآية جواب سؤال آخر هو: هل من أمل فى استعادة المسلمين

لسابق عزتهم؟ والجواب بالايجاب من خلال إعادة النظر فى أسباب رقى المسلمين فى صدر الإسلام. فلو بلغ المسلمون تلك التضحيات واستبدلوا الخلاف والنفاق بالوحدة والأخوة وانفتح الزعماء المسلمون على حقائق الزمان لعادوا إلى سابق مجدهم وعظمتهم، وبالطبع لابدّ أن يتمّ كل تطور ورقى فى اطار قوانين الإسلام، وأن لا يكون موضوع إدراك «روح الزمان» وسيلة لتحريف المفاهيم الإسلامية أو التخلى عنها. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۰۷

۲ هروب الشباب من الأوساط الدينية

سؤال: ما السبب أو الأسباب التى أدّت إلى نفرة الشباب من حضور الأوساط الدينية، ألم يأن الوقت للتغلب على هذه المشكلة؟ ما السبيل لحل هذه المشكلة، وكيف يوجه الشباب لهذه الأوساط؟ الجواب: نعتقد أنّ ابتعاد الشباب عن الأوساط الدينية يستند إلى عدّة عوامل نشير إلى عاملين مهمّين منها: الأول: الدعايات المغرضة التى يبثها العملاء منذ مدّة بين شبابنا فشوهوا لهم الحقائق لينظروا بعين الشك إلى الأوساط الدينية والمؤسسة الدينية. الثانى: غياب الإنضباط فى بعض الاجتماعات الدينية وعدم رعاية الأصول الصحيحة للخطابة والإعلام الدينى فى بعض هذه الأوساط بالصورة التى تلبى طموحات هؤلاء الشباب وريّها بالمفاهيم الإسلامية السامية. نعم، لحسن الحظ فإنّ يقظة سادت شبابنا فى السنوات الأخيرة ووقفوا على طبيعة تلك اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۰۸ الدعايات السامة. ومن هنا كان للشباب حضور فاعل فى المجالس والمؤتمرات الدينية، وهذا ما نلمسه بالفعل فى المجالس. كما اتخذت بعض التدابير بشأن الفاعل الثانى فلم يعد قليلًا المبلغون العارفون باللغات الذين يستطيعون اعتماد المنطق الإسلامى الرصين فى مخاطبة الشباب، رغم اعترافنا بعدم تناسب عددهم مع مدى المتطلبات المعاصرة.

۳ السيطرة على استغلال تعدد الزوجات

سؤال: صحيح أنّ منزلة المرأة وحقوقها وعدم تعرضها للظلم إنّما تحلّ من خلال رعاية الرجل للعدل فى تعدد الزوجات والطلاق ... أى لا يطلق نساءه عبثاً ويتركهن حيارى- لكن من الواضح هنالك استغلال لقانون تعدد الزوجات فى عصرنا الراهن من قبل أولئك الذين لا يحملون من الإسلام سوى اسمه. وهنا يرد هذا السؤال: ما الذى يتخذه الإسلام إزاء هؤلاء الأفراد الطائشين وكيف يسيطر على هذا الاستغلال؟ الجواب: إنّ القوانين مهما كانت رصينة فهى ليست كافية لتحقيق سعادة أفراد المجتمع ما لم تكن هناك ضمانة بتطبيقها. ورغم أنّ التربية والتعليم والإيمان باللّه يمكن أن تحول دون الاستغلال والتمرد على القانون، إلّاأنّ هذه العوامل ليس من شأنها جعل الأفراد بصورة كلية ملتزمين بوظيفتهم. فهنالك بعض الأفراد شئنا أم أبينا ممن يستغلون القانون ويتمردون عليه. وعليه لابدّ من اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۱۰ مسؤول يسعى لتنفيذ القوانين ويشرف على ممارسة المجتمع لها بغية ضمان العدالة الاجتماعية وحماية الأفراد الضعفاء، وذلك المسؤول هو الحكومة الإسلامية. ومن هنا منح الإسلام الحكومة الإسلامية صلاحيات واسعة فى مجال تنفيذ القوانين بحيث يحق لها اتخاذ عدّة إجراءات ضد كل من يتطاول على حرمة القوانين ويحاول استغلال الضعفاء. ولا فرق هنا بين الطلاق وتعدد الزوجات وسائر الأبواب الفقهية، أى كما تقف الحكومة الإسلامية إلى جانب المظلومين وتعادى الظالمين كذلك بشأن الطلاق والزواج وتعدد الزوجات وظلم المرأة ليحفظ من خلال ذلك حقوقها، حيث يحق لها الحيلولة دون استغلاله للمرأة. بالاضافة إلى قضية ينبغى الإلتفات إليها فى مختلف الأبواب الفقهية وهى أنّ القوانين الإسلامية كحلقات السلسلة متصلة مع بعضها البعض ولا- يمكن التعامل مع بعضها دون الآخر. فلابدّ من النظرة الشمولية إلى جميع القوانين الإسلامية فى الوسط الذى يحكمه الإسلام وليس فى كل وسط؛ فمثلًا أحكام الحدود والديات والقضاء والزواج والطلاق الإسلامى لابدّ أن تناقش فى الوسط الذى تطبق فيه المبانى والمبادئ الحقوقية والعقائدية الإسلامية كافّة. وعلى هذا الأساس فإن طبقت جميع القوانين الإسلامية كما هى فسوف لن يكون هناك من ينتهك حرمة القانون ويهضم حقوق الآخرين ليتمسك الفرد بالقوانين الإسلامية كافّة ولا يسحسن منها تعدد

الزوجات فقط والتعسف فى الطلاق. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۱۱

۴ هل ينبغى التريّث بعد العطسة؟

سؤال: هل ورد فى الإسلام ما يشير إلى الصبر بعد العطسة؟! الجواب: ليس فى الإسلام شىء بهذا الشأن وروح الإسلام لا تنسجم أصلًا مع ذلك، حتى ورد الحث على التوكل ومتابعة العمل بعد العزم عليه وإن تشائم أحد من ذلك، وعدّ الفأل السيء علامة على الشرك. نعم، ما ورد بشأن العطسة تسميت العاطس فتقول له: «يرحمكم اللَّه»، فيرد عليك: «يغفر اللَّه لكم». أمّا التريث والتوقف بين عطسة وأخرى خرافة ينبغى للمسلم عدم التعويل عليها.

۵ قصاصات فى المنام صحيحة؟

سؤال: تنتشر بين الحين والآخر ورق تحكى عن أحلام تحمل عنوان خادماً للنبى الأكرم صلى الله عليه و آله تتضمن الحث على التقوى والابتعاد عن المعاصى وقرب ظهور إمام الزمان عليه السلام! نقلًا عن النبى صلى الله عليه و آله فهل هذا صحيح؟ «۱» الجواب: للأسف يحصل هذا العمل المستهجَن بدفع من بعض أعداء الإسلام والتشيع، ويتكرر لسنوات وكل سنة خادم النبى الأكرم صلى الله عليه و آله- طبعاً ليس لهذا الاسم من وجود خارجى- يرى رؤيا جديدة ويعين تاريخاً لظهور ولى العصر أرواحنا فداه وحين لا يقع يرى رؤيا أخرى ويبدو أنّ اصحاب هذه الرؤيا يرومون بخيالاتهم الساذجة إثارة الشك فى نفوس الضعفاء بشأن ظهور إمام العصر «عج»، وقد غفلوا عن عدم إكتراث المسلمين- مهما كانوا بسطاء- لهذه الأباطيل. أضف إلى ذلك فالدين لا يرى من اعتبار لرؤيا شخص. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۱۵

۶ منشأ عبارة «السادة»

سؤال: من أين أتت عبارة «السادة» ومن اطلق هذا اللقب عليهم؟ الجواب: السيادة شرف معنوى فى نسل رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وهذا موضوع عام فى أنّ الأشراف يحظون بحرمة تتناسب مع مقام الانتماء؛ وعليه فإنّ حرمة «السادة» تستند إلى انتسابهم لأعظم شخصية للبشرية- أى النبى الأكرم صلى الله عليه و آله- ومن هنا اطلق لفظ السيد، وقد وردت فى كلمات النبى صلى الله عليه و آله والأئمّة عليهم السلام بشأن بعض أهل البيت. ولكن ينبغى الإلتفات إلى أنّ السادة لا يمكنهم ارتكاب أدنى مخالفة اعتماداً على نسبهم وهم كسائر الأفراد إزاء القوانين. فالواقع أنّ أساس السيادة هو عظمة النبى صلى الله عليه و آله وعلى عليه السلام من حيث الصفات والأعمال؛ فقد كان هؤلاء سادة لشخصيتهم الربانية فشمل شعاع هذه الشخصية آل هاشم وذريّته.

۷ تقييم كتاب «إعادة التعرف على النبى محمد صلى الله عليه و آله»

سؤال: قرأنا فى مجلة المدرسة الإسلامية نقاط قوّة وضعف كتاب «إعادة التعرف على النبى محمّد» فهل تقتصر نقاط ضعفه على الجوانب المتعلقة بعالم التشيع واغماض الكاتب عن مناقب أمير المؤمنين على عليه السلام وخلافته بعد النبى صلى الله عليه و آله، أم تشمل حياة النبى صلى الله عليه و آله أيضاً؟ الجواب: يشتمل الكتاب على نقاط ضعف وقوّة، ولا تقتصر نقاط ضعفه على الجوانب المتعلقة بالشيعة، بل وردت فيه بعض المطالب التى لا يعتقد بها أحد من المسلمين ولم تذكر فى أى من مصادر الفريقين المعتبرة، كما لا تنسجم مع الموازين العقلية، ومن ذلك ما ذكره فى بحث المعراج ص ۲۲۵ أنّ النبى صلى الله عليه و آله اقترب من اللَّه حتى سمع صوت قلم اللَّه وفهم أنّه مشغول بحساب أفراد البشر! ورغم سماعه لصوت قلم اللَّه إلّاأنّه لم يره، فلا يستطيع أحد رؤيته وإن كان نبيّاً. ولا ندرى من أين أتى مؤلف الكتاب بهذه القصة المضحكة، وأية رواية ضعيفة نقلتها: أولًا: ليس للَّهمن مكان ليسارع إليه النبى

صلى الله عليه و آله والهدف من المعراج بصريح القرآن رؤية اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۱۸ آيات اللَّه فى السماء «لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى» «۱» لا- الوصول إلى مقر حكومة اللَّه أعلى العرش! ثانياً: اللَّه عالم بأعمال العباد كافّة ويعلم حسابهم، ولا- يحتاج للمسارعة فى احصاء أعمال العباد ليسمع النبى الأكرم صلى الله عليه و آله صوت قلمه- ولابدّ أن يكون قلمه من الخشب ليكون له مثل هذا الصوت- ثم ما حاجة اللَّه لذلك والملائكة يحصون الأعمال. ثالثاً: يلزم من هذا الكلام أنّ اللَّه جسم وله يد ورجل؛ وهذه أمور تدعو كل مسلم مدرك للعجب والدهشة. طبعاً نحن سعداء باهتمام العلماء والكتاب الأجانب بشخصية وعظمة النبى صلى الله عليه و آله، أمّا أن نتوقع بأن يشرح لنا الآخرون تفاصيل سيرة النبى صلى الله عليه و آله وتعاليمه فهذا ما لا يسعدنا قط، مع ذلك هنالك بعض نقاط القوة فى الكتاب. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۱۹

۸ الإسلام والأُمّية

سؤال: لقد حث النبى صلى الله عليه و آله على العلم والمعرفة، كما دعى المسلمين بلسانه وتقريره وفعله لكسب العلوم والمعارف ومقاومة الأمّية و ... مع ذلك هنالك الكثير من المسلمين أمّيون اليوم؟ الجواب: إنّ العلم والمعرفة كان انتشرتا كالبرق فى أوساط المسلمين حين لم يحيدوا عن تعاليم الإسلام، والشاهد على ذلك تلك الجامعات الإسلامية العظيمة والمكتبات التى غص بها التاريخ، ففى ذلك الوقت الذى لم تخترع فيه وسائل الطباعة وصنع الورق كما هو عليه اليوم كانت «مكتبة مراغة» تضم أربع مائة ألف كتاب و «مكتبة دار الحكمة» فى بغداد أربعة ملايين كتاب، كما كانت مكتبات سائر البلدان الإسلامية ثرية بالمؤلفات العلمية والطبيعية. كما كانت نسبة المتعلمين عالية حتى قبيل السيطرة عليهم من قبل الاستعمار، على سبيل المثال كانت الغالبية العظمى من المجتمع الجزائرى قبل الاستعمار الفرنسى من المتعلمين، بينما انعكس الأمر إثر الاحتلال. وفى الفترة الأخيرة اصطدم بعض حكام البلدان اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۲۰ الإسلامية مع بعضهم فابتدأ عهد جمود المسلمين وانحطاطهم، فوقفت عجلة التقدم وتفشت الأمّية فى الأوساط الإسلامية. نأمل بأن ينهض المسلمون ثانية ويجدون فى طلب العلم بفعل تمسكهم بهويتهم الإسلامية، ولعلنا نرى اليوم بوادر هذه النهضة.

۹ هل ينبغى للصالحين أن يصلوا؟

سؤال: نعلم أنّ الصلاة تصدنا عن الفواحش، فلو امتنعنا عن الفواحش، فهل يجب علينا أن نصلّى أم لا-؟ الجواب: الصلاة وجوب عمومى وقطعى: فلا- يستثنى منها الفرد وإن جانب الفواحش، ولا يمكن التذرع بالصلاح بغية ترك الصلاة. وبغض النظر عن ذلك فليس هنالك من ضمانة بترك الفواحش دون ذكر اللَّه الذى تفرزه هذه الفريضة الدينية العظيمة، وقد دلّت التجربة على أنّ من لا يصلّى لا يسعه الابتعاد عن المعاصى، وعلى الأقل لا يلتزم بطهارة البدن واللباس والطعام؛ وناهيك عمّا سبق فإنّ للصلاة والتوجه إلى اللَّه دوراً فى ترسيخ الإيمان وتكامل روح الإنسان- حتى ذلك الذى يترك المعاصى- وبالتالى فنحن مكلّفون دون استثناء بأداء هذه الفريضة.

۱۰ الإنسان والملائكة

سؤال: يقال إنّ الإنسان أشرف المخلوقات، فهل المراد أنّ الإنسان أكمل موجود خلقه اللَّه فهو أسمى حتى من الملائكة؟ الجواب: الإنسان والملائكة كسائر الموجودات مخلوقات اللَّه، مع هذا الفارق وهو أنّ للإنسان قابليات خارقة ليست فى الملائكة. بالإضافة إلى أنّ خلق الملائكة بعيد عن الأهواء، بخلاف الحيوان المركب من الشهوة دون العقل، بينما اشتمل الإنسان على الشهوة والعقل. ومن هنا أصبحت مسؤولية الإنسان ثقيلة. وعليه فإن اتبع الإنسان عقله وآمن باللَّه وقمع هواه فإنّه سيكون أسمى من الملائكة، وإن اتبع هواه

وجانب عقله وابتعد عن الإيمان والحق والفضيلة كان أسوأ من الحيوان. ولذلك ورد فى القرآن أنّ اللّه حين خلق آدم أمر الملائكة بالسجود له، وأمر آدم بتعليمهم ما علّمه اللّه، فكان فى الواقع معلم الملائكة.

۱۱ سكنة الكواكب

سؤال: هل هناك كائنات حيّة فى العالم العلوى، أم أنّ الحياة مقتصرة على الكرة الأرضية؟ ولو فرضنا توفر ظروف الحياة فى العالم العلويى فهل الكائنات الحيّة هناك عاقلة مثلنا لها حضارة، ما رأى الإسلام فى ذلك؟ الجواب: إنّ سعة وعظمة عالم الخلق ممّا أذهلت العلماء، ورغم دعم إمتلاكنا للمعلومات الدقيقة عن سعة وعدد المجرّات والكواكب، إلّاأنّ مجرتنا «۱» فقط تحتوى على ۱۵۰۰۰۰ مليون كوكب من بينها بعض الكواكب التى تشبه شمسنا؛ وعليه واستناداً إلى سعة عالم الخلق يستبعد إقتصار الحياة على كوكبنا دون الكواكب الأخرى رغم اعتقاد علماء الفلك بضعف احتمال وجود الحياة فى سائر الكواكب؛ لأنّ كوكب عطارد والزهرة محرقان وخانقان والمريخ بارد والمشترى وزحل يسبحان فى الأمونيا اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۲۶ والميثان. إلّاأنّ هذه الأحكام بشأن كواكب المنظومة الشمسية لا تبدو منطقية. ذلك إننا وضعنا أنفسنا فى إحدى هذه الكواكب فماذا سنقول بشأن الأرض؟ قطعاً سيقول منجم مريخى أنّ غاز الأوكسجين السام محيط بأرضنا، ولا يفهم كيفية تكيف بنيتنا مع هذا الغاز فيظن باستحالة الحياة على الأرض! ولو أرسلت الأقمار الصناعية من المريخ إلى الأرض- كأقمار الأرض- والتى تلتقط الصور من مسافة ثلاث مئة كيلومتر لما ظهرت فيها أية آثار للحياة! وعليه فلا يستبعد أن تكون أحكام بعض العلماء بشأن عدم توفر ظروف الحياة فى كواكب منظومتنا كأحكام المنجم المريخى الذى يرى من بعيد عدم مساعدّة الأرض على الحياة، لاننا لا نمتلك معلومات عن خصائص ظروف الحياة وخصائص بنية الكائنات هناك- طبعاً على فرض وجودها- وهل تستطيع العيش فى ظل تلك الظروف أم لا. على كل حال فإنّ أغلب العلماء مثل «ساجان» العالم الأمريكى و «شكلوفسكى» عضو الدار الروسية للثقافة و «فولتير موسيفان» فى كتابه «لسنا وحيدين فى العالم» يعتقدون جازمين بالحضارة خارج الكرة الأرضية، وأنّها أسمى من حضارتنا؛ ولا يرى هؤلاء العلماء ثمّة دليل على حصر الحياة بكوكبنا، بل هنالك آلاف المنظومات الشمسية كمنظومتنا الشمسية فى هذه المجرة. قال العالمان الأولان أنّ مجرتنا يمكن أن تضم على الأقل ألف مليون كوكب تسوده الحياة، وأقرب وأوفر كوكب للحياة «ابسيلون» ومن بين آلاف السيارات هنالك الكثير من الكواكب المؤهلة للحياة وفى بعضها مدنية وإزدهار صناعى، وطبق تقرير المرصد النجومى الفيزيائى «يوراكان» فى روسيا الذى يبث من الفضاء علامات راديوية وكان سكنة العوالم الأخرى يسعون إلى شد أنظار سكنة سائر الكواكب إليهم «۱». فقد تقدم العلم إلى هذه الدرجة والعلماء ما يزالون يواصلون أبحاثهم فى أنحاء العالم كافّة بغية التعرف على الحقيقة. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۲۷ ورأى الإسلام واضح بهذا الشأن والقرآن والأحاديث حلت هذا الإشكال قبل أربعة عشر قرناً، ودعونا نُذكِّر بنقطة حول مقتضى الحكمة الإلهيّة بهذا الخصوص قبل أن نتحدث عن هذا الموضوع من وجهة نظر القرآن والسنة. فالموحد الذى يؤمن باستناد خلق العالم إلى الحكمة الإلهيّة ليستبعد إقتصار الحياة على جزء من الكرة الأرضية من بين مليارات الكواكب وكأنّها صحارى جرداء تفتقر إلى معانى الحياة والتفكير والشعور، فهذا الأمر لا ينسجم قط والهدف من الخلق وحكمة الخالق. والقرآن الكريم يشير صراحة إلى وجود الحياة فى السماوات فيقول فى وصفه لقدرة اللّه: «وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ» «۱». ولا يكتفى القرآن بالتصريح بوجود الحياة فى كواكب السماء، بل يصرح فى بعض الآيات بتكليف هذه الموجودات على غرار تكليف البشر فى الأرض وأنّهم سيحشرون إلى ربّهم يوم القيامة: «إِنْ كُلُّ مَنْ فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِى الرَّحْمَنِ عَبْداً»، «۲» «لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّاً» «۳» ، «وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً» «۴» . فالآيات الثلاث الأخيرة تشير صراحة إلى تكليف هذه الموجودات العاقلة وستحشر يوم القيامة كما هى عليه الحالة بالنسبة للبشر ونكتفى بنقل رواية واحدة من بين الروايات بهذا الشأن. قال أمير المؤمنين عليه السلام بشأن هذه النجوم: «إِنَّ هذِهِ النُّجُومُ الّتى فِى السَّماءِ مَدائِنَ مَثَلَ المَدائِنِ الَّتى فِى الأَرضِ مَربُوطَة كُلُّ مَدِينَةٍ إِلى عَمَدٍ مَنْ نُورٍ»

«۵». وجاء فی دعاء الإمام الحسین علیه السلام: «اللّهمَّ إنّی أسئَلُکَ بِکَلِماتِکَ وَمَعَاقِدِ عِزِّکَ وَسُکَانِ سَماواتِکَ وَأَرضِکَ». فالعبارة تشیر بوضوح إلی سکان السماوات- وهم من المقربین- رغم ما فسّره بعض العلماء بالملائکة حیث لا دلیل لدینا علی الحصر. اجوبة المسائل الشرعیة، ص: ۵۲۹

۱۲ التضحیة والفداء

سؤال: یقال کل أنشطة الإنسان بهدف الحصول علی منفعة روحیة ومادیة أو دفع ضرر، حتی تلک الطائفة من أعمال الإنسان من قبیل إعانة الفقراء وتربیة الأبناء لا- تشذ عن القانون المذکور؛ ذلک لأنّ الإنسان إنّما یسکن روعه ویخلص نفسه من تأنیب الضمیر إثر مشاهدة هذه المناظر الرقیقة عن طریق مساعدتهم ومعاملتهم بالود والاحسان. وبالنظر إلی هذا الدافع المحرک للإنسان فی أنشطته وأفعاله کافّة هو الحصول علی النفع أو دفع الضرر، فکیف تعتبر بعض الأعمال نوعاً من الإیثار والتضحیة؟ وعاطفة الأُم وحنانها من أسمی مظاهر التضحیة والفداء، فی حین تستمتع المرأة بهذا الحنان والحبّ لولدها وتتعذب من الامتناع عن تربیته وملاعبته فکیف یمکن اعتبار حنان الأُم عشقاً طاهراً وفعلها تضحیة وفداء؟ الجواب: یمکن الاجابة عن هذا السؤال بطریقین: ۱- المراد من «الإیثار» و «التضحیة» قیام الإنسان بعمل دون توقع العوض من الفرد المقابل أو المجتمع. فرضاً یشعر شخص بالألم حین رؤیته لمشاهد الضعفاء والمحتاجین اجوبة المسائل الشرعیة، ص: ۵۳۰ والیتامی أو یشعر بالفرح والسرور لنجدة هؤلاء الأفراد، فإن تنازل هذا الفرد دون ریاء لجانب من حاجاته للآخرین فإنّ عمله هذا یصطلح علیه بالإیثار والتضحیة. صحیح أنّ هذا العمل ینقذه من تأنیب الضمیر ویمنحه نشاطاً وحیویة، ولکن حیث لم یکن دافعه من هذا العمل منفعة دنیویة، ولم ینطلق فیه من توقع عوض ومقابل إزاء العمل، فإنّ عمله هذا یعدّ إثرة وتضحیة علی ضوء العقل والشرع. بعبارة أخری لابدّ من الرجوع إلی دوافع العمل لتقییم الذات فی أنّ هذا العمل تضحیة وإیثار. والممارسات العاطفیة والإنسانیة التی یعبر عنها أحیاناً بالتضحیة والإیثار هی الأفعال المجردة من حسابات الربح والمنفعة فینطلق فیها الشخص من کوامنه الذاتیة وأعماق قلبه دون أدنی سمعة ورياء أو منفعة من فرد أو مجتمع. وبخلافه لا یصطلح بالإیثار علی أی عمل لا یخلو من دوافع مادیة وتوقع الحصول علی عوض وأجرة، فهذا العمل نوع من المعاملة. ۲- أحیاناً یبلغ عشق شخص أو شیء مرحلة بحیث لا- یری الإنسان سواه فینسی نفسه، ومن ینسی نفسه سینسی بالتأکید مصالحه؛ وهنا لا یری سوی المحبوب والهدف المقدس ولا یفکر سوی فی منافع المحبوب، ویتخلی کلیاً عن قانون التبادل التجاری فی القیام بفعل إزاء منفعة، فتبلغ التضحیة والإیثار باتجاه الهدف بما تجعله یلتذ بخدمة المحبوب التی تضفی علیه أسمی أنواع اللذائذ وتفیض السکینة علی روحه وبدنه، وبالتالی یصل تلک المرحلة التی ینسی فی ظلها روحه وبدنه فیعیش درجة الفناء. وهذه هی الدرجة التی بلغها أئمتنا علیهم السلام إزاء الذات المطلقة، فهم یعبدونه لذاته المقدّسة التی تمثل غایة الکمال والجمال، فیطلبونه لذاته ویضحون بمهجهم من أجل هذه الذات. ولعل ما روی عن أمیر المؤمنین علیه السلام إشارة إلی هذا الموضوع، إذ قال: «ما عبدتک خوفاً من نارک ولا طمعاً فی جنتک بل وجدتک اهلًا للعبادة». ونموذج ذلک أدعیته ومناجاته علیه السلام؛ فقد بلغ مرحلة من الذوبان فی جمال الحق وکماله المطلق بحیث لا یشعر بالسهم حین یُسلّ من قدمه؛ فمثل هذا العبد لا یسعه التفکیر بنفعه وضرره حین قیامه بعمل وعبادة؛ فهو لا یری سوی اللّه ولا یعمل إلّاله ولیس لذاته. اجوبة المسائل الشرعیة، ص: ۵۳۱

۱۳ تکامل الأخلاق والحاجة إلی الدین

سؤال: ما دور الدین فی البلدان التی تسود أبناءها العلاقات الاجتماعیة الحسنة والتعاون والعدالة وحسن التفاهم واحترام حقوق الآخرین؟ الجواب: لا- شک فی أنّ للأخلاق مساحة معینة فی منع المفاسد وتنظیم شؤون المجتمع، ولکن هل یکفی هذا النظام الظاهری لاصلاح المجتمع؟ الجواب بالسلب قطعاً وذلک لأنّ سلسلة من المفاسد زالت من المجتمعات المتمدنة، بینما طرأت أخری

أكثر خطورة، والواقع أنّ المفاسد قائمة، والذى تغير هو شكلها ولونها، فالسرقات القديمة أصبحت بصيغة حملات مسلحة على البنوك والمصارف! والبلدان المتمدنة التى أصبحت اليوم سمعتها وحسن خلق أبنائها أشهر من نار على علم قد جاوز عدد اللقطاء فيها العشرين ألف خلال سنة واحدة! فإن كان باستطاعة الأخلاق ممارسة دور الدين فما معنى كل هذا الانتحار والطلاق والاغتيال. قال بعض العلماء: «إنّ القدر المسلّم هو أنّ الأخلاق إن انطلقت من الإيمان باللّه كانت اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۳۲ كالسلاح الصارم، وإلّا فإنّ هذه الصرامة والقدرة مشكوكة بالنسبة لنا من كل الجوانب ولا ينبغى أن نفقد وسيلة قطعية على الأمل بموضوع غامض». وإن لاحظنا حالة من النظام والاستقرار فى بعض البلدان فإنّ جانباً منها هو من تأثير التعاليم الدينية التى ورثها الناس عن أخيارهم. أضف إلى ذلك فإنّ الدين يرسى علاقات بين أفراد المجتمع إلى جانب علاقة الإنسان باللّه التى تعد أساس تكامل الإنسان على المستوى المادى والمعنوى، والمسلم به أنّ هذا الجانب لا يتأتى من الأخلاق المادية القائمة على أساس حفظ المنافع المادية. طبعاً البحث واسع حول حكومة الإيمان والأخلاق، ومن أراد المزيد فليراجع كتاب «الزعامات الكبرى والمسؤوليات العظمى». اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۳۳

۱۴ مدرسة أصالة العمل

سؤال: ما تقول مدرسة «أصالة العمل» وما أسلوبها فى تحليل المسائل الفلسفية؟ الجواب: «مدرسة أصالة العمل» منهج من يقتصر بالبحث على الأمور الحسية والعملية دون المسائل العقلية والفكرية المحضة؛ ونرى أن نبيّن آراء هذه المدرسة بغية الوقوف على منهجها وملاحظة خطأها: المسائل الفلسفية [وهى سلسلة من المسائل الكلية والعامة التى لا تختص بموضوع معين؛ مثلًا البحث حول العلة والمعلول بحث فلسفى؛ لأنّ مثل هذه الأمور لا تبحث فرعا معينا، أمّا البحث عن الآثار الظاهرية للأجسام «الفيزياء» أو «باطنها» بحث علمى لا- فلسفى إلى قسمين: الأول: المسائل الخارجة عن الحس، ولا يمكن اختبارها بالوسائل العلمية المادية ولا قياسها فى المختبرات، كالمسائل ماوراء الطبيعة التى لا- تبحث سوى فى عالم العقل. الثانى: تلك السلسلة من الأبحاث الكلية التى يمكن الاستدلال بها على ضوء المسائل اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۳۴ القطعية للعلوم الطبيعية والرياضية التى تستند إلى التجربة. تعتقد مدرسة أصالة العمل أنّ الشكوك تشوب الآراء بشأن تلك الطائفة من المسائل الكلية التى لا تستند إلى العلوم الحسية ولا يمكن تجربتها عن طريق الأجهزة العلمية. ويزعمون أنّ الفلاسفة العقليين بحثوا لسنوات حول المسائل الفلسفية وقد اتسعت الخلافات بينهم بشأن هذه المسائل؛ الأمر الذى يدل على صعوبة هذه المسائل وتعذر حلّها. هذه خلاصة نظرية هذه المدرسة التى انبثقت فى القرن السابع عشر واستقطبت العديد من الأنصار. أمّا العلماء الإلهيون (الذين لا يقتصرون على الوجود بالمادة والطاقة وينظرون إليه بواقعية عريضة) فقد أوردوا العديد من الإشكالات على هذه المدرسة وفنّدوا الأسس العلمية لهذه النظرية ونشير هنا إليها باختصار: ما يقال بالاكتفاء على التعويل على الأمور الحسية كلام يخالفه عملياً حتى اتباع هذه المدرسة؛ ذلك أنّهم يتعاملون مع القضايا بصورة كلية، مثلًا، يقولون: إنّ سرعة الضوء ثلاثمائة الف كيلومتر بالثانية؛ بينما لم تجرب هذه القضية بصورة كلية، والذى خضع للتجربة بعض الحالات الخاصة وفى ظروف معينة، ثم عمم بنوع من الاستدلال العقلى، وهو أنّ السرعة المذكورة تتعلق بحقيقة النور وليس للظروف من نصيب فيها؛ فللنور هذه السرعة أينما كان. وبعبارة أوضح: قام العلماء بتجاربهم بشأن سرعة الضوء فى ظروف مختلفة وحيث رأوا هذه السرعة ثابتة فى جميع الظروف، فقد توصلوا من كل هذه التجارب إلى قانون عقلى كلى فادّعوا أنّ للنور سرعة ثابتة فى كل زمان ومكان، وبدورنا نسألهم: هل كان هذا القانون محسوساً لديكم بصورة كلية أم أدركتم غير المحسوس ببعض المحسوسات؟ قطعاً الجواب هو التالى، وهكذا يعتمد علماء الطبيعة فى أغلب نظرياتهم وفرضياتهم على سلسلة من المسائل العقلية الحدسية ويتوصلون إلى النتائج، مثلًا، لعلماء الجيولوجيا نظريات فى ظهور الأرض وطبقاتها المختلفة ليست محسوسة لأحد، والمحسوس آثار كعلامات لسلسلة من العلل تحصل عن طريق الحدس والتفكير. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۳۵ وما قيل: «إنّ علماء العقل يختلفون دائماً على هذه

المسائل فهی غیر قابلة للحل» بعید عن الحقیقة؛ لأنّ وجه الحقیقة مغطی بحجب تزول إثر الحوار بصورة تدریجیة: والواقع أنّ کل اختلاف خطوة نحو الواقع، والاختلاف لا یدل علی عدم وصول هؤلاء العلماء إلی الواقع؛ بل لما کان الموضوع واسع ومهم فإنّ کل عالم من هؤلاء العلماء أدرک جانباً من الواقع وهکذا تتضح کل یوم سلسلة من الحقائق الجدیدة. فاغلب المسائل الفلسفیة التعقلیة الیوم بهذه الصیغة، ثم تصبح قطعیة بعد اجتیاز عدّة مراحل علی أساس اصولهم المعینة لتعتبر من المسائل الفلسفیة المسلمة، وجود المسائل الخلافیة الأخری لیس بدلیل علی عدم تقدم النقاشات الفلسفیة فی المجالات کافّة. اجوبة المسائل الشرعیة، ص: ۵۳۷

۱۵ الیوغا؟

سؤال: ما المراد ب (الیوغا) ذات الأتباع الکثر فی الهند؟ الجواب: الیوغا نوع من التصوف تری الخلاص فی الترکیز علی الروح وترک العلاقات المادیة؛ وقد اعتمدوا لهذا الهدف مجاهدات وریاضات مُضنیة حیث یعتقدون بکبح جماح النفس عن هذا الطریق. والهدف الأعظم فی (الیوغا) فصل الروح عن البدن وایصالها لعالمها (برهمن) وربّ العالم، ویزعمون أنّ هذا الفصل یحصل فی الحیاة فقط. ففلسفة الیوغا لم تتخلص من مخالب الشرک، وبالتالی فهی تعتقد أنّ خالق عالم المادة المعروف بالنقص والتضاد، غیر الخالق الذی خلق عالم الأرواح والموجودات المنزهة من العیب والنقص. طبعاً الارتیاض لا یقتصر علی الیوغا، بل هنالک عدّة مراکز أدیان فی الهند تمارس بعض الریاضات الشاقة بهدف السیطرة علی النفس، ومن هنا یطلق (بلد المرتاضین) علی الهند. طبعاً هذه الأمور مرفوضة فی الإسلام، فالإسلام لا یری فی الانقطاع عن المادیات من اجوبة المسائل الشرعیة، ص: ۵۳۸ صواب، بل الاعتدال فی العلاقات المادیة وسیلة لنیل الکمال، کما یحظر هذه الریاضات الشاقة، کما رفض الاثنینیة فی العقیدة وعدّها شرکاً لأنّ اللّه الواحد هو خالق العالم.

۱۶ الخلیة الحیة

سؤال: هل نجح العلماء فی صنع الخلیة الحیة، وعلی فرض النجاح هل یستطیعون تحویلها إلی بشر کامل خارج رحم الأُم (الطریق الطبیعی لولادة الإنسان)؟ وکیف ینسجم ذلک إن استطاعوا مع کون الحیاة بید اللّه؟ الجواب: رغم الجهود والتحقیقات الواسعة والتجارب التی قام بها العلماء للوقوف علی أسرار الحیاة وصنع «الخلیة» إلّاأنّهم لم یوفقوا لحدّ الآن فی إدراک أسرار وکوامن بنیة الخلیة- فوضع الخلیة- سیما بالنظر للوظائف الخاصة لکل عضو منها- ما زال معقداً فی ایجاد الحیاة وتنمیتها، ولم تتضح لحدّ الآن هذه الوظائف المعقدة. والعلماء لم ینجحوا رغم مساعیهم فی صنع الخلیة الحیة؛ مع ذلک فهم لا یرون استحالة هذا الأمر وما زالوا یسعون لتحقیقه بفضل التقدم الذی یحرزه علم الأحیاء کل یوم. إلّاأنّ التوصل إلی خلق إنسان خارج الرحم یبدو فی غایة التعقید، حیث إنّ ذلک یتوقف بالدرجة الأساس علی صنع الخلیتین «أسبرماتوزوئید» و «أوفل» اللتین تُعدّان من الخلایا الأصلیة اجوبة المسائل الشرعیة، ص: ۵۴۰ فی تکوین الإنسان؛ والحال هاتان الخلیتان لیستا بسیطتین، بل تبدو عملیة تکوین الخلیتین المذکورتین مستحیلة بفعل ما تحتویهما من عناصر خاصة ومعقدة «الجینات والکروموسومات» وصفات وطبائع البشریة وبالتالی ما یمیز الإنسان عن سائر الکائنات والتی تمکن فیها، عوامل الوراثة؛ ذلک لأنّ تکوین خلیة بسیطة یختلف عن أخری تضم عشرات الامتیازات الروحیة والبدنیة. وعلیه فالجواب بالسلب عن هذا السؤال: هل نجح العلماء فی صنع الخلیة الحیة؟ والمهم حتی لو نجح العلماء یوماً فی تکوین نطفة بصورة صناعیة وانبثق منها إنسان کامل فإنّ ذلک لا یتعارض وکون الحیاة بید اللّه. وتوضیح ذلک: أنّ المراد من کون الحیاة بید اللّه أنّ الحیاة ظاهرة لیست مادیة ونوع من الوجود الذی یکتسب وجوده کسائر الموجودات المادیة وغیر المادیة من اللّه فخلق الحیاة مختص باللّه، ولا یسع کائن من کان أن یضفی الحیاة والوجود علی شیء، فحیثما کانت الحیاة کان اللّه واهب الحیاة وخالقها. وعلیه فلو تمکن العلماء من خلق خلیة حیة فلا یعدو فعلهم إعداد مقدمات الحیاة. فهؤلاء یرکبون مواد معینة فی ظل ظروف خاصة ویرون فیها الحیاة،

ولكن من وهب هذه المواد تلك الحياة؟ هو اللّه تبارك وتعالى. وعليه فلو نجحوا فى تكوين إنسان فإنّما يستمد حياته فى جميع مراحلها من اللّه. بعبارة أخرى إيجاد خلية حية من قبل العلماء (على فرض نجاح العملية فى المستقبل) أشبه بتجميع قطعات سيارة استوردت من الخارج، ومن الطبيعى أنّ المجمع ليس الصانع. (وعليك بالدقة). اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۴۱

۱۷ القلب والادراک

سؤال: نسب القرآن، الفكر والعقل للقلب والسمع والبصر وسيلة السماع والرؤية، وعين موقع القلب وأنّه فى الصدر حتى قال تعالى: «... وَلكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِى فِى الصُّدُورِ» «۱» بينما توصل علماء الفسلجة بعد عدّة تجارب إلى أنّ الدماغ وسيلة التفكير وعمل القلب ضخ الدم إلى أعضاء الجسم على غرار المضخة التى تعمل دائماً بصورة تلقائية. الجواب: ما أثبته العلماء فى مختلف العلوم- كالفسلجة وعلم النفس- أنّ لأعصاب الإنسان ودماغه وظيفة خاصة كسائر الأعضاء، وما تستلمه هذه الأعصاب من إيعازات من الخارج ترسلها إلى الدماغ؛ مثلًا، حين تكون يدنا إزاء عامل خارجى كالنار فإنّها تعكس آثار النار فوراً إلى مركز القيادة الظاهرى للجسم؛ أو العين التى خلقت كعدسة التصوير وتقسم طبقات مختلفة ومياه متنوعة، فطريقة عمل العيون ورود الأشعة من الجسم بصورة غير مباشرة إليها وبعد عبورها من الأغشية تظهر صورة فى نقطة خاصة من العين فتقوم الأعصاب البصرية اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۴۲ بإيصالها إلى الدماغ لتحقّق عملية الرؤية. تقول الفسلجة بشأن الأنشطة الدماغية: إنّ الخلايا الدماغية تقوم بعدّة أنشطة حين التفكير، فيتناول الدماغ مزيداً من الغذاء ويفقد مزيداً من المواد الفوسفورية ... وهكذا تقوم سائر أعصاب الإنسان كل باتجاه بوظيفته الادراک، الا ان النتيجة التى توصل اليها اغلب العلماء من هذه التجارب وظنوا بأنّ مركز الإدراک والشعور هو الخلايا الدماغية على الاعصاب بعد تاثير العوامل الخارجية خاطئة؛ ذلك لأنّ هذه فى إدراک الإنسان وشعوره، ودون هذا الفصل لا يتسطيع الإنسان التفكير والإدراک والسمع والبصر، وأمّا أنّ المدرک الواقعى أو المشاهد والسامع هو الدماغ، فليس بصحيح. ومن هنا يعتقد كبار العلماء أنّ هنالک جهازاً فوق الجهاز المادى للبدن وينسق مع هذه الوسائل المادية وينهض بمسؤولية تدبير هذا الجهاز وبتفعيله للأدوات المادية ... كالعين والأعصاب- فإنّ الدماغ يمكنه الحصول على معلومات من الخارج، والواقع هو المدرک الحقيقى والذى ترتكز فيه- جميع علوم الإنسان وأفكاره والذى يعبر عنه بأسماء مختلفة كالعقل والروح والقلب. ولا شک فى أنّ الناس يستعملون القلب فى محاوراتهم اليومية بمعنى العقل والروح وكذا فى العرف، فنقول قلبى يعتصر على إبنى البعيد عنّى. ولا يخفى أنّ المراد بالقلب ليس ذلک العضو الصنوبرى الشكل، بل فسّروا أحد معانى القلب بالروح والنفس البشرية التى تعتبر مركز الشعور والإدراک، ويصطلح عليه العلماء بالعقل والروح- وعلة اختيار لفظ القلب ككناية عن الروح أنّ القلب الصنوبرى يعتبر مظهر الحياة لدى الإنسان، فهم يميزون بين الحى والميت على ضوء عمل القلب وتوقفه. وتوازن دقات القلب وسرعتها دليل الصحة والسقم وأول مرحلة لظهور الآثار الروحية لكل حادثة هو القلب. والقرآن من جانبه استعمل مفردة القلب بمعنى العقل والروح والقوة المدركة. أضف إلى ذلک هنالک العديد من القرائن القرآنية على هذا المعنى، ومنها: اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۴۳ ۱- قال القرآن بعد بيانه لأوضاع القيامة: «إِنَّ فِى ذلِکَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ» «۱» .فالمفروغ منه أنّ القرآن اعتبر القيامة وسيلة تذكير لأصحاب القلوب، فإن كان المراد ذلک العضو المعروف سوف لن تستقيم العبارة، ذلک أنّ لكل الناس هذا العضو، وعليه فالمراد به العقل والقوة والتفكير. ۲- اعتبر القرآن القلب مركز طائفة من الصفات والروحيات التى لا ترتبط قطعاً بهذا القلب المادى، بل أوصاف تلک الروح الإنسانية، فيصف بعض القلوب بالقسوة والمرض والعمى- كما يرى القرآن القلب مركز الطهر والإيمان والدنس والكفر ووسيلة نيل السعادة والشقاء وخص القلب السليم بالسعادة والفلاح «۲». ومن البديهى أنّ هذه الأمور من صفات الروح الإنسانية، فلا معنى للقسوة والعمى والمرض فى هذا القلب المادى. ويتضح ممّا مر سابقاً معنى الآية الواردة فى السؤال؛ فالقرآن وإن نسب التعقل للقلب وأنّ مكانه فى الصدر، لكن كما يتضح أنّ القلب الذى فى الصدر اصطلح عليه القرآن كناية عن الروح والعقل، وسبب هذا التعبير ذلک الارتباط القوى للقلب الصنوبرى

بالروح وظهور وانعكاس الحالات الروحية والحياة والموت فى القلب. والقرآن لا يكنى القلب بالعقل والروح فقط، بل أحياناً يستعمل الصدر بهذا المعنى فيقول: «أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ» «۳» و «فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ» «۴» ؛ ومن الطبيعى أنّ صدر الإنسان العادى لا يضيق ويتسع بقبول أو عدم قبول الإسلام؛ بل كناية لسعة وكبر الروح، ولكن ورد التعبير السابق بسعة الصدر مركز ظهور انعكاسات الحياة.

۱۸ لماذا يطلق اسم «أُمُّ القرى على مكة؟

سؤال: يستفاد من التفاسير والأخبار أنّ أول ما ظهر من الأرض، أم القرى- مكة- ومن ثم تلتها سائر البقاع، فكيف ينسجم هذا الموضوع مع عقيدة العلماء المعاصرين الذين يرونها سيارة انفصلت دفعة عن الشمس؟ الجواب: ذكر علماء الأرض بشأن ظهورها والتطورات التى طرأت عليها أنّ الكرة الأرضية تعرضت إلى سيول وأمطار شديدة بعد أن انفصلت عن الشمس وبردت فغطى الماء جميع سطحها، وظهرت التنوعات فانحدر الماء إلى النقاط العميقة وشكل البحار وبدات البقع الجافة تظهر شيئاً فشيئاً. ولعل مسألة ظهور أرض مكة إشارة إلى هذه البقع الجافة، فكانت أول بقعة ظهرت من الماء المناطق الاستوائية ومنها مكة. وعليه فلا منافاة بين الرواية المذكورة وعقيدة العلماء فى ظهور الأرض؛ لأنّ المراد من ظهور مكة ليس انفصالها عن الشمس، بل ظهورها من الماء واستعدادها للسكن.

۱۹ لماذا لا تطابق المناسبات الدينية فصول السنة؟

سؤال: ضُرِبَ على عليه السلام فى التاسع عشر من شهر رمضان فى فصل الشتاء مثلًا (طبعاً هنالك فارق ۱۱ يوم بين العام القمرى والشمسى) ولكننا نلاحظ وقوع التاسع عشر من رمضان فى الشتاء أحياناً والصيف أخرى والربيع والخريف، إذن فالشهر القمرى ليس صحيحاً ولا- يبيّن التاريخ بدقّة، ويرد هذا الإشكال على سائر أيّام العزاء والأعياد الدينية خلال الفصول. الجواب: إنّ العام والشهر موضوع تعاقدى لتنظيم الأمور الاجتماعية، غايته كيفوه مع حركة الكواكب بغية عدم الخطأ والاستناد إلى الطبيعة. فجعل البعض مقياس حساب العام والشهر حركة الشمس (أو الأصح حركة الأرض حول الشمس) ونتيجة ذلك العام الشمسى المنطبق على الفصول الأربعة. كما جعله البعض حركة القمر حول الأرض ولا ينطبق على الفصول الأربعة الناتجة من حركة الشمس. والنتيجة لو لم تنطبق الأشهر القمرية على فصول السنة فلا إشكال عليها؛ لأنّ المدار فيها ليس حركة الشمس والفصول الأربعة. وعدم مراعاتنا للفصول فى إقامة مراسم العزاء اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۴۸ والسرور، لأنّ مقياسنا فى هذه المراسم هو الأشهر القمرية المطابقة لحركة القمر، والمهم لنا، اليوم القمرى الذى وقعت فيه تلك الحادثة، لا الفصل. كما نعلم أنّ تنظيم التواريخ الإسلامية كافّة طبق هذا الشهر القمرى. والواقع هنالك فارق بين الأشهر القمرية- وهى أشهرنا الدينية- والأشهر الشمسية ومنها: أنّ حساب الأشهر القمرية أسهل على أغلب الناس من الأشهر الشمسية، بحيث لا يجد أى فرد من صعوبة فى حسابها، بينما لابدّ من التقويم لحساب الأشهر الشمسية- بعبارة أخرى يمكن عادة تعيين الحدود التقريبية لكل شهر وبدايته ونهايته بواسطة الأشهر القمرية، بحيث لو نظرنا إلى قرص القمر يمكننا تقريباً معرفة كم ليلة مضت على الشهر، بينما يتعذر تعيين الأيام فى الأشهر الشمسية (الأبراج) ما لم يكن لدينا تقويم، حتى بداية ونهاية الشهر؛ ويقتصر الأمر على الحسابات النجومية فقط؛ والحال تقويم الأشهر القمرية صفحة السماء وتأمل طلوع وغروب القمر والهلال والتربيع والبدر، ممكن للجميع، ولو لم تنطبق هذه الأشهر على فصول السنة، فلا- يمكن المساس بها مع كل هذه الامتيازات. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۴۹

۲۰ سند دعاء الندبة

سؤال: هل من سند معتبر لدعاء الندبة؟ الجواب: دعاء الندبة دعاء من حيث المضمون مستدل ورفيع وفصيح وعاطفي وحماسي، وفي حالة إدراكه من قبل الداعي فهو ملهم لأصلاح الوضع الاجتماعي ومقاومة الظلم والفساد وطفرة نحو الأهداف الإنسانية الكبرى. لكننا لا ندري لماذا كل هذه الحملات المغرضة من البعض، فتارة على العبارات وأخرى على السند، والحال ليس في مضمونه أية مثلبة ولا يمكن القدح في سنده ضمن إطار الدعاء. وسنوضح لاحقاً إن شاء اللّه خواء تهمة مشابهة عباراته لعقائد الفرقة الكيسانية. وسنشير إلى الاشكال الذي ورد على فقراته، ومن ثم نشرح السند: إشكال البعض على العبارة «وعرجت بروحه إلى سمائك»، إنّها لا تنسجم مع عقائد الشيعة، لأنّ المعراج لم يكن مقتصراً على الروح. والحال لو عدنا إلى مصادر الدعاء الأصلية لزال الإشكال، فالدعاء ورد قبل كل شيء في كتاب «المزار الكبير» لمحمد بن اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۵۰ جعفر المشهدي أحد علماء القرن السادس، والعبارة في كتابه «وعرجت به إلى سمائك» ولم ترد فيه كلمة الروح (لابدّ من الدقة). والكتاب القديم الثاني «المزار القديم» الذي عاش مؤلفه في القرن السادس ووردت فيه هذه العبارة «وعرجت به إلى سمائك» لم ترد العبارة المذكورة سوى في «مصباح الزائر» للسيد بن طاووس، مع العلم ذكر المرحوم الحاج نوري صاحب «المستدرك» أنّه رأى في بعض نسخ كتاب المصباح «عرجت به» والنتيجة هنالك مصدران من ثلاثة مصادر نقلت العبارة «به» ووردت أيضاً في المصدر الثالث لبعض نسخه دون الآخر، ولكن حيث كانت النسخة لدى العلامة المجلسي رحمه الله تشتمل على كلمة «بروحه» وعادة ما تؤخذ الأدعية منه، فقد أثير هذا البحث، والحال لم ترد هذه الكلمة في المتون القديمة. وعليه فالمتن الأصلي والأصح لم ترد فيه مفردة «بروحه». سند الدعاء: ورد هذا الدعاء كما ذكر في ثلاثة مصادر معتبرة وقديمة هي: ۱- المزار الكبير لمحمد بن جعفر المشهدي من علماء القرن السادس. ۲- المزار القديم لمؤلفه أحد العلماء المعاصرين- المرحوم الطبرسي- صاحب كتاب الاحتجاج (القرن السادس). ۳- مصباح الزائر للسيد رضي الدين بن طاووس من كبار زهاد وعباد ومحدثي القرن السابع. والدعاء في الكتب الثلاثة عن محمد بن علي بن يعقوب بن اسحاق بن أبي قرة عن محمد بن حسين بن سفيان البزوفري «۱» الذي عاش في الغيبة الصغرى وكان يتصل قطعاً بالإمام عليه السلام بواسطة المكانية عن طريق البواب وينقل عن المهدي عليه السلام أنّه أمر بهذا الدعاء. والشخص الأول، أي محمد بن علي بن يعقوب طبق التراجم والرجال هو من رواة اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۵۱ الشيعة والأفراد الثقات وله عدّة مؤلفات، والبزوفري من أساتذة الشيخ الجليل المفيد. وكان الشيخ يذكره بإجلال واكبار. الجدير بالذكر أنّ صاحب كتاب الذريعة ذكر في الجزء الثامن ص ۱۸۴ أنّ هذا الشخص (محمد بن حسين البزوفري) ألّف كتاباً ورد فيه دعاء الندبة. وعليه فسند الدعاء يعود إلى رجال كلهم ثقات أو معروفين وليس فيهم مجهول. أضف إلى ذلك وعلى فرض مجهولية سند الدعاء فإنّه لا يمكن القدح به من باب القاعدّة الأصولية المعروفة «قاعدّة التسامح في أدلة السنن» فهنالك تشدد في الأحكام المرتبطة بالواجبات والمحرمات دون المستحبات. وعلى ضوء هذه القاعدّة فإنّ الفقهاء لا يشكلون على سند المستحبات والأدعية ويكتفون بما ورد منها في الكتب المشهورة. ومن هنا قد تكون أسانيد أغلب الأدعية المشهورة ليست أكثر من حديث مرسل. والطريف أنّ أحدهم رصد في كتابه مبلغ عشرة آلاف تومان لمن يأتيه بسند لدعاء الندبة. وينبغي أن يقال لهذا المؤلف المحترم لو تصدقت بدرهم من ذلك المبلغ على الفقراء بعد مطالعتك لهذه السطور وعدم العودة إلى إطلاق هذه الأحكام الجوفاء «۱». اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۵۳

۲۱ الإستخارة

سؤال: كيف يفوّض الإنسان مصيره ومقدراته للإستخارة ويعين تكليفه من خلال التفؤل بالقرآن أو المسبحة؟ الجواب: أولًا: تعنى الإستخارة: طلب الخير من اللّه؛ اللّه المهيمن على عالم الخلق وبيده أمور الخلائق ويهدي عباده إلى ما فيه خيرهم و صلاحهم. ومعنى هذه الإستخارة أنّ الإنسان إذا أراد أن يقوم بعمل فلابدّ أن يعد جميع مقدماته قدر المستطاع ويبتعد عمّا يوجب الضرر، ثم يسأل اللّه من أعماق قلبه أن يوفقه في هذا العمل ويفيض عليه الخير. والخلاصة حين يريد الإنسان القيام بعمل جبار ولا يعرف عاقبته فإنّه يسعى

لاعـداد مقـدماته ويتوجه إلى اللّه بالـدعاء ليوفقه فى هذا العمل ويسـهل له غايته وهدفه. وهذه هى الإسـتخارة بمعنى طلب الخير والتى وردت بشأنها الروايات الصـحيحة. ولا تحتاج هـذه الإسـتخارة إلى قرآن ولا مسبحة، بل تتطلب توجهاً باطنياً إلى اللّه من الإنسان. ورد فى الخبر: «ما اسـتخار اللّه عبـد مؤمن إلّاخار اللّه له». اجوبة المسائل الشـرعية، ص: ۵۵۴ والهدف من هذه الإسـتخارة ليس رفع الشك والريبة، بل سؤال اللّه التوفيق إلى الخير بعد اتخاذ التدابير الصـحيحة. ولا أحد من الموحدين يسـعه إنكار تأثير الإرادة الإلهيّة فى جميع الأمور. وهذا التوجه يمنح المؤمن نشاطاً وحيوية لمقاومة الصـعاب والمشاكل. ثانياً: ليس الأمر كما ورد فى السؤال بشأن الإستخارة من أنّ الإنسـان يفوض أموره لمسبحة، بل هنالك أمور ينبغى مراعاتها قبل الإسـتخارة: ۱- الاسـتلهام من العقل والفكر: لقـد من اللّه على عباده بنعمة العقل الذى يمكنه تشـخيص عاقبة العمل من حيث النفع والضرر، ولا حاجة له فى مثل هذه الموارد إلى الإستخارة بالقرآن والمسبحة. ۲- مشاورة الآخرين: أولى الإسـلام مسألـة الاسـتشارة أهميّة فائقة حتى عدها علامة الإيمان «وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُم» «۱» كما أمر اللّه تعالى رسوله باسـتشارة الآخرين فى الأعمال المهمـة «وَشَاوِرْهُمْ فِى الْأَمْرِ» «۲» وفى هـذه الحالة إن طرح بعض الأفراد من ذوى الخبرة رأيـا جازمـا بشأن عمل، فليس هنالك من حاجـة للإسـتشارة. ولا تبـدو هنالك حاجـة إلى الإسـتخارة حين يكون هنالك رأى ضعيف من قبـل الأـفراد من ذوى التجربـة. أمّـا أن تعـذر حسم الأـمر من خلال العقل والاسـتشارة فلربّما يعيش الإنسان حالـة من القلق والترديـد، والفائـدة الأولى للإسـتخارة بالقرآن أو المسـبحة إزالـة ذلك القلق ومنحه الهـدوء والاسـتقرار، وبالتالى فهو يسأل اللّه بهـذه الإسـتخارة هـدايته إلى الخير والفلاح، فقد غلقت جميع الأبواب بوجه العبد ولا يمتلك سوى الإخلاص فى التوجه إلى اللّه، فما المانع أن يأخـذ بيـده اللّه ويريه سبيل الخير والصـلاح؟ ولنفترض أنّ هذا الشـخص القلق لم يسـتخر فهل يسـعه القيام بفعل أم تركه؟ قطعاً لا، وبالتالى يفعل ذلك العمل أم لا. فما أحراه هنا أن يتوجه إلى اللّه بقلبه ويسـتخيره على القيام بذلك الفعل أو تركه. قطعاً سـيندفع بقوة على ضوء الإستخارة وهذا ما يلعب دوراً مهماً فى موفقيته ونجاحه. اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۵۵

۲۲اختلاف الأشهر القمرية

سؤال: تعلم أنّ الأرض تدور حول الشـمس والقمر حول الأرض ولهذه الحركة حساب معين، لكن لم كانت بعض الأشـهر القمرية ۲۹ يوم وأخرى ۳۰ يوم؟ الجواب: يدور القمر حول الأرض خلال ۲۹ يوماً و ۱۲ ساعة و ۴۴ دقيقة. وثلاث ثوانٍ وهذه المدّة ۳۰ يوماً. ومن هنا فإنّ بعض الأشـهر القمرية ۲۹ يوماً والبعض الآخر ۳۰ يوماً. لأنّ المقـدار الزائد على ۲۹ يوماً (يعنى ۱۲ ساعة و ۴۴ دقيقة و ۳ ثانية) فى الأشهر المتتالية بيقدّر يوماً واحداً، ولذلك يكون الشهر القمرى أحياناً ۳۰ يوماً.

۲۳ هل يمكن أن يكون شهران قمريان متتاليان ۲۹ يوماً؟

سؤال: أجيب عن السؤال السـابق بـأنّ حركـة القمر حول الأرض ليست خلال ۳۰ يومـاً، بل خلال ۲۹ يوم و ۱۲ ساعة و ۴۴ دقيقة و ۳ ثانيـة، ومن هنا كانت بعض الأشـهر القمريـة ۲۹ يوماً والمقـدار الزائـد يضم إلى الأشـهر التاليـة فيكون يوماً واحـداً، وعليه تكون بعض الأشهر ۳۰ يوماً. وهنا يطرح هذا السؤال: هل يمكن القول: لا يوجد شـهران متتاليان ۲۹ يوماً، حيث على أساس الإضافة لابدّ أن يكون الشهر الثانى ۳۰ يوماً وليس أقلّ، فى حين يتعاقب شـهران أحياناً ۲۹ يوماً؟ وبغض النظر عن ذلك لو كان شـهران متتاليان ۳۰ يوماً فلا ينبغى أن يكون الشـهر الثـالث أكثر من ۲۹ يوماً، فلو انعدمت رؤية الهلال ومضـى شـهران ۳۰ يوماً ينبغى جعل الشـهر الثالى ۲۹ يوماً، بينما تصـرح الكتب الفقهية بأنّ كل شـهر ۳۰ يومـاً حتى تتأكـد أنّه أقلّ. الجواب: نعلم أنّ مـدّة كل شـهر قمرى تقوم على أساس دورة القمر حول الأرض، وحيث أنّ المنجمين مجبرون على بيان عدد أيّام كل شـهر بعدد صـحيح- لأنّه لا يمكن ثبت وقائع اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۵۸ تاريخ الثلاثين من الشـهر بأن يعود نصفه إلى الشهر السابق والنصف الآخر للاحق- فلابدّ من حساب الشهر القمرى على أنّ أقلّه ۲۹ يوماً وأكثره ۳۰ يوماً. وعلى هذا الأساس هنالك نوعان من الشهر القمرى: ۱- الشهر الحسابى ۲- الشهر الهلالى بما أنّ

مدّة الشهر القمرى أكثر من ۲۹ يوماً ب ۱۲ ساعة و ۴۴ دقيقة و ۳ ثانية وهى أقل من نصف يوم، لذلك يحسب الشهر الأول للسنة «محرم» ۳۰ يوماً والشهر الثانى «صفر» ۲۹ يوماً وهكذا سائر الأشهر الفردية (۳، ۵، ۷، ۹، ۱۱) ۳۰ يوماً والأشهر الزوجية ۲۹ يوماً وهذا ما يقال له الأشهر «الحسابية». وعليه فليس هنالك شهران متتاليان ۳۰ يوماً أو ۲۹ يوماً، بل تحسب دائماً ۳۰ يوماً فى الشهر الأول و ۲۹ يوماً فى الشهر التالى وهكذا؛ أمّا المراد بالشهر الهلالى فهو الشهر الذى يثبت بواسطة رؤية الهلال بالعين وعلى هذا الشهر مدار الأحكام الإسلامية. وهنا يرد هذا السؤال: لماذا لا يولى الفقهاء من اعتبار للشهر الحسابى؟ والجواب: الأخبار والروايات بشأن رؤية الهلال فى الصوم والافطار. حيث ورد فى الخبر «صم للرؤية وافطر للرؤية» ولم يرد شىء بشأن حساب ۳۰ يوماً و ۲۹ يوماً. ويمكن أن تكون بضعة شهور- أربعة أشهر كحد أقصى- أثر حركة متموجة خفيفة فى القمر ۳۰ يوماً، أى لا يرى القمر فى أقل من هذه المدّة، ويمكن أن تكون ثلاثة أشهر متتالية ۲۹ يوماً، أى ترى بصورة متتالية فى ۲۹ يوماً «۱». اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۵۹

۲۴ متى كان يوم عاشوراء؟

سؤال: فى أى فصل ويوم من السنة الشمسية كانت واقعة كربلاء؟ الجواب: يتضح من التقاويم أنّ عاشوراء عام ۱۳۹۰ ه. ق يصادف يوم ۲۷/ ۱۲/ ۱۳۴۸ من السنة الهجرية الشمسية ونعلم أنّ واقعة كربلاء كانت عام ۶۱ ه وعليه نقول ۱۹۳۰- ۶۱: ۱۳۲۹. ومن جانب فإنّ مقدار السنة الشمسية حسب العدد العشرى ۲۴۲۲/ ۳۶۵ يوماً، والسنة القمرية حسب العدد العشرى ۳۶۷۰/ ۳۵۴ يوماً، وعليه فالفارق بينهما ۸۷۵۲/ ۱۰. وعلى ضوء هذا الفارق لايام جميع هذه السنوات (۱۳۲۹ سنة) سيكون: ۸۷۵۲/ ۱۰* ۱۳۲۹: ۱۴۰۸/ ۱۴۴۵۳، أى أنّ مبدأ السنة القمرية سيتقدم بمقدار ۱۴۰۸/ ۱۴۴۵۳ يوماً فى مدة ۱۳۲۹ سنة بالنسبة للسنة الشمسية، ولابدّ من الرجوع إلى الوراء لتطبيقها بهذا الشكل: ۱۴/ ۱۴۴۵۳: ۲۴۲۲/ ۳۶۵: ۳۹ سنة+ ۲۰۸ يوم. وعليه لابدّ أن نضيف ۲۰۸ أيّام لعاشوراء عام ۱۳۹۰ ليحصل المطلوب، وحيث أنّ اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۶۰ الأشهر الشمسية بعد اسفند حتى شهريور طبق التعديل القانونى ۳۱ يوماً، إذن ۲۰۸: ۳۱: ۶ شهر+ ۲۲ يوماً، وحيث نضيف ۶ أشهر و ۲۲ يوماً إلى ۲۷ اسفند سنصل إلى ۲۰ مهر. وعليه يمكن القول بنحو التقريب الجزئى أنّ عاشوراء عام ۶۱ يصادف ۲۰ من شهر مهر.

۲۵ من هم أصحاب الكتب الأربعة؟

سؤال: هنالك أربعة كتب معتبرة ومهمّة تعد منذ تدوينها ولحد الآن مرجع الأعلام فى أصول العقائد ومدارك الأحكام والفروع العلمية لمراجع التقليد، فلهذه الكتب الأربعة امتيازات خاصة على سائر كتب الشيعة. رجاء نطلب معلومات مختصرة عن هذه الكتب ومؤلفيها: الجواب: إنهمك شيعة على عليه السلام واقتداء به بعيد وفاة رسول اللّه صلى الله عليه و آله بضبط وتدوين أحاديث النبى صلى الله عليه و آله والأئمّة عليهم السلام، وقد استفرغوا ما بوسعهم- خلافاً للعامة التى تحفظت ما يقارب تسعين سنة عن تدوين الأحاديث بعد وفاة النبى صلى الله عليه و آله حتى عهد عمر بن عبدالعزيز- لنقل الأحاديث فألّفوا عدّة كتب فى مختلف العلوم الإسلامية خلال ۲۵۰ سنة- منذ وفاة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله حتى وفاة الإمام الحسن العسكرى عليه السلام. حتى أثبت كبار المحققين وبالأدلة القاطعة والحية أنّ جميع أو معظم واضعى العلوم الإسلامية كانوا شيعة وكانوا أول من أنار هذا الطريق فى العلوم الإسلامية للبشرية «۱»، ومن اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۶۲ أراد المزيد بشأن أسماء وخصائص هذه الكتب فليراجع الفهارس التى دوّنت من قبل علماء الشيعة فى القرون الإسلامية ولا سيما كتاب «الذريعة» القيم لمؤلفه المرحوم آقا بزرك الطهرانى. وقد استطاع الإمام الصادق عليه السلام حين مطلع قدرة الدولة العباسية من تلمذة أربعة آلاف خلفوا اليوم أربعمائة كتاب. كما تلمذ قبله الإمام الباقر عليه السلام إبان الصراع الأموى العباسى والثورات الكبرى للاطاحة بحكومة بنى أمية نخبة من التلامذة، كما خلف سائر تلامذة الأئمّة كالإمام موسى بن جعفر والرضا عليهما السلام كتباً قيمة أخذوا مضامينها عن أئمّة العصمة عليهم السلام. وهذه الكتب التى

ضمت علوم أهل البيت ونشرت بواسطة علماء الشيعة وألّفوا صفوف الحديث لفهم معانيها وحل رموزها فكانت نسخها عامرة فى مكتبات ايران وبغداد «۱» العامة والخاصة. والآن نحاول التعرف على أصحاب الكتب الأربعة بعد هذه المقدمة المختصرة: ۱- الكلينى المتوفى سنة ۳۲۸ ه. إنّ أول عالم جليل خاض- إبان الغيبة الصغرى- فى جمع وتنظيم أغلب الكتب التى دوّنت فى عصر المعصومين فسطرها مرتبة بكتاب، هو المرحوم ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكلينى الرازى. ولد على عهد الإمام الحسن العسكرى عليه السلام وتوفى فى السنة الأخيرة من الغيبة أو قبلها (۳۲۸- ۳۲۹). وكتابه المعروف «الكافى» البالغ الأهمية صحة واتقاناً حيث يعتبر من أهم كتب الشيعة بعد القرآن الكريم ونهج البلاغة. وقد ذاق الأمرين وعناء السفر فى تأليفه ومجموع أحاديثه ۱۶۶۱۹۹ حديثاً والتى يجاوز عددها أحاديث الصحاح الستة. «۲» والكتاب قسمان؛ قسم يتعلق بأصول العقائد، والآخر بالأحكام والفروع. وأصول هذا الكتاب نموذج واضح لعلوم أهل البيت عليهم السلام اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۶۳ ومعارفهم وسند حى على إمامتهم وخلافتهم لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله. وقد ورد هنا الكثير من المسائل الفلسفية والكلامية المتعلقة بمعارفنا وعقائدنا من جانب أئمتنا عليهم السلام بأبحاث رائعة. وقد ألّفه المرحوم الكلينى بناءً على طلب بعض الشيعة؛ «۱» وروى النجاشى أنّه كابد عشرين عاماً فى تأليفه. وهنالك كتب أخرى خلفها غير هذا الكتاب اندرست للأسف مع مرور الزمان. ۲- الشيخ الصدوق (۳۰۶- ۳۸۱) الشخص الثانى الذى جمع أحاديث أهل بيت النبى صلى الله عليه و آله استاذ الحديث وشيخ الشيعة المرحوم محمد بن بابويه المعروف بالصدوق، ولد الصدوق عام ۳۰۶ وتوفى عام ۳۸۱ وترك العديد من كتبه ومؤلفاته القيمة، وكتابه «من لا يحضره الفقيه» هو الكتاب الثانى من مصادر مراجع الشيعة فى الحديث، كالكافى؛ وحين سافر الشيخ الصدوق إلى بلخ لأخذ الحديث ونشر العلوم والمعارف هناك، طلب منه أحد كبار الشيعة هناك «شريف أبو عبداللَّه نعمة» أن يؤلّف كتاباً فى فقه الشيعة على غرار كتاب «من لا يحضره الطبيب» لأبى بكر الرازى الطبيب المعروف فى زمانه ويسميه «من لا يحضره الفقيه» والهدف من ذلك الكتاب كما يبدو من اسمه جمع الروايات والأحاديث الواردة فى الأحكام والفروع والتى تحضى بالثقة الشيخ الصدوق، والعمل به لمن يتعذر عليه الوصول إلى الصدوق أو سائر العلماء «۲» يشتمل الكتاب على ۵۹۶۳ حديثاً وهو السند الثانى للعلماء والفقهاء فى الحديث. ۳- الشيخ الطوسى (۳۸۵- ۴۶۰) ولد هذا العلم العملاق ومؤسس الجامعة الشيعية القديمة فى النجف المرحوم محمد بن الحسن الطوسى عام ۳۸۵ فى طوس واتجه عام ۴۰۸ لمواصلة درسه فى بغداد، فدرس على يد عالمين بارزين، فى القرن الخامس (المرحوم الشيخ المفيد والسيد المرتضى علم اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۶۴ الهدى) وقد تزعم المرجعية الشيعية بعد وفاة المرحوم السيد المرتضى عام ۴۳۶؛ ويكفيه عظمة فى منزلته العلمية أنّ الخليفة العباسى «القائم بأمر اللَّه» ورغم معارضته للمرحوم الطوسى نصب له كرسياً خاصاً ليتصد للتدريس. وقد قلّ نظير النجاحات التى حققها الشيخ من بين الأعلام؛ وقد خلّف العديد من المؤلفات القيمة فى التفسير والكلام والفقه والأصول وغير ذلك، ولعل تفسيره «التبيان» دليل دامغ على قدرته الفكرية وسعة معلوماته. كما كتب «تهذيب الأحكام» بناءً على طلب تلامذته كشرحه لرسالة «المقنعة» لأستاذه المفيد. وهذا هو ثالث كتاب من الكتب الأربعة. حيث وفق لجمع تلك الأحاديث التى لم يستطع جمعها كل من المرحوم الكلينى والشيخ الصدوق بعد أن دوّنها أصحاب الأئمّة عليهم السلام على عهدهم من الكتب المعروفة لدى الشيعة وأسماها «تهذيب الأحكام» فى ۳۹۳ باباً؛ وعدد أحاديث هذا الكتاب ۱۳۵۹۰ حديثاً. وكتابه الثانى وهو رابع هذه الكتب «الاستبصار» وقد جهد فى هذا الكتاب فى توضيح وشرح الأخبار التى تبدو للوهلة الأولى معقدة الفهم وصعبة الإدراك لمحدث أو مجتهد وربما يشعر بنوع من الاختلاف بين خبرين؛ فقد سعى فى هذا الكتاب ما بفكره العملاق ومعلوماته الجمّة لإزالة أى غموض وإبهام عن الأحاديث، ويشتمل هذا الكتاب على ۹۲۵ باباً و ۶۵۳۱ حديثاً. هذه هى الكتب الاربعة المعروفة للشيعة التى كتبت من قبل هؤلاء الأعلام الثلاثة واسم كل واحد منهم «محمد». اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۶۵

۲۶ خشية اللَّه

سؤال: إننا نعلم بأنّ اللَّه رحمن ورحيم ورؤف بعباده، فلماذا وردت فى المصادر الإسلامية كالقرآن والسنّة خشية اللَّه؛ ما سرّ خشية اللَّه العادل الرحيم؟ الجواب: إنّ خشية اللَّه بمكانها وبالصيغة المنطقية والمعقولة فى وجود الإنسان من النعم الإلهيّة؛ فالخوف عنصر وقائى يحصن الإنسان من العديد من المخاطر: فلو لم يخشى الإنسان عوامل الخطر من قبيل الوحوش وإنهيار سقوف البيوت والأمراض الخطيرة لوقع فى تلك الأخطار وتصدع كيانه. فهذا الخوف يحذر الإنسان من مس المجذوم عبثاً والوقوف على مهاوى الردى ويمده بأسباب القوة إزاء الأخطار المحتملة. ولو لم يشعر الإنسان فى هذه الأحوال وما شابهها بالخوف من الضرر والخطر لسار نحو الفناء والزوال. وبالطبع الخوف الذى يدعو إلى حفظ الإنسان وتكامله ذلك الذى يستند إلى المنطق والعقل؛ أى يخشى الإنسان تلك العوامل الخطيرة حقاً، وإلّا فالخشية غير المنطقية والعبثية والتى يعبر عنها بالجبن فهى أساس التخلف والهزيمة والفشل. والخشية العبثية فى أن اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۶۶ يخشى شيئاً دون مبرر أو يهرب من حدث دون توجيه ويمارس دوراً سلبياً فى مختلف شؤون الحياة؛ فهذه الخشية مذمومة قطعاً وعبثية ومدعاة لتخلف الإنسان. ونعود الآن إلى خشية اللَّه: قال تعالى: «وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى «۱» ، فقد ورد فى هذه الآية خوف مقام اللَّه بدلًا من خوف اللَّه، ولنرى الآن ما المراد بالخوف من مقام اللَّه؟ إنّ المراد هو الخوف من عدالته وقسطه؛ وهل عدالة اللَّه مخيفة؟ جواب هذا السؤال واضح فمن كان حسابه طاهراً لا يخاف عدل اللَّه، وأما من كانت صحيفة أعماله مظلمة فهو يخاف عدل اللَّه طبعاً، فاللَّه لو حمل الآثمين على عدله لأذاقهم أليم العقاب بما قدموا من أعمال، أوَلا- يدعو هذا إلى الخوف والرهبة؟ وعليه فالخوف من مقام اللَّه هو الخوف من عدله- الخوف من الذنب والمعصية- وهذا ما ينبغى أن يخشاه الإنسان، فهذا هو المطلوب من خشية اللَّه. وقد أشار أميرالمؤمنين عليه السلام إلى هذه الحقيقة فقال: «ولا يخافن إلّاذنبه» «۲». وربّما يقال إنّ خوف اللَّه معناه خوف الذنب، فما بال الأئمّة المعصومين عليهم السلام وأولياء اللَّه على هذه الدرجة من الخوف رغم عصمتهم ومجانبتهم للذنب؟ والجواب أنّ خوف هؤلاء من ترك الأولى الذى لا يعد من الذنوب؛ فالمتوقع منهم عدم القيام بذلك، والمرجو منهم غير المرجو من غيرهم، فلربّما ما كان مباحاً لغيرهم ولعله يعد عبادة، يعتبر مثلبة من أولئك الذين بلغوا مواقع القرب والمقامات الرفيعة! اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۶۷

۲۷ النية والعمل

سؤال: ما المراد بحديث النبى الأكرم صلى الله عليه و آله: «نيّة المؤمن خير من عمله ونية الكافر شر من عمله» وكيف تكون نيّة العمل خير أو شر منه؟ الجواب: هذا الحديث من الأحاديث النبوية المعروفة التى رواها محدثو الفريقين «۱». وقد ذكر له الأعلام عدّة تفاسير، نورد أوضحها من بين التفاسير. فنية المؤمن وهمته اسمى دائماً مما يفعله، وربّما لا- يوفق للقيام بعشر ما عزم على القيام به، وهذا المطلب (الهمة العالية والنيّة الأسمى من العمل) اثر مباشر للإيمان باللَّه؛ والفرد المؤمن إثر إيمانه بالثواب الاخروى وعقاب يوم القيامة فإنّ وجوده مركز للأفكار القدسية والخيرة والهمة العالية بالنسبة للقيام بالعمل الخير، وإن لم يوفق حين العمل للقليل من نياته. ولكن بالعكس فإنّ وجود الكافر إثر فقدانه الإيمان باللَّه وعدم شعوره بالخوف من عذابه اجوبة المسائل الشرعية، ص: ۵۶۸ يكون مركزاً للأفكار الفاسدة والعزم دائماً على الإتيان بالأعمال الطالحة؛ ولكن ربّما لا- يستطيع تفعيل الكثير من عزمه بسبب بعض الموانع الاجتماعية وتوفر الوسائل، وفى هذه الحالة فإنّ نيّته على الإتيان بالأعمال السيئة شر من عمله، ومن هنا قال النبى الأكرم صلى الله عليه و آله أنّ نيّة الكافر شر من عمله. ما قيل مضمون حديث الباقر عليه السلام حول هذا الحديث «۱».

تعريف المركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱). قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى

تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷). مؤسّس مُجتمَع "القائميّة "الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله" الشمس آباذى – "رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبيّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام عليّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم. مركز "القائميّة "للتحرِّى الحاسوبىّ– بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة... الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة –فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت– عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و... – مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جهةٍ أُخرَى. – من الأنشطة الواسعة للمركز: الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبيّة، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و... د) إبداع الموقع الانترنتى" القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ أُخرَ ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴) ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و... ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان" ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة "تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة) رقم التسجيل: ۲۳۷۳ الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶ الموقع: www.ghaemiyeh.com البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱) الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱) مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱) التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹ امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱) ملاحَظة هامّة: الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِى الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹